

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة محمد بوضياف بالمسيلة  
كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية  
قسم: التاريخ

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: M.HM/4/13

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ

تخصص تاريخ وسيط

بادية المغرب الأوسط في العصر الوسيط  
(دراسة للواقع الإقتصادي والاجتماعي وتأثيرهما على السلوك والذهنيات)  
من القرن 4 إلى القرن 7هـ / 10-13م

إشراف الأستاذ الدكتور:  
- مفتاح خلفات

إعداد الطالب:  
- عادل بديرة

تاريخ المناقشة: 2018/01/21م

أمام لجنة المناقشة المشكلة من :

|                    |                      |                            |              |
|--------------------|----------------------|----------------------------|--------------|
| أ. محمد عيساوي     | أستاذ محاضر أ        | جامعة محمد بوضياف بالمسيلة | رئيسا        |
| أ.د مفتاح خلفات    | أستاذ التعليم العالي | جامعة محمد بوضياف بالمسيلة | مشرفا ومقررا |
| أ. عبد القادر ربوح | أستاذ محاضر أ        | جامعة زيان عاشور بالجلفة   | ممتحنا       |

السنة الجامعية: 1438-1439هـ / 2017-2018م

## شكر وعرفان

الحمد لله الذي وفقني إلى انجاز هذا العمل ،مصادقا لقوله تعالى: "لئن شكرتم لأزيدنكم" (سورة إبراهيم: الآية 07)، أتقدم بجزيل الشكر وخالص العرفان إلى من ساهم إسهاما كبيرا في تأطير هذا العمل الدكتور المشرف خلفات مفتاح"، الذي رعاني بتشجيعه وتوجيهه وسعة صدره، والذي لم يتوان بتقديم النصائح والتوجيهات المناسبة ولم ينأى يحدد في ذاتي الصبر والعزم على بذل المزيد من الجهد والعمل.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى اللجنة العلمية على توجيهاتهم وتصويبات ولهم مني فائق الاحترام والتقدير.

# الإهداء

أهدي خلاصة جهدي إلى اللّذين قال فيهم

تعال: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا عِبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا  
إِذَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا  
أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ الآية 23 من سورة  
الإسراء.

إلى أغلى ما في الوجود والديّ الكريمين حفظهما الله  
لي رب أحفظهما وارحمهما كما ربياني صغيرا.  
إلى رفيقة دربي زوجتي الغالية .

## المختصرات

ص: الصفحة

تح: تحقيق

ط: الطبعة

(د ت): دون تاريخ

(د ط): دون طبعة

تر: ترجمة

ج: جزء

مج: مجلد

م: ميلادي

هـ: هجري

# المقدمة

## أ- أهمية الموضوع:

يعتبر مجال البادية أحد عناصر الجغرافية الهامة، التي لم تحظى بالاهتمام الكافي من طرف الباحثين والجغرافيين، في حين نجد أن معظم الإهتمام انصب على الدراسة الحضارية والسياسية والعسكرية للحواضر والمدن المغربية، فنالت هذه الأخيرة حظها من البحث، وكان لابد من التطرق إلى موضوع مهم وهو بادية المغرب الأوسط في العصر الوسيط نظرا لما تحمله من مقومات جغرافية وأخرى حضارية وهو ما يساهم في مواصلة الربك في دراسة التاريخ الإنساني المنكب في دراسة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

لقد أكد العديد من المؤرخين الذين اهتموا بتاريخ البادية<sup>1</sup> على الأهمية التي تمثلها في الانفتاح على الجغرافية الزراعية لفهم العديد من مكونات ماضي الأرياف المغربية، وتتطرق البعض في دراسة البادية في نطاق الجغرافية الزراعية، في حين أن بادية المغرب الأوسط ترتبط ارتباطا كبير بالنشاط الفلاحي الذي يمكن من

<sup>1</sup> إن المتأمل في تاريخ الحضاري للمغرب الأوسط يدرك ندرة الدراسات التي تناولت موضوع بادية المغرب الأوسط في العصر الوسيط وأفردتها بدراسة حضارية خاصة فيما تعلق بالناحية الاقتصادية والاجتماعية، ناهيك عن الخوض في دراستها في شكل تاريخ الأفكار والذهنيات، وإلا أنه وبالرغم من ذلك فقد وجدت بعض الدراسات المغربية التي أشارت في طياتها إلى موضوع البادية والتي اذكر منها :

- الدراسة القيمة التي قام بها الدكتور عبد الكريم جودت والتي تحمل عنوان "الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين" والذي تناول دراسة اقتصادية واجتماعية للمغرب الأوسط بما في ذلك بادية المغرب الأوسط خلال هذه الفترة والذي يمكن جعله كمحطة للانطلاق منها في دراسة موضوعي .

- حسن محمد : "البادية والمدنية لافريقية في العهد الحفصي" ، تعتبر هذه الدراسة التي تناول فيها العلاقة بين مجالين متقاربين من الناحية الجغرافية برغم من أنها تركزت في المغرب الأدنى وهو منطلقا آخر يمثل مرتكزا يمكننا من محاولة دراسة بادية المغرب الأوسط .

- وإضافة إلى الدراسات السابقة فقد شهدت الفترة المعاصرة دراسة قيمة قام بها الباحث المغربي عمر بنميرة بعنوان "النوازل والمجتمع مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط (القرنان الثامن و التاسع هـ / 14 و 15م)" وهو بحث تقدم به المرحوم لنيل الدراسات العليا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الرباط سنة 1989م، وتظم هذه الدراسة معلومات قيمة حول المجتمع البدوي في العصر الوسيط من خلال النوازل الفقهية كما تناول فيه الباحث النشاط الفلاحي لبادية المغرب الوسيط والتي يمكن إسقاطها على مغربنا الأوسط في فترات سبقت فترة هذه الدراسة.

- وفي سياق الدراسات الفقهية التي قدمها لنا مجموعة من الباحثين المغاربة في شكل مقالات نشرت في عدة مجلات والتي يمكن أن تفيد موضوعنا والتي تعلقت بالخصوص بالجانبين الاقتصادي والاجتماعي وبالأخص حقل تاريخ الأفكار والذهنيات واذكر منها :

- بوتشيش إبراهيم القادري: مباحث في التاريخ الاجتماعي في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين ط1، دار الطباعة والنشر، بيروت، لبنان 1998م.

خلاله رسم صورة عن طبيعة الحياة الاقتصادية و الاجتماعية وما يكتنفها من غموض خاصة في ظل التغيرات التي اشتملت المنظومة القبلية لبلاد المغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة .

لا تخفى على الباحث اليوم الأهمية التي تكتسيها دراسة تاريخ البادية بمكوناتها الجغرافية والبشرية والحضارية، كما لا تخفى عليه أيضا الصعوبات التي تصاحب المتطلع إلى دراسة هذا التاريخ الذي ظل مهملا أو منسيا لفترات طويلة لأسباب عديدة أهمها قلة المادة المعنية، إلا أنه وبالرغم من ذلك حاول المؤرخ المعاصر أن يقتحم عالم البادية المغربية مفتشا عما يسد به الثغرات الكبيرة التي تخترق المصادر التقليدية التي قلما توجد بها معلومات حول التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية<sup>1</sup> التي يبنى عليها الحياة الريفية.

تحتل دراسة البادية بكل خصائصها في العصر الوسيط عامة وفي المغرب الأوسط خاصة مكانة هامة في الدراسات التاريخية المنوغرافية، فهي من القضايا الجادة التي يثيرها البحث في البنى المكونة لجغرافية بلاد المغرب وفئاته.

وما يمكن تأكيده أن المصادر التاريخية اهتمت في غالب الأحيان بالحوضر والمدن ولم تولي اهتماما بالحياة الريفية إلى ما كان عرضا والذي لا يمكن أن يرويا عطش الباحث الخائض في مثل هذا الموضوع. ولهذا تشكل البادية المغربية في عصر الوسيط بخصائصها ومكوناتها جزء لا يتجزأ من جغرافية المغرب، فمن مميزات أنما مكان لنشاط الزراعي<sup>2</sup> بأرضها وثروتها الحيوانية، فحظائر الحيوانات ومعاصر الزيتون ومطاحن القمح تشكل البناء الاقتصادي للبادية أما البناء الاجتماعي فيقوم على العيش في وسط عشائر على ارض مارسوا فيها عملهم الزراعي على أساس تعاوني اجتماعي، فريف كان يمثل طابع الحياة الاجتماعية القائم على

<sup>1</sup> حاول بعض الباحثين التركيز على الجانب الاجتماعي والاقتصادي للمغرب الإسلامي ونذكر أهمها : عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2003م؛ الجنحاني الحبيب: دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م؛ حركات إبراهيم: المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط، دار إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 1998 م.

<sup>2</sup> هناك بعض الدراسات في المجال الزراعي رغم أنها لا تتعدى مقالات نذكر منها : العلاقات الإنتاجية بين المزارعين وأرباب الأراضي في المغرب والأندلس خلال القرن السادس الهجري، ضمن: إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي، ط 1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، (د،ت)؛ بوشريط أمحمد: الزراعة بالمغرب الأوسط الإمكانات والخصائص، "مجلة الناصرة للدراسات الاجتماعية و التاريخية"، العدد 4، الجزائر، جوان 2013م؛ أبو المعاطي محمد العباسي يحي: الملكيات الزراعية وأثرها في المغرب والأندلس ( 238-488 هـ / 1095-1852م) دراسة تاريخية مقارنة، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه مرقونة، إشراف : طاهر راغب حسين، 1421 هـ - 2000 م.

الاقتصاد<sup>1</sup> الزراعي وتربية المواشي<sup>2</sup> وكما يقال أن الإنسان وليد بيئته والمقصود به أن كل مجتمع يطبع نفسه على شخصية أفرادهِ حيث تتجسد في شخصية الأفراد مكان سائدا في المجتمع من دوافع وقيم وأساليب تفكير، فالبينة الاجتماعية بمختلف أنماطها وعواملها لها تأثير على نمط السلوك من أجل تكوين فرد قادر على العيش في النظام الاجتماعي.

ومن هنا تبرز قيمة هذا الموضوع وهو محاولة الكشف على الأنماط السلوكية التي توحى بأفكار وذهنيات كانت مترسخة لدى إنسان البادية، كما أن المرتكزات الاقتصادية والاجتماعية للبادية في العصر الوسيط تفتح بابا ضيقا لدخول في حيز رحب وهو عالم الأفكار والذهنيات التي تسلت إلى الوعي الجمعي وصارت تمثل موقفا جماعيا مشتركا وبحسب اطلاعي فان هذا الجانب لم يحضى بدراسة مستقلة تتعرض لطبيعته وتلملم خيوط صورته ومن هنا تبدوا أهمية هذا البحث كما محاولة لاستدراك هذا الجانب المغيب في الكتابة والبحث التاريخي والمساهمة بقدر الإمكان في دراسة فكر أهل البادية وذهنيتهم.

## ب- دوافع اختيار الموضوع

أما عن دوافع البحث فقد تشكلت لدي جملة من الهواجس التي تتعلق بالحياة اليومية في البادية، من علاقات اجتماعية ومعاملات اقتصادية ثم قادي التفكير إلى تأثير كل ذلك في عقلية أهل الريف ثم تضاعف يقيني بضرورة دراسته ضمن بحث أكاديمي يجعل من البادية وخصائصها المطلب الأول له، هذا ولاسيما أنني لم أقع في حدود اطلاعي على دراسة مستقلة خصصت بكاملها لهذا الغرض .

إن المتتبع في سير الدراسات التاريخية الحديثة والمعاصرة عن المغرب الأوسط في العصر الوسيط يلاحظ أن معظمها تركز على دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للحواضر والمدن المغربية، حيث شهدت الكتابة

<sup>1</sup> من الدراسات الهامة التي عنيت بالنشاط الاقتصادي، ينظر إلى دراسة الباحثة فاطمة بلهوارى: النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ والآثار، جامعة وهران السانية، 2004/2005م.

<sup>2</sup> شكل الرعي نقطة هامة في تاريخ البادية لهذا أخذ بعض الباحثين في تناوله ضمن دراسات خاصة نذكر أهمها: - فاطمة بلهوارى: "النشاط الرعوي في بلاد المغرب خلال القرن الرابع الهجري، مجلة كان، العدد8؛ أطروحة الباحثة نوال بلمداني : نظام الرعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (4-5هـ/10-11م)، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2013-2014م.

- موسى هوارى: تربية الحيوانات في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين ق1-7هـ/ 7-13م، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008-2009م.

التاريخية العديد من المؤلفات التي ساهمت في الكشف عن التطورات السياسية والحضارية والعمرانية للمدن برغم من أسبقية إقليم البادية في النشأة والتكوين في حين لا نكاد نقف على دراسة واحدة حول التاريخ الحضاري للبادية .

لقد شهدت الدراسات الحديثة والمعاصرة خاصة منها الإستشراقية اهتمام كبير بمجتمع المغرب الأوسط وتناوله ضمن مجتمع البدوي الذي في نظرهم يصور لمجتمع قبلي تسوده الصراعات القبلية وأنه مجتمع تترسم فيه الأفكار الجامدة التي حاولت المدرسة الاستعمارية من خلالها تفكيك أساس المنظومة الاجتماعية لمغربنا الأوسط فكانت الرغبة تراودني في تناول الموضوع محاولا إثبات العلاقة بين القبيلة والبادية موضحا أساس الترابط بينهما .

وكمحاولة مني لتسليط الضوء على جوانب مهمة اجتماعية واقتصادية في تاريخ البادية بغرض توضيح طبيعة الحياة البدوية وأنماط التعايش الإنساني في هذا المجال الجغرافي الواسع .

## ج- الدراسات السابقة :

إن الدراسات السابقة عن موضوع البادية قليلة أو محدودة ، في حين ما أنجز منها كان شاملا غير مخصص فقد تناول محمد حسن في مؤلفه " المدينة والبادية في العهد الحفصي "موضوع الاقتصاد والمجتمع مشيرا إلى أهمية اقتصاد البادية في ازدهار الحياة بالمدينة وبالرغم من أن هذه الدراسة لم يكن مجالها المغرب الأوسط إلا أنها تناولت في طياتها الجزء الشرقي منه بالتلميح لا التصريح

كما تناولت الدراسة الموسومة ب:النوازل الفقهية والمجتمع،أبحاث ودراسات في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن 6هـ إلى القرن 9 الهجري عديد الجوانب الاقتصادية والاجتماعية المتعلقة بالبادية والريف ،حيث بينت تفاعلات مكونات المجتمع المغربي

ومن بين الدراسات التي عنيت ببادية المغرب الأوسط وإن كانت شاملة نجد كتاب جودت عبد الكريم يوسف والذي تطرق فيه إلى مختلف الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للجغرافية المغرب الأوسط

## د- طرح إشكالية البحث:

وقد أنشد انشغالنا على كل هذه القضايا إلى جملة من التساؤلات والإشكالات التي تعكس الفضول في معرفة المناخ الاقتصادي والاجتماعي لبادية المغرب الأوسط بصفة خاصة ومدى تأثير أنماطها على الذهنية والسلوك لدى أهل البدو :

ما هي ابرز سمات الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بادية المغرب الأوسط و إلى أي مدى أثرت على ذهنية وسلوكيات الإنسان البدوي ؟

وقد اندرجت تحت هذه الإشكالية العامة مجموعة من التساؤلات الفرعية :

-بماذا تميزت حياة البادية في العصر الوسط وما هي ابرز السمات والمرتكزات الاقتصادية والاجتماعية لريف آنذاك ؟

-إلى أي مدى تعكس لنا النظم الاقتصادية والاجتماعية الأنماط التفكيرية والذهنية لأهل البادية وما هي المؤثرات التي تتحكم في ضبط تفكيرهم ؟

-ما مدى امتثال المجتمع البدوي بمنظومته القيمية والأخلاقية ؟

ومن خلال بحثنا هذا نحن نهدف إلى تحديد بعض النقاط أهمها:

-الحديث عن البادية في العصر الوسيط على أساس أنها لبنة أساسية في تكوين المجال الجيو سياسي والاجتماعي لكيان المغرب الأوسط .

-تبيان الخصائص البارزة في الحياة الريفية والتي تعتبر ميزات خاصة بها .

-تهدف هذه الدراسة إلى إمطة اللثام عن موضوع لم ينل نصيبا من الدراسة والبحث الكافي والذي يمكن تصنيفه في خانة التاريخ المسكوت عنه .

- محاولة الكشف عن الأنماط والواقع الاقتصادي والاجتماعي لبادية المغرب الأوسط وتبين مدى الانعكاسات التي خلفتها تلك الأنماط على التفاعلات في السلوك الذهنيات.

## هـ - المنهج:

وبغية الإجابة على كل ما يتعلق بهذا الموضوع وما يحيط به من ملابسات، كان معتمدنا على المنهج التاريخي وبعض آلياته من نقد، وتحليل، ووصف، واستنتاج، في محاولة منا لمعالجة إشكاليات الموضوع؛ فعمدنا إلى استجلاء واستقصاء وجمع كل الإفادات التي أدلت بها المصادر التاريخية حول موضوع البادية، واستنطاق النص التاريخي، حيث ركزت على التحليل والاستنباط من أجل استقراء مظاهر الحياة البدوية بالمغرب الأوسط والتفاعلات والممارسات الإنسانية والنفسية .

## و - الصعوبات:

لا شك أن موضوع بادية المغرب الأوسط موضوع صعب نظرا لأنه يتعلق بحقل الاجتماعي والاقتصادي وعلاقته بالأنماط التفكير والذهنية، خاصة حينما يجد الباحث نفسه في ظل ندرة الكتابات التاريخية المعاصرة لفترة الدراسة وتركيزها على الجانب الحضري على حساب المجال البدوي المهمش ولهذا فإن الحديث والبحث في تجليات الحياة البدوية وارتباطها بالأنماط الإنسانية هو أمر جد صعب ومعقد في حثياته الاجتماعية والاقتصادية .

## ز - عرض الموضوع:

وتماشيا مع ما توفر لي من من معطيات و مادة العلمية المتاحة، وكذا حرصا مني على إتباع خطوات المنهجية المعتمدة في البحث ارتأيت إلى تقسيم هذا الموضوع إلى أربعة فصول مع ترتيبها ترتيبا موضوعيا، وذلك بعد أن إستهلكت الدراسة بمقدمة عاجلت فيها أهمية الموضوع، وكذا أسباب اختيار الموضوع وطرحت فيها الإشكالية المراد معالجتها، ثم بعد ذلك تناولت دراسة الموضوع من خلال المتن الذي بدأته بـ:

فصل تمهيدي بعنوان بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات حاولنا فيه أن نقف على ماهية البادية من خلال التطرق إلى الاصطلاح والدلالة؛ حيث ضبطنا مصطلح البادية من خلال تقديم تعريف لغوي واصطلاحي، وكذا التعرّيج على بعض المصطلحات المشابهة والمرادفة للفظ البادية ؛ كما عنيينا بتتبع المميزات والخصائص التي تميز بها بادية المغرب الأوسط، والتي جعلت منه مادة مهمة في البحث، لنختتم هذا الفصل بقيمة وأهمية البادية كمجال جغرافي، من خلال تسليط الضوء على طبيعة المجتمع البدوي .

أما الفصل الأول فكان بعنوان الحياة الاقتصادية لبادية المغرب الأوسط وتناولت فيه العناصر التالية بداية النشاط الفلاحي لبوادي المغرب الأوسط التي تطرقت فيه إلى : نظام الأرض الري، وقضايا المياه الإنتاج الزراعي، وكذا الرعي في بادية المغرب الأوسط إضافة إلى الحرف والصناعات البدوية وتناولت فيه أهم الصناعات البدوية ثم النشاط التجاري في بادية المغرب الأوسط وركزنا فيه على الأسواق والطرق والمبادلات التجارية

أما الفصل الثاني فعنوانه بالحياة الاجتماعية لبادية المغرب الأوسط سلطنا فيه الضوء على مجتمع البادية دراسة التركيبية السكانية من خلال تسليط الضوء على الأنساب والعصبيات وعناصر المجتمع البدوي وكذا الولوج إلى نقطة الحراك القبلي وتأثيره على البنية الديموغرافية للبادية ثم العنصر الثاني الذي بينت فيه النظام العشائري القبلي في بادية المغرب الأوسط من خلال تسليط الضوء على العناصر التالية شيخ القبيلة ومجلس الأعيان والعامدة دون أن أنسى خصائص نظام القبيلة التي تعتبر الركيزة الأساسية لهذا المجتمع، أما العنصر الثالث فوضحت فيه خصائص المجتمع البدوي في المغرب الأوسط من عادات وتقاليد وغيرها من أمور الحياة اليومية .

في حين كان الفصل الثالث تحت عنوان خلفيات وأثار الأنماط الاجتماعية والاقتصادية على السلوك والذهنية في بادية المغرب الأوسط، حيث تناولت فيه انعكاسات العادات والتقاليد على ذهنية أهل البادية وكذا انعكاسات المعتقدات الدينية على ذهنية أهل البادية بما فيها تأثير الموروث الديني القديم على ممارسة الطقوس الدينية، كما بينت تأثير الهجرة على الذهنية الإنسان البدوي وما تخلفه من أثار نفسية على عقلية الفرد.

كما تطرقت إلى خلفيات وأثار الأنماط الاقتصادية على السلوك والذهنيات حيث تتبعناها بداية بـ:

توضيح انعكاسات وأثار الأزمات الطبيعية والسياسية على العقلية البدوية ثم تأثير المستوى المعيشي على ذهنية أهل البادية وفي الأخير انعكاسات نظام الجباية على ذهنية أهل البادية.

خاتمة خرجنا فيها بأهم النتائج حول موضوع البادية وتأثيرات الحياة الاقتصادية الاجتماعية والدينية على سكان بادية المغرب الأوسط لنخلص إلى عدة نتائج .

## ط - عرض وتحليل لأهم المصادر المراجع:

ولأجل تغطية موضوع البحث وجب الاعتماد على ببليوغرافيا متنوعة متكونة من مجموعة من المصادر والمراجع منها كتب التاريخ العام كتب الجغرافيا والرحلة وكتب الحوليات وكتب النوازل الفقهية، التي عنت بكتابتها ورواياتها بالموضوع المتمثل في بادية المغرب الأوسط في العصر الوسيط .

### أولاً: كتب التاريخ العام

لكل بحث وموضوع مشاربه المصدريه ولا شك أن كتب التاريخ العام والحوليات ستكون في الصدارة:

من بين المصادر العامة المعتمد عليها أذكر من أهمها كتابين لابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان عبد الرحمان بن محمد المنوفي سنة (808هـ/1406م)، يتفق المؤرخين أن كتابه:

### - ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر<sup>1</sup> يعد

المصدر الأول، الذي يجب الاعتماد عليه في دراسة تاريخ المغرب الإسلامي ، فقد عدت إلى الأجزاء الخاصة بتاريخ المغرب الأوسط لاحتوائهما على معلومات قيمة عن موضوع البادية ، كما أنه يحتوي على أخبار وسير حركة القبائل البربرية وحركاتها الإقتصادية والسياسية، لذلك تعد معلوماته التاريخية عن قبائل ودورها الجيو اقتصادي قيمة ولا نكاد نعثر على نظيرتها في المصادر الأخرى.

### - كتاب المقدمة<sup>2</sup> ، الذي يعتبر موسوعة شاملة لما تحتويه من مواضيع علمية متنوعة وهي خلاصة

نظريات التي أفرزتها دراسة ابن خلدون للقبائل والمجتمعات، الذي فصل عديد الأحداث، وكان اعتمادنا عليه أساسيا وخاصة في الجانب الاجتماعي للبادية لما تميز به من فكر عميق وشمولي يتجاوز المجال المحلي، فقد استطاع هذا المؤرخ بثقافته الموسوعية وجهده الفكري، أن يشكل رافدا له أهمية لإضاءة زوايا عديدة من فصول البحث خاصة .

### - كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب<sup>3</sup> لابن عذارى أبو العباس أحمد بن محمد

المراكشي المنوفي سنة (721هـ/1321م ) ، يأتي هذا المصدر بعد ابن خلدون من حيث الأهمية التاريخية خاصة الجزء الأول فهو يتناول تاريخ المغرب منذ الفتح الإسلامي وحتى سقوط الدولة المرابطية.

<sup>1</sup> تح: خليل شحادة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م.

<sup>2</sup> دار الكتب العلمية، ط9، بيروت، لبنان، 1428هـ / 2006م.

<sup>3</sup> تح: ج، س، كولان ، ليقي بروقنسال، دار الثقافة، ط3، بيروت لبنان، 1983 م.

- كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير علي بن أبي الكرم محمد بن محمد أبو الحسن المتوفى (630هـ/1230م) وعدت أيضا إلى هذا الكتاب، فرغم دراسته الجيدة ومادته الغزيرة إلا أنه كتابته عن تاريخ الاجتماعي للمغرب قليل جدا ومتفرق بين الأجزاء السابع والثامن والتاسع وقد أفادني في الفصل الأول والثاني.

- أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام<sup>1</sup> للسان الدين بن الخطيب (ت 676 هـ /1376م) ، هذا الكتاب له أهمية كبيرة حول تاريخ الدول التي كانت قائمة في بوادي المغرب الأوسط .

### ثانيا: كتب الأنساب

تساعد كتب الأنساب في معرفة أصول القبائل وتحديد مواطنها الأصلية، وتتبع تطورها وتنقلاتها، كما تمكننا من معرفة النطق الصحيح لها، والاطلاع على تركيبتها وفروعها. وعلى الرغم من أن النسابة اختلفوا في تحديد أصل صنهاجة، إلا أن ما يميز النسابة المشاركة عن المغاربة، أن الأخيرين اكتفوا بذكر نسب صنهاجة إلى البرانس دون أي تفصيل، عكس الأوائل الذين ألحوا على النسب العربي اليمني الجنوبي لصنهاجة.

والملاحظ على كتب الأنساب التي بين أيدينا غياب المصادر المحلية، إذ أنها مشرقية أو أندلسية في معظمها، وعلى الرغم من أن هذه الأخيرة تعتمد على روايات لنسابة مغاربة أمثال: المطاطي الذي ينقل عنه ابن خلدون ومهما يكن من أمر فقد استندت الدراسة إلى جملة من كتب الأنساب، منها:

- كتاب جمهرة أنساب العرب<sup>2</sup> لابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت 456 هـ /1064 م)، وقد ساعدن هذا الكتاب في الفصل الثاني وذلك للتعرف على انساب القبائل البربرية التي سكنت بوادي المغرب الأوسط.

- تذكرة الألباب بأصول الأنساب<sup>3</sup> لأبي جعفر أحمد بن عبد الولي البتي البلنسي الأندلسي (488هـ) فقد أعانني هذا الكتاب في توضيح نسب سكان بادية المغرب الأوسط "البربر"

<sup>1</sup> تح: أحمد مختار العبادي وإبراهيم الكتاني، دار الكتاب لنشر والتوزيع، الدار البيضاء ، المغرب، 1964م.

<sup>2</sup> تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط5، القاهرة، مصر، 1982 م.

<sup>3</sup> تح: محمد مهدي الموسري الخرساني، مؤسسة المواهب، بيروت، لبنان، ط1، 2001م.

## ثالثا :كتب الجغرافيا والرحلات

أما بالنسبة لكتب الرحلات والجغرافيا فهي كثيرة ومفيدة في معرفة تحليلات الحياة الاجتماعية لأهل البادية إضافة أنها مكنتني من رسم صورة شاملة عن المجالات البدوية وتحديد الأمكنة بدقة كما أن هذا النوع من المصادر مكنتني من جني معلومات عن اقتصاد البوادي وتضاريسها ومجالها، فقد اقترن ذكرها للبادية من خلال وصف الأماكن البراري وما تحويه من منتوجات نباتية وحيوانية، فهذا الصنف من المصادر يأتي على رصد وجرد الإمكانيات التي تمتاز بها بوادي المغرب الأوسط

لكن أهميتها لا تبرز بشكل كبير في هذا البحث خاصة وأنها لم تركز على حياة البدو إلا ما كان عرضا وبالتالي معلوماتها في هذا المضام شحيحة، فلا نجد في ثناياها إجابات شافية ومستفيضة ولكن عندما نعود إلى ما تخفيه كتب الرحلة والجغرافيا فانه بإمكاننا أن نستشف ونرصد معلومات قيمة عن البوادي ومواقع وعاداتها وتقاليدها ونذكر منها:

- **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب للبكري، أبي عبيد بن عبد العزيز (ت487 هـ/1094م):** يحتوي هذا الكتاب على مجموعة قيمة من المعلومات عن الظروف الاقتصادية التي كانت تعيشها بوادي المغرب الأوسط وانه قد عاصر أهم عنصر اجتماعي وهو الهجرات الهلالية خلال القرن الخامس الهجري وما أثرته على البنية الاجتماعية لباديته

- **كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق<sup>1</sup> أبي محمد بن إدريس الحسيني المعروف بالشريف الإدريسي المتوفى سنة(548هـ/1159م)،** ، يشمل هذا الكتاب عل معلومات مهمة في الجغرافيا عن العمارة والمدن والبوادي فقد أعطى لنا صورة واضحة عن الجوانب الاجتماعية المتعلقة بالعادات والتقاليد وحركة القبائل وانتشارها في بوادي المغرب الأوسط غير ذلك كما استخدمت كذلك :

- **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار<sup>2</sup> لمؤلف مجهول (من كتاب القرن 6هـ)،** تحقيق:سعد زغلول عبد الحميد، طبع ونشر دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، (د،ت). الذي يحتوي على معلومات كثيرة حول بوادي المغرب الأوسط وحواضره يعطينا وصفا شاملا لها، ومن الكتب أيضا:

<sup>1</sup> تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

<sup>2</sup> تح:سعد زغلول عبد الحميد، طبع ونشر دار الشؤون الثقافية العامة،العراق،(د،ت).

- كتاب معجم البلدان<sup>1</sup> لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت الحموي الرومي البغدادي (ت 626 هـ / 1228 م)، وهو معجم جغرافي تاريخي أدبي، شمل كل أنحاء العالم الإسلامي، وقد أفادني في تحديد مجال الجغرافي لبوادي المغرب الأوسط والمغرب الأوسط وبعض المناطق الأخرى القريبة منها .
- الروض المعطار في خير الأقطار<sup>2</sup> لصاحبه الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت 727 هـ / 1336 م) : ورغم أن المؤلف قد نقلنا عن البكري وابن حوقل فقد أضافت التطورات التي حدثت على البادية ومقارنتها بوقته شيء جديدا ، فقد أفادني في دراسة الجانب الاقتصادي للبادية حيث استفدت منه في رسم الطرق التجارية على وجه الخصوص من خلال ما يتضمنه من معلومات عن الطرق والمبادلات التجارية ، وكذا الثروة سمح لنا بأخذ فكرة عن الإنتاج الزراعي في بوادي المغرب الأوسط .
- وصف إفريقيا للوزان<sup>3</sup>، محمد الفاسي (ت 957 هـ / 1552 م) المعروف بليون الإفريقي: بالرغم من أن المؤلف من الطبقة المتأخرة في العصر الوسيط إلا أنه كان مفيد جدا في وصفه لمظاهر الحياة الاقتصادية للبادية كما وضح لنا الطرق التجارية وبعض المبادلات والسلع .

#### رابعا : كتب الفتاوى والنوازل الفقهية

يفرض العمل على موضوع البادية العودة إلى نوع مغمور من المصادر والتي تمتاز بالصفة التشريعية القانونية المعروفة بكتب النوازل الفقهية لأنها تحمل آراء فقهاء عاجلوا العديد من القضايا المطروحة سواء أكانت اجتماعية متعلقة بالحياة اليومية أو معاملات تجارية وزراعية، فهي تفيد في الوقوف على آراء الفقهاء من بعض الطقوس والممارسات الاقتصادية والاجتماعية لمجتمع البادية المغرب الأوسط :

- المعيار العرب والجامع المغرب في فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب<sup>4</sup> للونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى التلمساني (ت 914 هـ / 1508 م): يعطينا هذا المصدر من خلال نوازله الكثير من المعلومات حول أنماط التعايش داخل المجتمع البدوي فقد أفادني كثيرا في الوقوف على مظاهر وخصائص البادية وكذا السلوكات المنتشرة في أواسط مجتمعتها ، كما يعتبر هذا المصدر مفتاح لدراسة عدة جوانب من

<sup>1</sup> دار صادر، بيروت، لبنان، 1397 هـ / 1977 م.

<sup>2</sup> تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984 م.

<sup>3</sup> تر: محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، لبنان، 1983 م.

<sup>4</sup> تح: محمد حجي و آخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987 م.

التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط خصوصا، حيث استفدت من في الفصل الأول فقد أفادني بمعلومات كثيرة عن النشاط الفلاحي في بوادي المغرب الأوسط كما أفادني في الفصل الثالث المتعلق بالجانب الاجتماعي والاقتصادي الديني لإقليم البادية في العصر الوسيط، إلا أن فتاوى المعيار عرفت اختلافا في الحكم من نازلة إلى أخرى وهذا ناتج عن اختلاف العرف من منطقة إلى أخرى.

- **جامع مسائل الأحكام<sup>1</sup> للبرزلي، أبو القاسم بن أحمد البلوي (ت841هـ/1438م):** يعتبر هذا الكتاب مصدرا مهم لدراسة أوضاع البادية والوقوف على الحياة الاقتصادية والمعاملات التجارية وما تعلق تملك الأراضي الفلاحية والأنشطة الزراعية الممارسة والعلاقات الاجتماعية خاصة تلك التي تبرز لنا تمتزج الأفكار والسلوكات الممارسة في ظل النظام القبلي .

- **الدّرر المكنونة في نوازل مازونة<sup>2</sup> للمازوني أبو زكرياء يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي التلمساني ، (883هـ/1429م)،** لقد كان المازوني اقرب مصدر كتب عن الحياة البدوية ولهذا فكان لا بد من الاستعانة به فقد أفادني كثيرا في الفصل الأخير ،حيث يوضح لنا تأثير الطبيعة على الحياة البدوية وبعض السلوكات الممارسة والمنتشرة في عقليات أهل البادية.

#### خامسا :الكتب المناقبية والطبقات

بالرغم من أن كتب التراجم والطبقات والسير قد ركزت في إطارها العام على شريحة معينة من المجتمع إلا أنها تحمل في طياتها بعض من الإشارات التي تفيد في دراسة المجال البدوي بشقيه الاقتصادي والاجتماعي خاصة وأنها تعتبر مصادر أصلية نظرا لمعايشتها الأحداث ونذكر منها :

- **كتاب أخبار الأئمة الرستميين<sup>3</sup> لمؤلفه ابن الصغير المالكي الذي عاصر أواخر أيام الأئمة الرستميين منذ عهد أبي يقظان،** ولهذا اكتسى هذا الكتاب أهمية كبيرة خاصة بالنسبة لتاريخ الدولة الرستمية فقد احتوى على الكثير من المعلومات حول تاريخها السياسي و الحضاري، حيث أفادني في الفصل الأول من خلال المعلومات القيمة التي تناول فيها أخبار بوادي تاهرت وما جاورها خاصة نشاط تربية المواشي والخيول .

<sup>1</sup> تج: محمد الحبيب الهيلة، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2002م.

<sup>2</sup> تج: مختار حساني، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر و التوزيع، الجزائر، 2009م.

<sup>3</sup> تج: إبراهيم بحاز ومحمد ناصر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د ط)، 1986م

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وفاس لأبي الزرع الفاسي فقد ضم هذا المؤلف معلومات قيمة عن الحياة الاجتماعية، وعلى الرغم من أنه محسوب على المغرب الأقصى إلا أنه قد أعطانا إشارات طفيفة عن التركيبة السكانية لبوادي المغرب الأوسط .
- طبقات المشايخ بالمغرب<sup>1</sup> لأبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني (ت670هـ/1271م) فقد أفادني هذا المصدر من معرفة بعض الأمور عن بوادي جنوب المغرب الأوسط الاجتماعية والاقتصادية .

### سادسا : كتب المعاجم

تشكل كتب المعاجم بما تحتويه من مادة علمية تمكنا من ضبط المصطلحات الجغرافية والاقتصادية خاصة تلك التي تتعلق بمجال الدراسة التاريخية الوسيطية والتي اذكر منها :

- لسان العرب<sup>2</sup> لابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت711هـ)، أساس البلاغة<sup>3</sup> للزمخشري معجم مقاييس اللغة<sup>4</sup> لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا فقد مكنتني هذا المعاجم اللغوية من ضبط المصطلحات الجغرافية لبادية والمشاهدة لها في الفصل التمهيدي من اجل تحديد البادية بدقة.
- أما المراجع التي اعتمدت عليها فهي كثيرة خاصة التي لها صلة بموضوع البحث، حيث مكنت من التعمق في بعض فصوله وتفرعها، وأفادت في إضاءة بعض الزوايا من خلال النتائج التي توصل إليها أصحاب المراجع وكذا طريقة تناول الموضوع من بينها على وجه الخصوص لا الحصر :

- كتاب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث و الرابع الهجريين<sup>9</sup>، و10الميلادي<sup>5</sup> لمؤلفه الأستاذ عبد الكريم جودت الذي مكنتني من الوقوف على أبرز وأهم الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لمجتمع بادية المغرب الأوسط.

- كتاب "قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 6\_9هـ/12\_15م دراسة في دورها السياسي و الحضاري لمؤلفه الأستاذ مفتاح خلفات حيث استفدت منه في موضوع بحثي خاصة في الفصل الثاني حيث يقدم لنا معلومات قيمة عن ذكر أهم جوانب المتعلقة بمجتمع البادية في الفترة الوسيطية.

<sup>1</sup> تح: إبراهيم طلابي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974م.

<sup>2</sup> تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د ت).

<sup>3</sup> تح: محمد باسل عيون السود، ط1، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، (د ت).

<sup>4</sup> تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1399هـ/1979م

<sup>5</sup> ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، (د ت).

- كتاب المدينة والبادية بافريقية في العهد الحفصي لصاحبه محمد حسن الذي استفدت منه في تحديد وضبط مفهوم البادية والمدينة وأهم جوانب الحياة في مجتمع إقليم البادية وحول العلاقة بين البادية والمدينة.

وكأي بحث فقد واعترضني بعض الصعوبات - وهو أمر لا مفر منه - والتي أذكر من بينها :

\_\_ قلة المادة العلمية التي تطرقت إلى الموضوع المراد دراسته والمتمثل في بادية المغرب الأوسط ، حيث أن أغلب المؤرخين إن لم نقل كلهم اهتموا بالحواسر في حين نجد ندرة في الأخبار حول البوادي وإن كان أغلبه تركز على الجانب السياسي والعسكري لا يتعدى مجرد وصف .

وفي الأخير لا يسعنا سوى أن أشكر كل من ساعدنا في انجاز هذه الرسالة البسيطة وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور مفتاح خلفات على متابعته للموضوع فقد أفادني بتوجيهاته ونصائحه وكل من ساهم في انجاز هذا العمل من بعيد أو من قريب دون أن نسى حمد الله أولاً وطيلة الوقت.

## الفصل تمهيدي :بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

أولا :المفهوم اللغوي والاصطلاحي للبادية

1- الدلالة اللغوية لمصطلح البادية

2- المفهوم والاصطلاحي

3- البادية في المصادر التاريخية

ثانيا :جغرافية بوادي المغرب الأوسط في العصر الوسيط

1- جدلية الحدود والمجال الجغرافي

2- الإطار الجغرافي لبوادي المغرب الأوسط

3- بادية المغرب الأوسط المميزات والخصائص

شكل موضوع البادية اهتمام لفييف من المؤرخين والجغرافيين بصفة عامة، وهذا من منطلق أهميته البالغة في الدراسات التاريخية والسياسية الإقتصادية والإجتماعية والثقافية وقبل الخوض في دراسة موضوع بادية المغرب الأوسط في العصر الوسيط أرى من المفيد جدا ضبط مصطلح البادية في العصر الوسيط لغة واصطلاحا وكذا بعض المصطلحات المشابهة ، من أجل توضيح وتحديد المفهوم العام والشامل للبادية في العصر الوسيط .

### أولا /المفهوم اللغوي والاصطلاحي للبادية (desert)<sup>1</sup> :

إن البحث في تاريخ بوادي المغربية يشغل حيزا هاما من اهتمامات الباحثين والمهتمين بالتاريخ المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط على وجه الخصوص، إذ تعددت زوايا النظر وظل الموضوع واحدا. فتم تناول تاريخ البوادي من عدة زوايا دينية ،إقتصادية وبشرية وكذا من جهة العلاقات الإجتماعية والصراعات السياسية في حين راكمت مجموعة من الأبحاث تجربة لا يستهان بها في الوصف والتصنيف الجغرافي لجهات متزايدة الإتساع ، فقد أقدمت أبحاث أخرى ، وبالرغم من عددها المحدود ، على تجريب مفاهيم محورية وتطويعها في مجال التاريخ القروي و البدوي<sup>2</sup>.

فرضت الظروف الطبيعية المناخية لسكان المغرب الأوسط إزدواجية في نمط المعيشة، بين بدو ورحل ومزارعين مستقرين<sup>3</sup> أو حسبما قسمه العرب إلى مجموعتين بتر ويرانس ، وهذا التقسيم تبع لما ظهر من إختلاف في أساليب الحياة خاصة فيما تعلق الأمر باللباس أو حسب أساس ثقافي ولغوي<sup>4</sup> ، وعليه فإن إلتصاق الشمال الإفريقي القديم والوسيط بالبدواة يعد من الخرافات الجارية عند كثير من المؤرخين<sup>5</sup>.

وعلى الرغم من التقسيمات التي ذكرت فإن بلاد المغرب الأوسط تحمل في ثنايا ميزاتها عوامل فرضتها الخصوصية الجغرافية من جبال وصحاري وغيرها، ساعدت على التوطن البشري لمختلف القبائل بها وسيطرتها

<sup>1</sup> روجي البعلبكي : المورد (قاموس عربي انجليزي، دار العلم للملايين ، ط7، بيروت ، لبنان، 1995م، ص219.

<sup>2</sup> عبد الرحمان المودن وآخرون :البادية المغربية عبر التاريخ سلسلة ندوات ومناظرات ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ،المغرب 1999م، ص9-10.

<sup>3</sup> عبد المجيد مزiane :النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأسسه من الفكر الإسلامي ،الشركة الوطنية لنشر التوزيع،الجزائر،1981م،ص123

<sup>4</sup> حول أسس التقسيمات الاجتماعية في مغربنا الأوسط ينظر :موسى القبائل :دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن 5هـ،سلسلة الدراسات الكبرى ،الشركة الوطنية لنشر والتوزيع ،الجزائر ،1979م،ص93-94.

<sup>5</sup> عبد المجيد مزiane :المرجع السابق،ص123؛ عيمور سكيبة : ريف المغرب الأوسط في القرنين 5 و6هـ/11 و12م(دراسة اقتصادية اجتماعية )، رسالة ماجستير مرقونة، جامعة قسنطينة 2، 2012-2013 م ،ص3.

على مجاله بشكل دائم لذلك لا يمكن لأي سلطة السيطرة عليه دون السيطرة على هذه القبائل ولهذا بقي المغرب في معظم مناطقه عبارة عن بوادي دون تعمير .

## 1-الدلالة اللغوية لمصطلح البادية :

### أ- البادية في اللغة :

البادية مأخوذة من البدؤ والبادية والبداء، البدأؤه والبداءة مشتقة من الفعل بدا، ولهذا يقال بدا القوم بدوا أي خرجوا وإلى باديتهم وقيل البادية بادية لبروزها وظهورها<sup>1</sup>، وبدو من بدا الشيء يَبْدُو بَدُوا أي ظهر<sup>2</sup>، وقد عرفها ابن منظور(ت711هـ/1311م) في كتابه **لسان العرب** هي « اسم للأرض التي لا حضر فيها ، والاسم البدو فإذا خرج الناس من الحضر إلى المراعي في الصحاري قيل : قد بدوا ، ومنها البادية خلاف الحاضرة ، والحاضرة هم القوم الذين يَحْضُرُونَ المياه وينزلون عليها فإذا برد الزمان ظغنوا عن أعداد المياه وبدوا طلبا للقرب من الكلاء وينسب البادية بدوي ، فيقال لهذه المواضع التي يبتدى إليها بادية ، قيل للبرية بادية وتبادى تشبه بأهل البادية والبداءة بفتح الدال وكسر الباء تعني الإقامة في البادية »<sup>3</sup>. أما الزمخشري(ت1144هـ/538م) فيعرف البادية : لقد بدوت يا فلان أي نزلت البادية وصرت بدويا ومالك والبداءة؟ وتبدى الحضري ويقال: أين الناس؟ فتقول : قد بدو أي خرجوا إلى البدو وكانت لهم غنيمات يبدون إليها<sup>4</sup>.

تعرض النص القرآني إلى البدو والبادية فضلا عما خص بع الأعراب من آيات وعددها عشر<sup>5</sup> في قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجْدًا وَقَالَ يَا أَبْت هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًا

<sup>1</sup> أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الخزرجي، ابن منظور(ت711هـ/1311م) : لسان العرب، تح : عبد الله علي الكبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، (د ت)، ص235.

<sup>2</sup> أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين ، ج8، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، (د ط)، (د ت)، ص83.

<sup>3</sup> ابن منظور: المصدر السابق، ص235. الفراهيدي: المصدر السابق، ج8، ص83.

<sup>4</sup> أساس البلاغة ، تح: محمد باسل عيون السود، ط1، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت: لبنان، (د ت)، ج1، ص51.

<sup>5</sup> وردت مصطلح البادية في عدد من الآيات على اختلاف معانيها ونذكر منها : البدو، الباد، بادى، بادون، مبديه، تبدى، يبدى، ليبدى ، يبدون، يبدوها، تبدوه، تبدون، الأعراب ... ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس للألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، مصر، 1364هـ، ص ص 116، 452.

## الفصل التمهيدي : \_\_\_\_\_ بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

قَدْ أَحْسَنَ رَبِّي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السَّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾<sup>1</sup> كلمة البدو لفظ جمع للبادية وهي خلاف حضر

ووردت كلمة بادون وهي اسم فاعل / جمع مذكر سالم ومعناه مقيمون في البادية ،أو من أهل البدو<sup>2</sup> في قوله تعالى: ﴿يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>3</sup>، كما وردت بعض المصطلحات المشتقة من البادية بمعاني مختلفة منها: يُبْدَى وهو مضارع مبني للمجهول بمعنى يعلن<sup>4</sup> في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَمَّا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ عَفُورٌ ذَلِيلٌ﴾<sup>5</sup> ومنها أيضا مصطلح بدا بمعنى ظهر ولاح<sup>6</sup> في قوله تعالى ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>7</sup> .

كما وردت عبارة أهل البادية أو البادية مرات عديدة في الأحاديث النبوية منها «عليه مسحة أهل البادية» ،«ومن سكن البادية جفا» إشارة إلى طبيعة البادية القاسية وتأثيرها في سلوك النفس البشرية «ولا تجوز شهادة بدوي على صاحب قرية» لجهله بأحكام الشرع، «ولا بيع حاضر لباد» لجهل البدوي بأحوال الأسواق وتشير أحاديث أخرى إلى وجود علاقة طيبة بين الحضر والبدو ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يخرج إلى البادية التي يحبها<sup>8</sup> .

أما فيما يخص المعاجم اللغوية فقد تطرقت إلى كلمة البادية لغة أي أن بدو الباء والdal والواو أصل واحد وهو ظهور الشيء يقال بدا الشيء يبدو إذ ظهر فهو باد وسمي خلاف الحضر بدوا من هذا لأنهم في براز من الأرض وليسوا في قرى تسترهم أبنيتها والبادية خلاف الحاضرة ، قال الشاعر:

<sup>1</sup> سورة يوسف، الآية 100.

<sup>2</sup> أحمد مختار عمر: المعجم الموسوعي للألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، مؤسسة سطور المعرفة، ط1، السعودية، 1431هـ/2002م، ص89.

<sup>3</sup> سورة الأحزاب، الآية 20.

<sup>4</sup> أحمد مختار عمر: المرجع السابق، ص89.

<sup>5</sup> سورة المائدة، الآية 101.

<sup>6</sup> أحمد مختار عمر: المرجع السابق، ص89.

<sup>7</sup> سورة الأنعام، الآية 28.

<sup>8</sup> محمد حسن: البادية والمدنية لافريقية في العهد الحفصي ، المؤسسة الجامعية للطباعة والنشر، تونس، (د ت )، ج1، ص87.

فمن تكن الحضارة أعجبه      فأني رجال بادية ترانا<sup>1</sup>      "البحر الوافر"

وتقول بدا لي في هذا الأمر بدا أي تغير رأي عما كان عليه<sup>2</sup>

## 2- المفهوم الاصطلاحي:

ارتبط مصطلح البادية في بداية الإسلام بمجال القبائل والبدو غير أن مفهوم أهل البادية اخذ مكانة أخرى في كتابات المؤرخين ومصنفات الفقهاء في بلاد الغرب الإسلامي منذ عهد الأغالبة فقد أطلق على المزارعين في الريف أساسا وجاء في رياض النفوس حديثا عن بادية سوسة بمعنى ناحيتها في مجلس بن سحنون «كنت قاعدا عند ابن سحنون حتى أتاه رجل يقال له حسان بن شاكر فسأله: أين غبت يا حسان؟ فقال: في البادية، أصلحك الله، فقال: إن الله تعالى نبيا في البادية. ثم قال: ما حال مسجدكم؟ فقال له: كما تعرف البادية. فقال له سحنون: "وإني لأظنه تفتل فيه الحبال. فقال له: نعم، فما أصنع بهم؟"»<sup>3</sup>.

ولئن كان مفهوم أهل البادية يشمل في عمومته المستوطنين بالريف، أي العاملين بالزراعة في القرى والمجاشير والضاغنين والمنتجين فهو مقترن بصنف آخر كتب عنه محمد بن سحنون خلال القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي في قوله «كل من على ظهر يرحل ويتنجد، فهو بدوي، وكل قاطن مقيم مستقر فهو حضري، سواء كان في قرية أو مدينة أو مجشر»<sup>4</sup>.

ظل مفهوم البادية<sup>5</sup> غير دقيق حتى أنه كان يطلق في بعض الأحيان على كل المجال الموجود خارج الحواضر، وفي العموم شملت مجالين أساسيين الريف وهو مرتبط بالزراعة والخصب في المعاش حسب المفهوم

<sup>1</sup> "البحر الوافر" تفعلاته: مفاعلتن مفاعلتن فعولن مفاعلتن مفاعلتن فعولن.

<sup>2</sup> أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1399هـ/1979م، ج1، ص212؛ مجمع اللغة العربية المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، القاهرة، مصر، 1994م، ص41.

<sup>3</sup> أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبار وفضائلهم وأوصافهم، ج1، تح: بشير البكوش، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994م، ص369.

<sup>4</sup> نقلا عن محمد حسن: المرجع السابق، ص88.

<sup>5</sup> ورد ذكر مصطلح البادية في بعض المصادر التاريخية، كمصدر لجمع الضرائب من خلال وصية المعز لدين الله الفاطمي لبلكين بن زيري الصنهاجي يوم استخلفه على إفريقية والمغرب، قائلا: "إني نسيت ما وصىتك فلا تنس ثلاثة أشياء، إياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية.... وأفعل مع أهل الحاضرة خيرا"، ينظر: لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الغرناطي، ابن الخطيب (ت776هـ): تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط أعمال الأعلام، تح: أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1964م.

## الفصل التمهيدي : ————— بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

الخلدوني وقد عد أهله في بعض الأحيان من بين أهل الحضر والفيافي والصحاري التي تشكل المجال الحيوي للقبائل البادية والضاغنة في حلها وترحالها<sup>1</sup> وفي معناها الواسع هو نمط عيش مرادف للبداوة، وهو ما ينسحب على سكان بلاد المغرب الأوسط فابن خلدون (ت 808هـ/1405م) ذكر أن أهل البدو على: أنهم « المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الأنعام وأنهم مقتصرون على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال والعوائد ويقتصرون على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال والعوائد ويقتصرون عما فوق ذلك من حاجتي أو كمالي و يتخذون البيوت من الشعر والوبر أو الشجر أو من الطين والحجارة...»<sup>2</sup> من خلال تعريف ابن خلدون للبادية يمكن القول بأنهم البدو ضواغن ومستقرون.

وبهذا فالبادية تشكل ذلك المجال الجغرافي للقبائل البدوية والضاغنة في حلها وترحالها، ذلك أن البداوة نمط من أنماط الحياة الاجتماعية وهي بداية تكيف الفرد والجماعة مع الظروف البيئية الصعبة مركزين بذلك على مجموعة من القيم والعادات والتقاليد والنظم، كما إقترن مفهوم البادية بمفهوم الأعراب الذي ذكر في العهد الإسلامي الأول دون أن يكون ذا أهمية آنذاك، لسيطرة العمران الحضري في بلاد المغرب، لكنه طفح على السطح من جديد ابتداء من القرن 5هـ/11م بعد الهجرة الهلالية<sup>3</sup>.

ولقد أصبح مصطلح البادية أكثر إقترانا بالترحال في العصر الوسيط بعد سيطرة العرب الهلالية فتعددت مرادفاتهما مثل أهل الوبر مقابل سكان المدر ، وأهل العمود نسبة إلى الخيام التي تعهد آي تنصب وأهل الإبل والشاوية والقائمين على الشاء والبقر وأهل الغارة باعتبار أن طبيعة عيشهم تقتضي منهم الاستناد إلى الرماح والضواغن الرحالة الذين يحطون بالحلة أو النزلة فينصبون أوتادا الخيام ويوقدون النار في الأثافي وينتقلون من نزلة الصيف إلى نزلة الشتاء<sup>4</sup>.

---

ص64؛ ابن ظافر الأسدي: أخبار الدولة المنقطعة، تح: عصام هزيمة وآخرون، ط1، مؤسسة حماد، دارالكندي، الأردن، 1999م، ج1، ص34؛ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ، ابن خلكان (ت 681هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ، لبنان ، (د،ت)، ص286.

<sup>1</sup> محمد حسن: المرجع السابق، ص89.

<sup>2</sup> المقدمة: تح: درويش جويدي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، 2002م، ص115.

<sup>3</sup> عميور سكيئة: المرجع السابق، ص6.

<sup>4</sup> محمد حسن: المرجع السابق، ص88.

## الفصل التمهيدي : \_\_\_\_\_ بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

فالواضح من خلال هذه التعريفات للبادية يمكن أن نقول بأن مفهوم البدو يشتمل في الآن نفسه البدو والرحل والمزارعين المستقرين كما يذكر ابن خلدون أيضا أن العمران في بلاد المغرب الإسلامي قليلة والسبب في ذلك أن البربر كان عمرانهم بدويا ولم تستمر فيهم الحضارة حتى تستكمل أحوالها وأنهم أهل عصبية وانساب لا يخلو عن ذلك جمع منهم ، وكان أهل البدو يستنكفون عن سكنى المدينة أو الإقامة بها ولا يدعوهم إلى ذلك إلا الترف والغنى وقليل ما هو في الناس فلذلك كان عمران المغرب الإسلامي كله أو أكثره بدويا ومما سبق يمكن أن نستنتج أن سكان المغرب الإسلامي معظمهم يسكنون البادية<sup>1</sup>.

بقيت حدود مفهوم البادية غير دقيقة تماما وربما يرجع السبب حسب الباحث المغربي محمد الناصر أن صعوبة تحديد المناطق الجغرافية والقبائل بدقة إلى اختلاف امتدادها باختلاف الحقب التاريخية بحيث لا يتيح ذلك التعرف المنطقة المعينة والتعرف على حدودها ببعض التفاصيل وينطبق هذا خاصة على المجال القبلي الذي يتغير عبر التاريخ ولهذا تطرح هذه الصعوبة الموضوعية في تحديد المجال نوعية التمثيلات التاريخية لمختلف مستوياته المحلية والجهوية<sup>2</sup>، كما أن مصطلح البادية كان يطلق في بعض الأحيان على كل المجال الموجود خارج نطاق الحواضر وفي العموم شملت مجالين هما:

ـ **الريف**<sup>3</sup>: وهو مرتبط بالزراعة والخصب في المعاش ، حسب التحديد الخلدوني، وقد عد أهله في بعض الأحيان من بين أهل الحضر .

ـ **الفيافي والصحاري** : التي تشكل المجال الحيوي للقبائل البادية والضائعة في حلها وترحالها

وفي معناه الواسع نمط عيش مرادف للبداءة<sup>4</sup>، قال ابن خلدون (ت808هـ/1405م): «إن أهل البدو هم المنحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الأنعام، وأنهم مقتصرون على الضروري من الأقوات

<sup>1</sup> ابن خلدون: المصدر السابق، ص115، 121-122.

<sup>2</sup> مستويات المجال والبحث التاريخي في البادية، ضمن سلسلة ندوات ومناظرات "البادية المغربية عبر التاريخ"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب 1999م، ص161.

<sup>3</sup> يذكر ابن منظور في لسان العرب أن الريف لغة: يعني الخصب والسعة في الماكن والجمع أرياف ما قاب الماء من أرض العرب وغيره، وجمع أرياف والريف أرض فيها زرع خصب، ورافت الماشية أي رعت الراف، وفي الحديث تفتح الأرياف فيخرج إليها الناس، وهي جمع ريف وهو كل أرض فيها زرع ونخل؛ ابن منظور: المصدر السابق، ص1794

<sup>4</sup> تشمل البداءة بدوا وحضرا فلا يمكن حصرها إذن بمفهوم من الجغرافيا البشرية ، لأن تضمنها هو اجتماعي - اقتصادي، وهي مقياس الوجود الأدنى الذي هو الحياة الدنيا، وتعني الخصاصة أو الندرة، إذا ما اقتبسنا لفظا أصبح شائعا لدى الاختصاصيين الفلاسفة؛ جورج لا بيك: السياسة والدين عند ابن خلدون، تر: موسى وآخرون، دار الفارابي، ط1، بيروت لبنان، 1980م، ص194.

## الفصل التمهيدي : ————— بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

والملابس والمسكن وسائر الأحوال والعوائد <sup>1</sup> « ومن خلال ابن خلدون يتضح أن أهل البداوة هم البدو والناجعة و أشباه البدو وتحضر حياة الفلح ويمثلون أكثر أشكال الحياة الاجتماعية بدائية وشظفا في المدر إلى اقلها في الريف ومختلف درجات مجاهدة الإنسان للطبيعة من اجل بقائه أما الجيل الذي يعبر أفضل تعبير عن ماهية البداوة بوصفها نمط عيش بدائي حقا فهو جيل العرب وعمل حد تعبير ابن خلدون إنما العرب هم أكثر بداوة من سواهم <sup>2</sup> ، وأطلق مفهوم الأعراب <sup>3</sup> الذي ورد ذكره منذ العهد الإسلامي الأول ، دون أن يحظى بأهمية كبرى ، والأعراب في الجوهر مصطلح قديم أطلق على البدو من العرب، وخصه القرآن بعدة آيات <sup>4</sup> تبين طبيعة العلاقة القائمة بين الأعراب وبين مدينة يثرب ويشير إلى مدى تعنت القبائل الطرية ، ومخالفتها وضعف إيمانها في قوله تعالى ﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ <sup>5</sup> ، وقوله تعالى ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ <sup>6</sup> .

وعرف الأعرابي في لسان العرب بكونه بدوي صاحب نجعة وانتواء وارتياح للكأ وتنبع لمساقط الغيث، وهو الذي يحضر الماء شهور القبيظ لحاجة النعم إلى الورد <sup>7</sup> ، كما كان مصطلحا العرب والعربي مقتصرين في كثير من الأحيان على الأعراب البدو، ليس في تاريخ ابن خلدون فحسب، كما ذهب إلى ذلك بعض الدارسين، وإنما منذ القدم إذ ذكر الإخباريون في حديثهم عن عمر بن الخطاب العرب بمعنى الأعراب، وكما وقع إحياء مصطلح البدو مع بني هلال، فإن مصطلح العرب برز من جديد في سائر المصنفات التاريخية والفقهية للعهدين الموحيدي و الحفصي، مما ينهض حجة على أن المقصود بالعرب في كل هذه المصنفات هم الأعراب لا غير.

<sup>1</sup> ابن خلدون: المقدمة، ص126.

<sup>2</sup> جورج لا بيك: المرجع السابق، ص87-88.

<sup>3</sup> العرب :من أكثر المصطلحات التي ثار حولها الجدل عند دارسي المقدمة ، الذي استعمله ابن خلدون تارة بمعنى "البو" وتارة بشكل غامض إلا المقصود عنده هو أهل البادية والدليل قوله «وأما من كان معاشهم في الإبل فهم أكثر طعنا، وابتعد في القفر بجالا ، فكانوا لذلك أشد الناس توحشا، وينزلون من أهل الحواضر منزلة الوحش غير المقدور عليه وهؤلاء هم العرب.....» ، لأن العرب أبعد نجعة ، وأشد بداوة لأنهم مختصون بالقيام على الإبل فقط»؛ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، ابن خلدون (ت808هـ/1405م: البداوة والحضارة (نصوص من مقدمة ابن خلدون)، تحقيق: محمد العبد، المنتدى الإسلامي، لندن، ط1، 1413هـ/1993م، ص33.

<sup>4</sup> وردت مصطلح الأعراب في عدة سور قرآنية ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي: المرجع السابق، ص452.

<sup>5</sup> سورة التوبة، الآية 97.

<sup>6</sup> سورة الحجرات، الآية 14.

<sup>7</sup> ابن منظور: المصدر السابق، ص116.

## الفصل التمهيدي : \_\_\_\_\_ بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

ومما له مغزاه أن مصطلح الأعراب لم يعد مقتصرًا على البدو من العرب إنما اتسع معناه، وأصبح يطلق على المجموعات البدوية المنتمية إلى أصول مختلفة من بربر وعجم وذلك نتيجة تعريبها لغة وسلوكًا وحضارة، وانصهارها في المجموعات الهلالية السليمية المتغلبة، حتى أضحت القبائل البربرية الكبرى مثل زناتة وهوارة تنتسب إلى أصول عربية قديمة، من قحطانية ومضرية، فتحسب في عداد الأعراب لضعنهم وترحالهم<sup>1</sup>.

كما نسب كثير من القرى والمداشر القديمة إلى أصول هلالية وسلمية، وبالتالي لا يمكن اقتصار مفهوم الأعراب على الجماعات الهلالية التي نزلت ببلاد المغرب وإنما يتسع معناه ليشمل عدة قبائل بربرية وأخرى عربية وبذلك عرف مفهومه انزياحًا من المستوى العرقي إلى آخر مرتبط بنمط العيش. مما يفسر مدى أهمية هذا المصطلح في هذه الحقبة وارتباطه بالبادية<sup>2</sup>.

ويربط لنا محمد حسن عبد الله مفهوم البادية بالريف في تعريفه بأنها تلك البيئة الطبيعية الجغرافية المتميزة في تشكيل سكانها بحيث أن البدو هم أساسها ويمكن أن تعتبرها امتداد للريف كما يمكن أن تكون نقيضًا له حسب الموقع والنشاط العلمي في حين يذكر أن البداوة قيمة ومشاعر وأخلاق وسلوك<sup>3</sup>، ويتسع مفهوم البداوة ليشمل بدوا وحضرا فلا يمكن حصرهما إذن بمفهوم الجغرافية البشرية، لان تضمنها هو اجتماعي- اقتصادي<sup>4</sup>، ومن هنا يتضح أن مفهوم البدو يشتمل على كل من سكن البادية من بدو رحل ومزارعين مستقرين.

### 3- البادية في المصادر التاريخية :

هناك الكثير من الجوانب لم تلق نصيبًا كافيًا من الكتابة والتدوين حولها إلا في القليل النادر؛ ولعل ذلك راجع إلى طبيعة المؤرخ في العصر الوسيط الذي سار على نهج تأليف واحد في التأريخ والذي سيطر عليه في سرد الوقائع، فهو لم يستطع أن يؤلف خارج قوقعة السلطان؛ ونعني بذلك كتب التاريخ والحوليات التي في أغلبها ألفت على نهج واحد خاصة في قضية الموضوعات، فعادة ما اهتمت بالأحداث الكبرى من بطولات

<sup>1</sup> محمد حسن: المرجع السابق، ص90

<sup>2</sup> نفسه .

<sup>3</sup> محمد حسن عبد الله: الريف في: الرواية العربية، عالم المعرفة، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998م، ص173.

<sup>4</sup> جورج لا بيك: المرجع السابق، ص194

## الفصل التمهيدي : \_\_\_\_\_ بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

ومعارك وغيرها وكأنها الدولاب الوحيد الذي يحرك عجلة التاريخ دون غيرها من العناصر الفاعلة التي كانت محط التهميش والنسيان؛ فالتطرق إليها كان من زاوية العفوية والغير قصد وليس التأريخ لها فعلا.

ولعل البادية تعد من بين المجالات المغيبة في الدراسات والأبحاث ، فالكتابة حولها متناثرة بين بعض الروايات وموزعة بين دفات كتب التاريخ العامة؛ وبالتالي يمكن تصنيف البادية ضمن المسكوت عنه في التاريخ، والخوض فيها والبحث عنها يتطلب لم الشتات المتناثر في كتب الحوليات وكذا البحث فيه مضان مصدريه أخرى، والتي لم تعنى حقا بالتأليف للتأريخ؛ أي أن تأريخها كان لا إراديا ومن بينها كتب الفقه والنوازل الرحلات والجغرافيا.

### أولا : كتب التاريخ والحوليات:

كما ذكرنا آنفا فإن هذا الصنف من المصادر قد اقترن بالمدن التي تمثل مركز السلطان وتحتوي الأحداث المدوية؛ وبالتالي فإن تطرقها للبادية كان في إشارات قليلة، ضمن سياق نقل الأخبار<sup>1</sup>، غير أن ابن خلدون(ت808هـ/1405م) الذي مثل بمقدمته نقلة نوعية مست جوانب عدة قد أشار للبادية في فصول عدة

---

<sup>1</sup> في سياق الحديث عن بطولات العرب وفتحهم لبلاد المغرب وصفت المصادر الحولية الثروات الزراعية والحيوانية التي زحرت بها المنطقة والتي حددت نشاط الإنسان المغربي بها؛ والدليل على ذلك ما قالته الكاهنة عن مجي العرب الفاتحين "نحن نريد منها المزارع والمراعي" وبالتالي فقد كان النشاط الأساسي لأرياف المغرب هو الزراعة والرعي؛ ابن عذارى أبو العباس أحمد بن محمد، المراكشي (721هـ/1321م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج س كولان وليي برونسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ج1، ص24-26؛ عماد الدين إدريس: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تحقيق: محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م، ص218. كما تذكر المضان الحولية القبائل القاطنة في بلاد المغرب والصراع والتناحر الذي كان يشوب بينها؛ ابن خلدون عبد الرحمان بن زيد: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق ومراجعة: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، 1421هـ/2001م، ج7، ص 60-62؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص 243-245؛ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، النويري (ت733هـ/1331م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1464هـ/2004م، ج24، ص 102؛ أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير (630 هـ / 1230 م): الكامل في التاريخ، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ/1987م، ج7، ص431-440؛ أبي زكريا يحيى بن أبي بكر محمد بن الحسن، ابن خلدون (ت781هـ/1379م) : بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1400هـ/1980م، ص ص 248-251.

## الفصل التمهيدي : ————— بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

تحدث فيها عن البدو وطبائعهم<sup>1</sup>، كما أن الرؤية الخلدونية للقبيلة تقوم على أساس العصبية التي يتمخض عنها نشوء الدولة<sup>2</sup>.

### ثانيا: كتب الفقه والنوازل:

في فترة وجيزة صار لهذا النوع من المصادر من الأهمية بما كان في الدراسات التاريخية نظرا لخصوصيتها من عنفوية في تناول وثراء في المعلومات<sup>3</sup>؛ حيث يمكن للنازلة الواحدة أن تتناول عدة موضوعات أو نواحي، غير أنها تتطلب نوعا من الحفر والمنهجية الخاصة في القراءة، وقد لقيت البادية نصيبا من التدوين في هذا الصنف من المصادر<sup>4</sup>، في قضايا رفعت للفقهاء عن الحياة الاجتماعية كالتنظيم القبلي والعلاقات الأسرية وما تعارفوا عليه من عادات وتقاليد وكذا المعاملات التي تربط بينهم، ولطالما تعلقت الحياة الريفية والبدوية بالأرض التي تمثل مصدر معاشهم واقتصادهم الذي مثل هاجسهم خاصة وأن الحياة الفلاحية ارتبطت بالبدو خلافا لأهل الحضر، لذلك فإن أهل الريف والبادية كانت تنشب بينهم مشاكل حول تملك الأراضي وما ارتبط بها من معاملات.

لقد ساهمت كتب النوازل الفقهية بما تتضمنه من عقود متنوعة ونصوص ثمينة في ترميم جوانب هامة من النشاط الفلاحي للغرب الإسلامي، حيث أفادت في معرفة قضايا المزارعة المغارسة والمساقاة، وفي إمطة اللثام عن مظاهر تنظيم البوادي في المغرب الإسلامي من مختلف الأوضاع والعلاقات كالبحث عن وضعية الأرض<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ينظر للفصول التي كتبها عن البدو والقبائل، ابن خلدون: المقدمة، ص 148-150-151-156-182-195-203.

<sup>2</sup> ينظر للفصول الخاصة بالعصبية، المقدمة، ص 157-160-161-162-168-182-184-185-188-189.

<sup>3</sup> على الرغم من التنديدات والتوصيات التي تلح على استعمال هذه المصادر في الدراسة التاريخية إلا أننا نجد عزوفا للكثير من الباحثين عن استعمالها وذلك عائد لصعوبة التعامل مع لغتها الفقهية وصعوبة الحصر الزمكاني للعديد من النوازل أي الوقوع في الافتراضية، حول هذا الموضوع ينظر: بن بالغيث الشيباني: "أهمية الفتاوى الشرعية كمصدر الكتابة تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الحديثة"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع12/ مارس 1996م.

<sup>4</sup> تعد دراسة الباحث المغربي إبراهيم القادري بوتشيش من الأبحاث المهمة التي استعانت بمصدر مهم من كتب النوازل وهو مخطوط نوازل ابن الحاج الذي أسهم في الكشف عن كثير من جوانب التاريخ القروي؛ كملكيات الأرض وقضايا اجتماعية تخص أهل البادية ينظر: إبراهيم القادري بوتشيش: "مخطوط نوازل ابن الحاج مصدر جديد في تاريخ المجال القروي بالمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 77، 1999م.

<sup>5</sup> فاطمة بالهوري: "النص النوازلي للغرب الإسلامي أداة لتحديد البحث في تاريخ الحضارة الإسلامية"، مجلة عصور، العدد 17، مخبر البحث التاريخي كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، ديسمبر 2010م، ص 90.

## الفصل التمهيدي : \_\_\_\_\_ بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

وبالتالي تعتبر كتب النوازل مصدرا مهما للتعرف على ظروف الإنتاج في المجال الريفي، وخاصة فيما يتعلق بأشكال الإنتفاع بالأرض في البادية والتي تبرز في شكل عقود شراكة كما هو الشأن في عقود المزارعة<sup>1</sup> المغارسة<sup>2</sup> و كذا نظام الرعي<sup>3</sup>، وبعض الأنشطة الزراعية كطرق استغلال الأرض من حرث<sup>4</sup> وتزليل ودرس<sup>5</sup> وغيره.

وبالتالي فقد شكلت النوازل المتعلقة بالفلاحة مصدرا مهما يمكن الباحث من التعرف على طرق ونظم الاستثمار في المجال البدوي، خصوصا ما يتعلق بعلاقات الإنتاج وأشكال التعاون الزراعي بين أفراد المجتمع.

ولم تقتصر النوازل على الحياة الإقتصادية والإجتماعية للبوادي فحسب، بل مست حتى الجانب الثقافي الحضاري فمن النوازل أسئلة عن أجرة المعلم "سئل عما يأخذ المعلم من زبدة في البادية في فصل الربيع، يجعل له مخضبة زبدة، عن كل بيت من بيوت الحلبة على من عنده ولد وعدد من الأولاد ، يسمونه حميس الطالب"<sup>6</sup>.

---

<sup>1</sup> أبو العباس أحمد بن يحيى التلمساني، الوئشريسى (914هـ/1508م) : المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس والمغرب، ج8، تح : محمد حجي و آخرون، دار الغرب الإسلامى، بيروت، 1987م، ص 266.

<sup>2</sup> نفسه، ص 145-147-175؛ أبو القاسم بن أحمد البلوى التونسي البرزلى(ت841هـ/1483م): جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تح: محمد الحبيب الهيلة، ط1، دار الغرب الإسلامى، 2002م، ج3، ص371.

<sup>3</sup> ارتبطت الحياة الفلاحية بالاهتمام بالماشية وتربية الأغنام والعناية بالإبل والحمير والبغال فتشير النصوص النوازلية إلى أن أهل المغرب كانوا يستأجرون الرعاة لرعي ماشيتهم وأغنامهم لفترة معينة نظير أجرة معلومة، وكذا مدة المؤاجرة والالتزام بنفقة الراعى وكسوته؛ محمد فتحة: النوازل الفقهية والمجتمع، أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامى من ق 6هـ-9هـ/12-14م، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الدار البيضاء المغرب، 1999م، ص 389؛ وتفيدنا كتب النوازل بمعلومات قيمة عن نظام المراعاة وشروطه وما يشوبه من مشاكل رفعت أساسا للفقهاء للحل والبت فيها ؛ الوئشريسى: المصدر السابق، ج8، ص 263-330 - 341-339-497.

<sup>4</sup> الوئشريسى: المصدر السابق ، ج6، ص 55.

<sup>5</sup> نفسه، ج6، ص 315.

<sup>6</sup> أبو زكرياء يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي التلمساني ، المازوني(883هـ/1429م): الدرر المكونة في نوازل مازونة، تح: مختار حساني، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ج3، ص382.

ثالثا - كتب الرحلة والجغرافيا:

يمكن القول أن هذا النوع من المصادر يمكن الباحث من جني معلومات غزيرة عن اقتصاد البوادي وتضاريسها ومجالها، فقد اقترن ذكرها للبادية من خلال وصف الأماكن البراري وما تحويه من منتوجات نباتية وحيوانية، فهذا الصنف من المصادر يأتي على رصد وجرد الإمكانيات التي تتمتع بها بوادي المغرب الأوسط.

فعن الإنتاج النباتي الغذائي نذكر مناطق إنتاج الحبوب مثلا، حيث يرصد لنا ابن حوقل (ت367هـ) بعض البوادي التي اشتهرت بالحبوب، كبونة وباديتها وقصر الفلوس وطبنة والمسيلة وتنس وباغاية وتادميت والكثير من القرى التي يصعب تعدادها<sup>1</sup>.

كما نلمس من كتب الرحلة أن المغرب الأوسط مزدان بالكثير من الفواكه التي تفوق غيرها من الفواكه من الأمصار، ورغم أن كتب الرحلة إكتفت في الكثير من الأحيان بالتأكيد على وجود الفواكه وكثرتها في جل المناطق دون تحديد أنواعها وذكر أسمائها إلا أننا وقفنا على بعض الأنواع ومن أهمها نذكر التين، إذ يورد لنا ابن حوقل (ت367هـ) مناطق إنتاجه في كل من تاجنة ومرسى الدجاج وجزائر بني مزغنا<sup>2</sup>، ويذكر الإدريسي (ت548هـ/1159م) أن أشجار التين توجد بكل من بادية بجاية وباجة ومرسى الدجاج<sup>3</sup>. أما البكري (ت487هـ/1094م) فذكر أن أشجار الجوز بتيسا<sup>4</sup>، وإلى جانب أشجار الجوز فقد وجدت أشجار أشجار الكرز والخوخ في هنين وتلمسان<sup>5</sup>، كما وجدت أشجار التفاح والإجاص والمشمش في هنين، ووجد التفاح والإجاص في ميلة<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> أبو القاسم محمد البغدادي الموصل، ابن حوقل (ت367هـ) : صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دط، د ت، ص 76-93.

<sup>2</sup> ابن حوقل: صورة الأرض، ص ص 76-77-90.

<sup>3</sup> أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ابن إدريس الحمودي الحسني، الإدريسي (ت548هـ/1159م) : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تح إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص ص 104-115.

<sup>4</sup> أبي عبيد بن عبد العزيز، البكري (ت487هـ/1094م): المسالك والممالك، ج2، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2003م، ص 203.

<sup>5</sup> حسن الوزان (ت بعد 975هـ) : وصف إفريقيا، تح: محمد حجي، ج2، دار المعرفة، الرباط، 1984م، ص ص 16-20-40.

<sup>6</sup> نفسه، ص ص 16-66.

## الفصل التمهيدي : \_\_\_\_\_ بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

وتعد تربية المواشي والحيوانات أساس لكثير من العمليات الإنتاجية الزراعية الريفية مثل إنتاج اللبن والصوف واللحم والسمن<sup>1</sup>. فعن أشهر المدن التي عرفت باديتها تنوعا في الثروة الحيوانية، مرسى الدجاج التي كان بها "الألبان والمواشي ما يغرق غيرهم ممن جاورهم"<sup>2</sup>، وعرف غرب جزائر بني مزغنة بكثرة مواشيهم من البقر والغنم المتواجدة في الجبال، ولمدينة شرشال بادية يغلب على أهلها البربر، وأكثر أموالهم الماشية"<sup>3</sup>، ومواشي أهالي وهران كثيرة، كما ساعد خصب مدينة واسلي على كثرة ماشيتها<sup>4</sup>.

وما من شك في أن الثروة الحيوانية لبوادي المغرب الأوسط قد استخدمت بمختلف العمليات الزراعية إلى جانب الفوائد الأخرى؛ كتزويد الأهالي بالحليب ومشتقاته وباللحوم والجلود.

---

<sup>1</sup> مصطفى كمال: إنتاج الضأن والصوف، دار المطبوعات الجديدة، الإسكندرية، 1972م، ص 267.

<sup>2</sup> ابن حوقل: المصدر السابق، ص 77.

<sup>3</sup> نفسه، ص 78.

<sup>4</sup> نفسه، ص 79.

## ثانيا / جغرافية بوادي المغرب الأوسط<sup>1</sup> في العصر الوسيط:

إن دراسة البيئة الجغرافية لأي بقعة على سطح الأرض ضروري لفهم تاريخها، ويصبح الأمر أكثر لزوماً واشد إلحاحاً إذا ما تعلق الأمر ببوادي المغرب الأوسط خلال العصور الوسطى على وجه الخصوص، لما لها من تأثير على الحياة القبلية، كما لعبت دوراً بارزاً في تحديد معالم تاريخ المنطقة وفي قيام بعض الدول أو سقوطها زيادة على أثرها البالغ في تحديد نمط معيشة السكان الذي اختلف باختلاف البيئة الجغرافية.

### 1- جدلية الحدود والمجال الجغرافي للمغرب الأوسط :

يعتبر المغرب الأوسط منطقة جغرافية، اختلف الرحالة والمؤرخون في ضبط حدودها خلال الفترة الوسيطة، فهي تمثل إشكالية يجد الباحث نفسه أمامها، نظراً لعدم استقرار حدوده على وضع معين<sup>2</sup> نتيجة لعدة اعتبارات منها :

الحركة القبلية الغير مستقرة، بالإضافة إلى حالة القوة والضعف للسلطة المركزية والتي تعاقبت على حكم هذه البلاد وتأثرها بالأحداث السياسية والعسكرية والمذهبية خصوصاً ونحن نعلم أن هذه الأوضاع قد انتشرت في بلاد المغرب الإسلامي منذ بداية العصر الوسيط إلى نهايته<sup>3</sup>.

والملاحظ أن صعوبة ضبط حدود البلاد راجعة إلى كون مفاهيم السيادة والحدود بالنسبة لتلك الفترة، تختلف عن المفاهيم في وقت الحاضر، كما لا يمكن آنذاك الاهتمام بضبط الحدود الجغرافية بين الدول بصورة ثابتة ومدققة ومتواصلة<sup>4</sup>، كما أن لفظة "أوسط" ظهر ابتداءً من القرن الـ5هـ/11م فقط، وذلك عندما دعت الحاجة بالمسلمين لتمييز بين أقاليم المغرب<sup>5</sup> الواسع، فكان ظهور مصطلح المغرب الأوسط وعني به البلاد الجزائرية حالياً مع اختلاف وتداخل بسيط في الحدود الشرقية والغربية<sup>6</sup>. وعلى اعتبار أن المغرب

<sup>1</sup> ينظر الملحق رقم: 1، ص 156

<sup>2</sup> خالد بلعربي: الدولة الزيانية في عهد يغمراسن (دراسة سياسية حضارية) 633-681هـ/1235-1282م، ط1، دار الأملية لنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص 65.

<sup>3</sup> عيمور سكيطة: المرجع السابق، ص 6-7.

<sup>4</sup> روبر بارنشفيلد: تاريخ افريقية في العهد الحفصي، ج1، ترجمة: حمادي الساحلي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، 1988م، ص 313

<sup>5</sup> أطلق على بلاد المغرب منذ القديم عدة أسماء، فقد أطلق الفينيقيون على السكان الذين سكنوا حول مدن أوتيكا وقوطاجنة اسم افري، واخذ عنهم اليونان هذه التسمية، وتمتد هذه المنطقة من غرب مصر حتى المحيط الأطلسي، ومن افري اشتق اسم افريقية؛ عبد الواحد ذنون طه وآخرون: تاريخ المغرب العربي، دار المدار الاسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 2004م، ص 11.

<sup>6</sup> يوسف أحمد حوالة: الحياة العلمية في افريقية، المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح حتى منتصف القرن 5هـ، ج1، ط1، جامعة أم القرى، السعودية، 1421هـ/2000م، ص 49.

## الفصل التمهيدي : \_\_\_\_\_ بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

الأوسط جزءاً لا يتجزأ من فضاء واسع يشمل بلاد المغرب<sup>1</sup> ككل فإن تحديد معالمه الجغرافية قد تضاربت حوله آراء ورواد الكتابة الجغرافية والتاريخية ، ويبقى المتغير في كيانه الجغرافي هو المجال الذي تنتجعه عناصر إثنية متنوعة، تشكلت من بربر وعرب وغيرهما بحثاً عن مناطق الكأ والماء ، ولا شك أن عصب القبيلة البدوية في المغرب الأوسط في ظل حراكه يبقى أحد العوامل المتحركة في حدوده، إضافة إلى قوام القوى السياسية التي تداولت على حكمه، وعاشت مراحل قوة وضعف تتجاذبها المركزية واللامركزية، أي الاستقلال والتبعية لسلطة ما ومن هنا كانت الفكرة الجدلية التي بنيت عليها محاولات عديدة لرسم حدود قريبة من واقع بلاد المغرب الأوسط كما نستقيها من كتب الرحالة الجغرافيا والإستوغرافية<sup>2</sup>.

لم يكن لمصطلح المغرب الأوسط وجود في الكتابة التاريخية ، فمدلول هذا المصطلح في حقيقة الأمر هو تعبير جغرافي عن مجال سياسي متغير ، فإذا كان ظهوره في القرن الخامس الهجري إنما لدلالة على وجود كيان سياسي قائم به تمثل في الدولة الحمادية<sup>3</sup>، لكنه اختفى في زمن الدولة الموحدية<sup>4</sup> بعد أن جمعت شتات المغرب قبل أن يعود في النصف الثاني من القرن السابع الهجري بعد انهيار الأخيرة وظهور الدولة الزيانية<sup>5</sup>.

تعود أول إشارة لمدلول المغرب الأوسط في كتب الجغرافية الوصفية للجغرافي البكري (ت 487 هـ / 1094م)<sup>6</sup> في كتابه المسالك والممالك على أساس قبلي باعتبار تركز أكبر قبيلة بربرية "زناتة"<sup>1</sup> بهذه النواحي النواحي خاصة تلمسان التي ذكر بأنها قاعدة المغرب الأوسط<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> تمتد حدود بلاد المغرب حسب الرعيبي القيرواني (ت11هـ/17م) في كتابه المؤنس في أخبار إفريقية وتونس من « نهر النيل بالمشرق إلى البحر المحيط من ناحية المغرب ؛ أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيبي القيرواني، ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تح: محمد شمام، المكتبة العتيقة ، ط3، تونس، 1387 هـ، ص20.

<sup>2</sup> مزدور سمية: المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-1520م)، رسالة ماجستير مرقونة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008-2009 م، ص24.

<sup>3</sup> قامت في قلعة المسيلة ثم بجاية والتي ارتبط اسمها بمؤسسها حمد بن بلكين الصنهاجي ؛ ينظر: لسان الدين ابن الخطيب : أعمال الأعلام فغيمن بوع قبل الاحتلام ، ج3، ص86.

<sup>4</sup> تأسست منذ سنة 524هـ/1129م على يد المهدي بن تومرت في شكل دعوة دينية ثم تطورت إلى كيان سياسي على يد خليفته عبد المؤمن المؤمن بن علي الكومي الذي دخل مراكش سنة 541هـ؛ ينظر: عمار بحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997م، ص41.

<sup>5</sup> علاوة عمارة: دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والمغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م، ص101.

<sup>6</sup> البكري: هو أبي عبيد البكري رحالة وجغرافي أندلسي ولد سنة 432هـ/ 1041م، أقام في قرطبة كما أنه زار المغرب ينظر: حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مكتبة مدبولي، ط2، مصر، 1986م، ص115.

## الفصل التمهيدي : \_\_\_\_\_ بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

وهذا ما نجده عند بن خلدون (ت808هـ/1405م) الذي ربطه أيضا بديار زناتة وقاعدته تلمسان<sup>3</sup>، في حين أن الإدريسي (ت548هـ/1159م)<sup>4</sup> اعتبر تلمسان قفل بلاد المغرب الأوسط وأن هذا الأخير يقع في الجزء الأول من الإقليم الثالث وأن بجاية قاعدته<sup>5</sup>، أما عبد المنعم الحميري (ت900هـ-)<sup>6</sup> فقد قسم بلاد المغرب إلى ثلاث أقاليم: إفريقية والمغرب الأوسط ثم المغرب الأقصى، لكن الملاحظ في تحديد الحميري مجده مضطربا كونه يذكر أن بجاية قاعدته من جهة الشرق ثم يذكر مرة أخرى أن تلمسان قاعدته أيضا<sup>7</sup>.

أما حدود المغرب الأوسط في صبح الأعشى نجد من جهة الشرق مملكة إفريقية وما أضيف إليها من ناحية الغرب، وحدها من الشمال البحر الرومي وأما من الغرب مملكة فاس ومن جهة الجنوب المفاوز الفاصلة بين المغرب وبلاد السودان<sup>8</sup>، في حين قسم بن فضل الله الحميري المغرب إلى ثلاث ممالك: إفريقية، بر العدو، الأندلس وأن تلمسان وفاس جزء من مملكة بر العدو<sup>9</sup>.

---

<sup>1</sup> زناتة: قبيلة بربرية من البتر أصلها إلى شان أو جانة بن يحيى بن صولان بن ورمك بن دره بن زميك بن مادغيس بن بر ينظر: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، ابن حزم (ت456هـ/1064م): جمهرة أنساب العرب، تح عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، 1962م، ص495.

<sup>2</sup> أبي عبيد بن عبد العزيز، البكري (ت487هـ/1094م): المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د ت)، ص76.

<sup>3</sup> عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، ص126.

<sup>4</sup> الإدريسي: هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن إدريس يقال سمي بالشريف الإدريسي نسبة إلى الأدارسة العلويين، يعتبر الإدريسي أول من رسم خريطة دائرية للعالم، بالإضافة إلى سبعين أخرى احتوى عليها كتابه نزهة الأفاق في اختراق الأفاق. ينظر: محمد محمود حمدين: التراث الجغرافي الإسلامي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1999م، ص216.

<sup>5</sup> الإدريسي: المصدر السابق، ص161.

<sup>6</sup> هو عبد المنعم الصنهاجي الحميري رحالة وجغرافي يكنى بأبا عبد الله وعرف بابن عبد المنعم أنه من أهل سبتة، ينظر: محمد محمود محمد بن: نفس المرجع، ص193.

<sup>7</sup> أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري (ت900هـ): الروض المعطار في خير الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص135.

<sup>8</sup> أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القاهري، القلقشندي (ت821هـ): صبح الأعشى، ج5، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1955م، ص149.

<sup>9</sup> ابن فضل الله العميري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج4، تح: محمد عبد القادر الخريسات وآخرين، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، 2001م، ص108.

## الفصل التمهيدي : \_\_\_\_\_ بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

أما بن سعيد المغربي(685هـ/1286م)<sup>1</sup> فقد قسم المغرب إلى سبعة أقاليم منها إقليمان في المغرب الأوسط وهما الإقليم الرابع وفيه جزآن الأول تلمسان والثاني بجاية<sup>2</sup>.

في حين اعتبر أبو الفدى<sup>3</sup> تلمسان ووهران آخر مدن المغرب الأوسط والمحاذية للمغرب الأقصى من جهة الغرب، وباعتبار أن تلمسان قاعدة المغرب الأوسط فإن حدودها الغربية مملكة فاس حسب مارمول كرنجال<sup>4</sup>، أما حسن الوزان(ت بعد975هـ-)<sup>5</sup> "ليون الإفريقي" الذي زار المغرب الأوسط في أواخر العهد الزياني فقد قسم بلاد المغرب "بلاد البربر" إلى أربعة ممالك: مراكش، فاس، تلمسان وتونس التي تضم إقليم بجاية وقسنطينة والزاب وطرابلس ثم مملكة تلمسان التي يحدها نهر ملوية غربا والواد الكبير "الصومام" وصحراء نواميديا جنوبا<sup>6</sup>.

وقد لا نتهدي إلى الدلالة الدقيقة لمصطلح المغرب الأوسط إلا بالجمع بين نقولات شتى عن الجغرافيين جاؤوا بعد البكري مفادها :انه يحده المغرب الأوسط من الشمال البحر الرومي ومن جهة القبلة الصحراء الشاسعة المتزامية الأطراف<sup>7</sup> وبالتالي فلا فواصل ولا تخوم حدودية من هذه الناحية،بحكم كون الصحراء حدا مشتركا بين كل من افريقية والمغربين الأوسط، والأقصى .

<sup>1</sup> هو أبو الحسن علي بن سعيد بن موسى بن عبد الملك بن سعيد ولد في سنة 610هجري في قلعة يحصب من أعمال غرناطة التي كانت مقرا لإمارة بني سعيد، ذكر المقرئ في نفح الطيب أن له أربع مائة مؤلف، توفي سنة 685هجري - ينظر: رحاب خضر عكاوي: موسوعة عباقرة الإسلام في الطب والجغرافيا والتاريخ والفلسفة، ج2، دار الفكر العربي، بيروت، 1993م، ص 186-189.

<sup>2</sup> علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك الغرناطي الأندلسي، ابن سعيد المغربي(685هـ/1286م) : كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي: ديوان ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 1982م، ص140.

<sup>3</sup> هو عماد الدين إسماعيل بن نور الدين علي بن جمال الدين محمود بن أيوب، ينتسب إلى بيت الأيوبيين، فهو ابن أخ صلاح الدين الأيوبي، ولد بدمشق 1273م، عرف بهذا الاسم عند المستشرقين، أما عماد الدين والملك السلطان والمؤيد عند الشرق. ينظر: محمد محمود حمدين: المرجع السابق، ص187.

<sup>4</sup> مارمول كرنجال: إفريقيا، ج2، ترجمة محمد حجي وآخرون، دار المعرفة، الرباط، 1984م، ص291.

<sup>5</sup> هو الحسن بن أحمد الوزان الزياني الفاسي ولد بغرناطة حوالي 1483م ينتسب إلى قبيلة بني زيات الواقع موطنها في أقصى غرب بلاد غماره من سلسلة جبال الريف المغربية، عاشت أسرته في غرناطة ثم انتقلت إلى فاس، ينظر: سالم بوتدارة: تاريخ شمال إفريقيا من خلال كتابات مارمول كرنجال والحسن الوزان، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس، 2010/2011م، ص 12، 13.

<sup>6</sup> الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، ج2، ص7.

<sup>7</sup> مجهول: المصدر السابق، ص176.

## الفصل التمهيدي : \_\_\_\_\_ بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

أما حديه الآخرين فشرقاً مدينة بجاية بالاتجاه جنوباً حتى غرب الزاب ، أما غرباً فحد المغرب الأوسط طبعي يتمثل في وادي ملوية الممتد من القبلة حيث ينبع من جبال الأطلس الصغير ويسير باتجاه شمالي شرقي ليصب في بحر الروم <sup>1</sup>.

إذا كان مفهوم الكيان الجغرافي عند أغلب الجغرافيين والمؤرخين يستند إلى الأرض والسكان، فإن الحدود الجغرافية للمغرب الأوسط لا تتحكم في رسمها القوى السياسية التي سيطرت عليه بقدر ما تحدده العناصر الإثنية التي تسكنه <sup>2</sup>.

إذن فالمغرب الأوسط سمي بذلك لتوسطه المغربين الأدنى والمغرب الأقصى، وحدوده من بجاية غرباً حتى وادي ملوية وجبال تازة في الغرب وقاعدته مدينة تلمسان <sup>3</sup>.

### 2- المجال الجغرافي لبوادي المغرب الأوسط:

كثيراً ما يصطدم الباحث أو الجغرافي عند قراءته المصادر والمراجع التاريخية بأسماء معالم أو قبائل أو مناطق جغرافية لا يتمكن من تحديد موقعها بدقة وذلك بسبب اختلاف امتدادها باختلاف الحقب التاريخية بحيث لا يتيح ذلك التعرف على المنطقة المعنية والتعرف على حدودها ببعض التفاصيل وينطبق هذا خاصة على المجال القبلي البدوي <sup>4</sup>.

ولهذا فإنه من الصعب تحديد مجال البادية وخاصة بعدما أطلق على البادية على أنها كل المجال الموجود خارج الحواضر، فأقترن تحديد مجالها بال عمران البدوي وقد حدد ابن خلدون العمران البدوي بأنماط العيش المختلفة من بدو مرتحلين، ومستقرين في الجبال والقرى يقول ابن خلدون (ت808هـ/1405م): "فمن كان معاشه منهم في الزراعة والقيام بالفلاح، كان المقام به أولى من الضعن، وهؤلاء سكان المدر والقرى والجبل، وهم من عامة البربر والأعاجم، ومن كان معاشه في السائمة مثل الغنم والبقر فهم ضعن في الأغلب لارتداد المسارح

<sup>1</sup> سبيع قادة : المذهب المالكي بالمغرب الأوسط حتى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، رسالة ماجستير مرقونة ، جامعة وهران 2003-2004، ص5-6.

<sup>2</sup> سمية مزدور: المرجع السابق، ص30.

<sup>3</sup> عبد الواحد ذنون طه وآخرون: المرجع السابق ، ص13.

<sup>4</sup> محمد الناصري: مستويات المجال والبحث التاريخي في البادية، البادية المغربية عبر التاريخ، سلسلة ندوات ومناظرات، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1420هـ/1999م، ص161.

## الفصل التمهيدي : ————— بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

والمياه لحيواناتهم، فتقلب في الأرض أصلح بهم، ويسمون شاوية ومعناه القائمون على الشاي والبقر، ولا يبعدون في القفر لفقدان المسارح الطبيعية، وهؤلاء مثل البربر والترك وإخوانهم من التركمان والصقالبة.

وأما من كان معاشه في الإبل فهم أكثر ضعنا وابتعد في القفر مجالا، لان مسارح التلول ونباتها وشجرها لا يستغني بها الإبل في قوام حياتها عن مراعي الشجر بالقفر وورود مياهه المملحة والتقلب فصل الشتاء في نواحيه فرارا من أذى البرد إلى دفء هوائه وطلباً لمخاض التاج في رماله، إذ الإبل أصعب حيوان فصالاً ومخاضاً وأحوجها في ذلك إلى الدفء، فاضطروا إلى أبعاد النعجة، وربما زادتهم الحامية على التلول أيضاً فأوغلوا في القفار نفرة عن الضعة منهم، فكانوا لذلك أشد الناس توحشاً<sup>1</sup>.

وهكذا كانت البادية مجالا واسعا لا حدود له وربما الحدود الوحيدة التي عرفت في البادية هي الحدود القبلية بين قبيلة وأخرى من أجل حماية موارد العيش للقبيلة، وفي أواخر القرون الوسطى تميزت البادية القبلية بتعقيد وعدم الثبات لاقتراحتها بتطورات الجغرافية الطبيعية والسياسية، فقد شرعت كثير من القبائل في المناطق التالية في الاستقرار بعد أن توالدت وكثرت بطونها وتفرعت وانتقلت الرئاسة فيها من واحدة إلى أخرى لكن الكثير منها ظل ضاعتا في الترحال منتقلا من منطقة إلى أخرى وقد تبع هذا التطور في نمط العيش وعلاقات الإنتاج تحول في طبيعة العلاقة مع السلطة، فالصنف الأول أضحي من بين القبائل المخزنية التي تعتمد عليها الدولة في الجباية والحرب<sup>2</sup> فيما تميز الطرف الثاني بالاستقلالية والحراية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ابن خلدون: المقدمة، ص126.

<sup>2</sup> القبيلة: يعرف علماء اللغة القبيلة على أنها جماعة من الناس تنتسب إلى أب أو جد واحد، وتعرف على أنها جماعة من الناس يشكلون مجتمعا محليا ويعلمون أنهم من جد أو سلف مشترك، أما القبيلة كنظام فهي وحدة اجتماعية لها نظامها الخاص تتكون في شكلها الهرمي من الخلية الأولى وهي الأسرة ثم ترقى إلى مستوى العشيرة التي تظم عادة عددا من الأسر ثم تسمو إلى مرتبة البطن الذي تلتقي فيه عشائر شتى بواسطة المصاهرة أو الجوار وتنتهي في القمة بالقبيلة التي تضم عدة بطون تجمع بينها وحدة الدم والنسب. أنظر: خلفات مفتاح: قبيلة زاوية بالمغرب الأوسط مابين القرنين(6-9هـ/12-15م)، دراسة في دورها السياسي والحضاري، دار الأمل، تلمسان، 2011م، ص33؛ جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين(3-4هـ/9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، ص253؛ أما في المعنى الأنثروبولوجي فهي: أداة للدلالة على التجمعات السكانية المنتشرة في بقعة جغرافية معينة، وهي أيضا كيان ذو هوية ثقافية يتداول مع الدولة التي تمثل الشرعية السياسية، وهي أخيرا كيان سياسي يكتسب خصوصية المتمثلة في امتلاكه نوعا من النظام السياسي ولو في شكله البدائي؛ الهادي الهروي: القبيلة، الإقطاع والمخزن-مقاربة سوسيولوجية للمجتمع المغربي الحديث 1844-1934-، إفريقيا الشرق، المغرب، 2010م، ص49.

<sup>3</sup> محمد حسن: المرجع السابق، ص98.

## الفصل التمهيدي : ————— بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

ونستنج في الأخير أن البادية كانت تطلق على نطاق واسع من القبائل المستقرة في الجبال والتلول والسواحل والقبائل الرحل في الصحاري والفيافي<sup>1</sup>، أو كل من لا يكون داخل المدينة التي تميزت على البادية بحدودها داخل أسوار معينة ومعلومة، فإذا خرج الرجل خارج المدينة قيل خرج إلى البادية دون تحديد مكانه.

### 3- بادية المغرب الأوسط المميزات والخصائص:

#### أ- طبيعة مجتمع البادية (الاستقرار والترحال):

يتكون مجتمع البادية من أهل البدو الذي وصفهم ابن خلدون (ت808هـ/1405م)، بالوحشية والشجاعة والعصبية وغيرها فقال: "وأهل البدو لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم في الضواحي، وإنبادهم عن الأسوار والأبواب قائمون بالمدافعة عن أنفسهم، لا يوكلوها إلى سواهم، ولا يثقون فيها بغيرهم، فهم دائما يحملون السلاح ويتلفتون عن كل جانب في الطرق، ويتجافون عن الهجوم إلا غرارا في المجالس وعلى الرحال وفوق الأقتاب، ويتوجسون للنبات والهيئات ويتفردون في القفر والبيداء، مدلين بآسهم، واثقين بأنفسهم، قد صار لهم البأس خلقا والشجاعة سجية يرجعون إليها متى دعاهم داع أو إستفروهم صارخ"<sup>2</sup>، فكان سكان البادية عبارة عن قبائل مختلفة من قبائل طواعن ومستقرون.

#### أ- قبائل طاعنة:

وهم القبائل الغير مستقلة كثيرة الترحال، وانتشرت هذه القبائل بين تاهرت وتلمسان في عهد الإدريسي(ت548هـ/1159م)، فهو يذكر "بشأنها أن كل هذه القبائل بطون زناتة... وهم قوم رحالة طواعن يرتحلون من مكان إلى مكان غيره"<sup>3</sup>، ويفيد ابن خلدون بشأن قبيلة لواته "وهؤلاء طواعن في موطنهم... وكان من لواتة امة عظيمة بضواحي تاهرت إلى ناحية القبلة وكانوا طواعن هنالك على واد میناس"<sup>4</sup> ويضيف بشأن قبيلة لماية أنهم طواعن بافريقية والمغرب<sup>5</sup>، ويذكر من جهة أخرى أن بطون كتامة بين قسنطينة وبجاية غارمة

<sup>1</sup> ينظر الملحق رقم:1، ص156.

<sup>2</sup> ابن خلدون: المقدمة، ص129.

<sup>3</sup> ابن خلدون: العبر، ج6، ص143.

<sup>4</sup> نفسه، ص153.

<sup>5</sup> نفسه، ج6، ص158.

## الفصل التمهيدي : \_\_\_\_\_ بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

فيتمطون الخيل ويسكنون الخيام ويظعنون على الإبل والبقر<sup>1</sup>، وان هذه القبائل ومن على نمطها، ونظرا لأنها ظاعنة لم تبلغ بعد درجة من الرقي والتقدم الحضاري "ومن كان معاشه في السائمة مثل الغنم فهم في الأغلب لارتياح المسارح"<sup>2</sup>، وعلى أن هؤلاء الطوائع يختلفون عن بعضهم البعض في درجة ظعنهم ويمكن أن نميز بين الأشكال التالية من الظعن<sup>3</sup>.

● الأباله: وهم القبائل التي تملك الإبل "وعندهم من الجمال الكثير في براريهم"<sup>4</sup> وهم قبائل أكثر ظعننا ويقومون بتنقل من التلول إلى الصحراء لأجل البحث عن الدفء خصوصا في الشتاء، لان الإبل يحتاج إلى الدفء، وهم ظعون البربر وزناتة بالمغرب "وأما من كان معاشهم في الإبل فهم أكثر ظعننا وابتعد في القفر مجالا، لان مسارح التلول ونباتها وشجرها لا يستغني بها الإبل في قوام حياتها عن مراعي الشجر بالقفر وورود مياهه الملحة، والتقلب فصل الشتاء في نواحيه فرارا من أذى البرد إلى دفء هوائه وطلبا لمخاض النتاج في رماله...فكانوا لذلك اشد الناس توحشا"<sup>5</sup>، وينتقلون من مكان إلى مكان، وجل أمواله من الإبل والخيل وطعامهم اللحم والتمر"<sup>6</sup>، ويسكنون البيوت من الشعر والوبر (الخيمة) ويركبون الخيل وذلك أسهل من اجل الانتقال، وقيل عنهم أنهم قبائل لا يعرفون الزرع "لا يعرفون حرثا ولا زرا ولا فواكه وعيشهم اللحم والبن"<sup>7</sup>.

● الشاوية والبقارة: وهم القبائل أقل ظعننا من الأباله، ويملكون البقر والغنم وهذه الحيوانات لا تفرض التوغل في القفر، فهي تجد كفايتها في مزروعات الشمال بل تفقد مسارحها الطيبة كلما توغلت في الصحراء، وبذلك هم أنصاف الرحالة<sup>8</sup>، يقول عنهم ابن خلدون(ت808هـ/1405م) "ومن كان معاشهم في السائمة مثل الغنم والبقر...ويسمون شاوية، ومعناه القائمون على الشاة والبقر ولا يبعدون في القفر لفقدان المسارح الطيبة، وهؤلاء مثل البربر"<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> ابن خلدون: العبر، ج6، ص236.

<sup>2</sup> ابن خلدون: المقدمة، ص126.

<sup>3</sup> جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص248.

<sup>4</sup> ابن حوقل: المصدر السابق، ص95.

<sup>5</sup> ابن خلدون: المقدمة، ص126.

<sup>6</sup> ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص137. ابن خلدون: العبر، ج6، ص52.

<sup>7</sup> ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص101.

<sup>8</sup> جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص248.

<sup>9</sup> ابن خلدون: المقدمة، ص126.

## الفصل التمهيدي : ————— بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

● الرحالة الصغار: يتميزون بأنهم يجمعون بين القيام بالزراعة والرعي أي الترحال في آن واحد، فهم يملكون مزارع في الجبال والمراعي في السهول وهي تستقر في فصل الشتاء وتقوم بأعمال الفلاحة ومع حلول الجفاف تقوم بالرحيل، وتترك بعض أفرادها في مواطنها لحماية مزارعها وأملاكها، إلى حين عودتها، وهؤلاء اقرب البدو إلى الحضرة<sup>1</sup>.

ب - قبائل مستقرة: وهم القبائل التي تحولت من الظعن إلى الاستقرار، وتوقفوا عن التنقل من مكان إلى آخر واهتم بالمواشي والبقر وعملوا في خدمة الأرض "فمنهم من يستعمل الفلح من الغرسة والزراعة، ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والنحل والدود لنتاجها واستخراج فضلاتها، وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الحاجة الضرورة، لا بد إلى البدو لأنه متسع لما لا يتسع له الحواضر من المزارع والقدن والمسارح للحيوان وغير ذلك، فكان ذلك اختصاص هؤلاء بالبدو أمرا ضروريا لهم وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكن والدفاع إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة، ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك"<sup>2</sup>، أي بلغت درجة حضارية أعلى من القبائل الطاعنة فعرفت الاستقرار واتخذت من الأخصاص في الغالب مساكن لها.

ويذكر ابن حماد (ق 6هـ/12م) الأخصاص فيشير إلى أن المنصور الفاطمي أحرق أخصاصا، وهي كثيرة لأصحاب أبي يزيد ويذكر أبو رأس الناصري أن الجزائر أخصاصا يسكنها بنو مزغنة، ويبدو أن للواصلية بعضها إذ حين تقدم أيوب بن العباس لمناظرتهم في عهد الإمام عبد الوهاب، فأنزلوه في خص ورحبوا به، كما ذكر البكري(ت487هـ/1094م) أن رجلا من قرية قرب وهران "أراد عمل بيت فاقتطع ألف كلخة وحملها على ظهره وسوى منها بيت تاما معرشا"<sup>3</sup> بمعنى أن البدو استقرروا في تجمعات سكنية يطلق على الواحد منها اسم القرية، كما استطاعت السلطة استمالت بعض القبائل إلى جانبها لدرجة أن جعلتهم يقبلون مفهوم السيادة السلطانية التي من الممكن أن يستفيدوا منها عند الحاجة وهكذا استقرت القبائل، التي تدخل تحت لواء السلطة وتقوم مابينهما الاتفاق على التعاون لأجل الدفاع على مصالح الطرفين.

فالحماديون صالحوا الأعراب على نصف غلة بلادهم "لقد حاول أمراء المغرب كسب ود القبائل العربية وتسكينهم، فاقطعواهم الهناشير والعقارات وذلك منذ القرن السادس الهجري، صالحهم صاحب بجاية

<sup>1</sup> جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص249.

<sup>2</sup> ابن خلدون: المقدمة، ص125.

<sup>3</sup> البكري: المسالك والممالك، ص71.

## الفصل التمهيدي : ————— بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

على أن يجعل لهم نصف غلة البلاد من ثمرها وبرها وغير ذلك البلاد"<sup>1</sup>، كما أن الإمارات الحاكمة ببلاد المغرب من بني حفص وبني عبد الوادي، قد اتبعت خطي الموحدين في إقطاع أولي العصبية القوية في محاولة لكسبهم ، واتقاء شرهم، فأثناء حرب المستنصر للدواودة من بني رباح سنة (664هـ/1265م) حاول التقرب من بني توجين أجورهم، حتى يكونوا له عوناً على محاربة القبيلة النابذة فاقطعهم ناحية مقرّة<sup>2</sup>، وإذ ضعفت الدولة ولم يكن في وسعها التصدي للقبائل فإنها تعترف بالأمر الواقع فأقطعتهم الأراضي التي استولوا عليها مثل ما عملت الدولة الحفصية، فلما سيطر الدواودة على المزاب والحضنة وجبل الأوراس التلول الشمالية، لم يكن في وسع الدول أن تتصدى لهم، فتلافتهم بالاصطناع والاستمالة واعترفت بالمر الواقع، فأقطعتهم الأراضي التي استولوا عليها خارج المدن التي كانت بحوزتهم مثل مقرّة ونقاوس والمسيلة، كما تملك زغبه سائر لبلاد بالإقطاع عن السلطة، طوعاً وكرهاً، رعيًا لخدمته<sup>3</sup>.

وبهذا استقرت عدة قبائل في نواحي المدن الكبرى في قرى مثل قبيلة الأثيج تعتبر من إحدى القبائل الهلالية الأوفر عدداً، والأكثر بطونا النازلة بالمثلث قسنطينة والزاب والحضنة فبعد نزاعها مع القبائل الهلالية الأخرى، وقبيلة صنهاجة ركنت إلى الاستقرار بقرى الزاب وجبل أوراس وغيرها، وهو ما يعني انتقالها من طور إلى آخر، من قبيلة محاربة إلى قبيلة مخزنية، تدفع الجباية إلى السلطة وغيرها من القبائل الهلالية والبربرية<sup>4</sup>، وقال ابن خلدون(ت808هـ/1405م) "وقبيلة لواتة انتشرت بطونها في جبل المسمى لهذا العهد دارك وانتشرت عمائرهم بتوله وما وراءه إلى جبال المطلة على متيجة وهم لهذا العهد في أعداد القبائل الغارمة وكذلك في بجاية وعليهم للسلطان جباية"، وقدمت القبائل المساعد لسلطة من جند وغير ذلك "وربما طالبهم السلطان بالعسكر، فيعينون له جند منهم"، "ونسوا عهد البداوة والناجعة، وصاروا في عداد القبائل الغارمة للجباية والعسكرة"<sup>5</sup>.

في حين قد استقرت العديد من القبائل في نواحي المدن (تلمسان قسنطينة ويسكرة وغيرها وكان بين البادية والمدينة تبادل في السلع)، وبقيت القبائل المستقرة لها خصوصيات لا يتدخل فيها السلطان "كان

<sup>1</sup> المراكشي: المعجب، ص329، عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط1، دار الشروق، بيروت، 1983م، ص141-148؛ محمد حسن: المرجع السابق، ص325.

<sup>2</sup> ابن خلدون: العبر، ج6، ص745. محمد حسن: المرجع السابق، ص325.

<sup>3</sup> ابن خلدون: العبر، ج6، ص73، 78، 101، محمد حسن: المرجع السابق، ص325-327.

<sup>4</sup> نفسه، ص98-147.

<sup>5</sup> ابن خلدون: العبر، ج6، ص154.

## الفصل التمهيدي : \_\_\_\_\_ بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

السلطان أيضا يرضي بالتلاوم مع شيء من الاستقلالية البدوية"<sup>1</sup> ، وبهذا استقرت الكثير من القبائل في العرب الإسلامي بضواحي المدن والجبال وغيرها.

### ب - طابع العصبية<sup>2</sup> القبلية:

تعتبر العصبية في حقيقتها نتاج البداوة ، حيث أن الأحياء البدوية تلجأ إلى أبنائها المعروفين بالشجاعة للدفاع والذود عن عنهم في حالة الخطر الخارجي ، وهذا لا يتحقق إلا إذا كانوا هل عصبية ونسب واحد ، بينما الأحياء الحضريّة تحميها أسوار الدولة ورجالها ، كما أن وضع البداوة يفرض على الإنسان التعصب لعشيرته أو قبيلته لدفاع عن نفسه<sup>3</sup> ، وتقوم البداوة بحفظ الأنساب ، أما الحواضر فيحصل فيها الاختلاط بين مختلف الأقوام مما يؤدي إلى فساد الأنساب وبالتالي فساد العصبية<sup>4</sup> ، أضف إلى ذلك أن شخصية الفرد تنصهر داخل الجماعة مما يولد الشعور الجماعي ، ويتضاعف هذا الشعور عند الخطر الخارجي<sup>5</sup>.

إن استمرار طابع العصبية أي سيطرة الأنا العصبي على الأنا الفردي هو أبرز ما يميز البادية إذ أنها هي الغالبة في هذا الطور وذلك وفق التقاليد البدوية القبلية فلا تخلو قبيلة من عصبية ولا بادية من عصبية فهو لا ينفرد دونهم بشيء لأن ذلك هو مقتضى العصبية وهكذا فالعلاقات السائدة داخل العصبية الحاكمة، تقوم على أساس الديمقراطية القبلية كما يسميها ابن خلدون(ت808هـ/1405م) المساهمة والمشاركة<sup>6</sup>

وقد أورد ابن خلدون(ت808هـ/1405م) كلمات شارحة لكلمة العصبية مثل :النصرة التعاضد ،التناصر ،الالتحام<sup>7</sup> والدفاع فالعصبية لهذا تنشأها البداوة وتقويها رابطة النسب وتغذيها رابطة البقاء قوتها غير غير مرتبطة دائما بكثرة العدد بقدر ارتباطها بقوة الرابطة فإذا كانت عصبية أهل الدولة من نوع العرب ومن في معانهم، كان ملكهم أوسع من ملك عصبية البدو المقيمين في التلال والسهول، على الرغم مما قد يتمتع به هؤلاء من كثرة العدد وذلك لان البدو الرحل اقدر على التغلب والاستبداد واستعباد الطوائف لقدرتهم على

<sup>1</sup> روبر بارنشفيك: المرجع السابق، ج2، ص104.

<sup>2</sup> هي مصدر لفعل عصب ومعناه جمع وإجتمع وتجمع في مكان ما وقد سبق استخدامه في الجاهلية كما أورد ابن خلدون وكان يعني العلاقة بين ذوي القرى ،أي الرابطة الدموية بين أفراد جماعة ما؛ جورج لايبكا :المرجع السابق، ص 89 .

<sup>3</sup> عشراي سليمان :الشخصية الجزائرية الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية ،ديوان المطبوعات الجامعية ،(د ط)،الجزائر،2007م،ص227.

<sup>4</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص167.

<sup>5</sup> محمد عابد الجابري: العصبية والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية ،ط6، بيروت ،لبنان،1994م،ص168.

<sup>6</sup> نفسه، ص222.

<sup>7</sup> نفسه، ص167.

## الفصل التمهيدي : \_\_\_\_\_ بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

محاربة الأمم سواهم ثم إن اجتماع عصبياهم للمطالبة إنما يكون بقيام دعوة دينية فيهم<sup>1</sup>، ويرى البعض أن فكرة العصبية محصورة في المجتمعين العربي والبربري كلاهما على ما هو باد مجتمع بدوي بالأصالة<sup>2</sup>.

تأتي القبيلة على رأس التنظيم الاجتماعي للمجتمعات البدوية، وهي جماعة من الناس ينتمون إلى جد واحد مشترك انحدروا منه، ويسكنون عادة في منطقة واحدة يتحولون فيها، وتجمعهم هذا مفروض لمواجهة تحديات الطبيعة من عدم توفر الأمن وقلة توفر سبل المعيشة في أغلب الأحيان لذا لم يكن بمقدور الفرد أن يبقى طليقا دون انتماء قبلي، فكان على الفرد أن يهب قبيلته كل ولائه وجهده وطاقته، مقابل أن تضمن له حمايته ومساعدته فتجعله يشعر بالمن والطمأنينة والراحة النفسية كلما احتاج إلى ذلك. لكنه إذا لم يتقبله، وقصر في واجبه نحوها كانت تخلعه من عضويتها فيتحول إلى صعلوك لا يجد من يحميه، فيضطر إلى امتهان قطع الطرق والغزو والسلب، أو يبحث عن قبيلة أخرى ينتمي إليها بالولاء.

وقد كان أفراد القبيلة يرتبطون معا برابطة الدم، لذا فهي رابطة دائمة ومتينة ولها أهمية كبرى، فهي تعمل على إبقاء القبيلة نقية وتحفظ كيانها، وهي تفرض على ابن القبيلة أن يتعصب لقبيلته، لان هذه العصبية هي مصدر قوة القبيلة، وتتمثل هذه العصبية في الإجماع في الرأي وعدم الانقسام وعدم التنافر حفاظا على سلامة قبيلتهم، التي هي مصدر الشعور بالمسؤولية المشتركة المتبادلة.

### ج - النظام القبلي:

تتميز البادية في المغرب الأوسط بنظام سياسي يدير شؤون كل قبيلة إذ كان لكل قبيلة شيخها يتولى رئاستها وإدارة شؤونها، ويشترط فيه أن يكون من ذوي العصبية الكبيرة، تشد أزره، وتعينه على تنفيذ مطالبه، وان يكون من ذوي الجاه، ورئاسة القبيلة وراثية فقد قام بدو بني يعلى بأمر بني بفرن بعد قتل أبيه<sup>3</sup>، و يكلف شيخ القبيلة من الناحية السياسية بالدفاع عن أفرادها، وتأمين وجودهم ضد أي تهديد خارجي يستهدف مصالحهم الحيوية سواء كان مصدر هذا التهديد القبائل الأخرى أو الحكم المركزي الذي يتخذ أحيانا قرارات تتعارض مع مصلحة القبيلة فهو بعبارة أخرى يمارس وظيفة الأمور الحربية، ووظائف أخرى متنوعة.

<sup>1</sup> محمد عابد الجابري: المرجع السابق، ص 213-214.

<sup>2</sup> عشراقي سليمان: المرجع السابق، ص 221.

<sup>3</sup> جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص 251.

## الفصل التمهيدي : ————— بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

ويساعد شيخ القبيلة مجلس قبلي، يستطيع كل فرد من أفراد القبيلة حضوره والتحدث فيه وإبداء رأيه لذلك فإن الغلبة فيه لذوي الألسن الطليقة وأولي الحجة والمنطق، ويجتمع هؤلاء في بيت شيخ القبيلة أو في ديوانها — إذ أن لكل قبيلة ديوان أو دار لضيافة — ويقع اجتماع أفرادها فيه فيتجادبون أطراف الحديث ويروون الأخبار التي تهم قبيلتهم مثل اكتشاف مناطق جديدة للرعي كما يتباحثون في الخلافات الناشئة بينهم، ويستعرضون علاقاتهم بالقبائل الأخرى، ويروون القصص والروايات التي تروقهم، والتي تتعلق معظمها بالغزو والحرب<sup>1</sup>.

وتنظم كل قبيلة عدة جماعات داخلية ابتداء من الأسرة والرهط والعائلة، ثم العشيرة ثم الفخذ ثم البطن، وتجتمع عدة بطون فتشكل عمارة ومن مجموع عدة عمائر تتألف القبيلة، وتشكل مجموعة قبائل مختلفة<sup>2</sup>، ومع أن نظرة المستشرقين إلى بنية القبيلة في المغرب الأوسط بان هذا النظام السياسي والاجتماعي والعمراني إنقاسمي، فكل مستوى من مستويات الانقسام فلا وجود بينها لأي تقسم للعمل ذي طبيعة اقتصادية سياسية، كما أنه لا توجد داخل الأجزاء أو فيما بينها مؤسسات أو مجموعات سياسية متخصصة، وهكذا تبدو بنية القبيلة إذا ما نظرنا إليها، شبيهة ببنية الشجرة تنقسم وتتفرع مثل الأغصان دون أن يكون هناك جذع رئيسي، لأن جميع الفروع متساوية<sup>3</sup>، ولهذا فإن قبائل المغرب الأوسط كمثيلاً لها المغربية تتميز بخاصيتين: الأولى بنيوية اجتماعية انقسامية: تتضمن مجموعة من الأسس منها سيطرت النسب الأبوي على المجتمع البدوي الذي تنعكس فيه العلاقات الاجتماعية الرقابية في المجال الجغرافي على اعتبار أن لكل قبيلة موطنها والجد الأصلي الذي تنتمي إليه، وظاهرة الانصهار والانتشار بالإضافة إلى غياب التراث الاجتماعي، وكذا بروز طائفة الصلحاء الصوفية من خلال مجالس المنعقدة للصلح والوساطة بين القبائل المتصارعة<sup>4</sup>.

— الميزة الثانية الخاصية الجغرافية وهي التي تتصل بالموقع أو المجال — الهامشية: مع أن الفرضيات الإنقسامية كانت أقل حضوراً في المغرب الأوسط بسبب النظام البدوي المتناسك إلا أن السياسة المركزية للسلطة عملت على تحطيم البنية القبلية، فالظاهرة الهامشية التي أكد بشأنها أحد الباحثين بأنها تنطبق على كل قبائل الشمال الإفريقي، شكلت في بعض جزئياتها تقاطعا مع بعض مميزات القبيلة المغرب أوسطية كالقبيلة

<sup>1</sup> جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص 251-252.

<sup>2</sup> نفسه، ص 252.

<sup>3</sup> أرنست كلنير: السلطة والوظيفة الدينية في البوادي المغربية، ضمن كتاب الأنثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، ط2، ترجمة عبد الأحد التنسي وعبد اللطيف الفلق، دار طوبوقل للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2007م، ص 46.

<sup>4</sup> خلفات مفتاح: المرجع السابق، ص 36.

## الفصل التمهيدي : \_\_\_\_\_ بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

زواوة على وجه الخصوص مشاركتها في الحضارة الإسلامية لان يتعلق بقبيلة مكتفية بذاتها وإنما بنظام قبلي يقتسم مع المجتمعات الإسلامية الأخرى قيمها ومعتقداتها، ويؤكد غلينر على ذلك بقوله: «أن هذه القبائل لم تكن جزءا فكريا ولا معنويا، أنها كانت جزءا من الحضارة الإسلامية الكبيرة وكانت تمثل الإسلام بحماس وقوة، أنها كانت تعيش على هامش مجتمع عالمي غير قبلي بصفة حقيقية، كما يمكن أن نضيف إلى هذه الخاصية الحضور الفاعل لفئة الصلحاء في مجتمعنا المغربي، وعلى الرغم من قدمته المدرسة الانقسامية من إضافات حول واقع القبيلة في بلاد المغرب إلى جانب الحضور القوي لأطروحة ابن خلدون حول مفهوم القبيلة والعصبية في مجمل تحليلاته الأنثروبولوجية، إلا أنها لم تسلم من انتقادات علماء الاجتماع والتاريخ على حد سواء<sup>1</sup>.

وبالرغم من أسهمت به الدراسات الإستشراقية أنثروبولوجية ومونغرافية للكشف عن خصائص البادية من خلال التنظيم القبلي في المغرب الأوسط إلا أن معظم تحليلاتهم غاب عنها الفهم الحقيقي للتطور الذي عرفته القبيلة المغربية عموما لأنهم أرادوا من خلال هذه الأعمال المنجزة تشبيه القبيلة المغرب أوسطية بتلك التي قضى عليها الرومان في أوروبا كما استنتج أحد الباحثين، وهو ما نقرأه في كتابات هانتو - ولوته رنو اللذان ركزا على الخصوصية البربرية لقبيلة زواوة للتأكيد على ارتباط تشريعاتها بالقانون الروماني كمثيل لباقي القبائل الأخرى<sup>2</sup>.

### د- الولاء والاحترام:

يحترم أفراد القبيلة شيوخهم ويطيعونهم، وقد لاحظ ابن حوقل (ت367هـ) هذا الموضوع، فذكر بخصوص سكان بلاد المغرب أن لهم رؤساء في قوله: « وفيهم رؤساء مقدمون في القبائل يطيعونهم فلا يعصونهم ويأمرهم فلا يخالفونهم »<sup>3</sup>، ومرد التزام الفرد بالحكم الصادر عن مجلس القبيلة راجع لاقتناعه بعدالته ، وإلا كان بإمكانه أن يعتزل مجتمع قبيلته دون أن يناله أدنى عقاب بدني، ويرجع هذا إلى صفات ومميزات البادية نفسها، ممثلة في حب حريته، وفي بساطته وصراحته وصدقه وعدم انصياعه للإهانة والمذلة .

### هـ- الطبقة في المجتمع البدوي :

تعرف البادية بانفتاحها الجغرافي حيث لا تحميها أسوار ولا حاميات تقي المجموعات القبلية من شر أي عدوان محتمل ومن منا تنشأ ظاهرة العصبية كإفراز لمعطيات اجتماعية واقتصادية ودفاعية، فالبادية تتميز

<sup>1</sup> خلفات مفتاح: المرجع السابق، ص38

<sup>2</sup> نفسه، ص38-39.

<sup>3</sup> ابن حوقل: المصدر السابق، ص97.

## الفصل التمهيدي : \_\_\_\_\_ بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

بقساوة العيش، ومواردها الإقتصادية غير ثابتة ولا قادرة على توفير الضروري من العيش باستمرار، لهذا فالبدو يعيش حياة الصراع من أجل البقاء والحصول على لقمة العيش وبما أن إمكانياته الفردية غير قادرة على ضمان نجاح سعيه، فإنه يضطر للاحتماء بالجماعة دفاعاً عن نفسه وسلامة مكتسباته، ومن هنا تصبح العصبية القبلية أداة لحماية الفرد والمجتمع القبلي وتوفير القوت له، ومعنى هذا أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية للبادية فرضت وجود علاقات تضامن في القبيلة<sup>1</sup>، فأفراد القبيلة متساوين في الاستفادة من الموارد الإقتصادية المشاعة كالمراعي والآبار والعيون، إلا أنه لما كانت القبائل تقوم بعمليات غزو وسلب من حين إلى آخر، فقد كانت هذه العمليات فرصة مناسبة لبعض أفراد القبيلة، تتيح لهم أن يبرزوا شجاعتهم وقوتهم وجراحتهم، وقد كانت هذه الفئة تحظى بامتيازات خاصة مكافأة على بلائها، وكان هؤلاء ينالون عدداً أكبر من الماشية، وهكذا تتحقق لهم ملكية أكبر تنمو باضطراب مع مرور الزمن وهم يتوارثونها خلفاً عن سلف حتى بلغ لأحدهم عشرات الآلاف من البقر والغنم والحمير<sup>2</sup>.

وهكذا ظهرت الملكيات الخاصة للأفراد داخل القبيلة ولذلك بات بديها أن يبرز التفاوت الاجتماعي خاصة وأن تقسيم المهام والوظائف الإقتصادية ساعد على ذلك ولو أنه لم يبلغ درجة التفاوت الطبقي في المدن، لم تخفي النصوص هذا التفاوت الاجتماعي داخل المجتمع البدوي القبلي فقد عبر النويري عن ذلك حين ميز بين العامة والخاصة داخل قبيلة لمتونة<sup>3</sup>، وذكر ابن أبي زرع أن الذين استقبلوا عبد الله بن ياسين عند حلوله بديار صنهاجة في الجنوب أعيان لمتونة وأكابرهم، وعندما طلب منهم توعية القبائل قال لهم انتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم، وذكر أن زعيم قبيلة مغراوة ببلاد درعة مسعود المغراوي كان يملك خمسين ألف ناقة<sup>4</sup>.

كما أن الأسر الحاكمة في البادية كانت إلى جانب مكانتها تملك مجموعة من قطعان الإبل، فقد امتلك ابن زغلين تلك الأعداد الهائلة من الحيوانات، فهذه تمثل الملكية الكبيرة، وإن لم تكن على حساب

<sup>1</sup> بوتشيش إبراهيم القادري: مباحث في التاريخ الاجتماعي في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ط1، دار الطباعة والنشر، بيروت، لبنان 1998م، ص225.

<sup>2</sup> جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص254.

<sup>3</sup> إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ص228.

<sup>4</sup> أبو الحسن علي بن عبد الله، أبي زرع الفاسي (ت خلا القرن 8): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص127.

## الفصل التمهيدي : \_\_\_\_\_ بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

الآخرين إلا أنها كانت تعني استئثار أصحابها بالموارد المشاعة واستخدام بعض أبناء القبيلة في مراقبتها ورعيها وخدمتها<sup>1</sup>.

وهكذا يمكن أن نميز في القبيلة الواحدة فئات، فتصدر شيوخ القبائل والأعيان قمة الهرم الطبقي بفضل الثروات التي تكسبت لديهم عن طريق الأرباح التي جنوها من تجارة القوافل، فالتجار كانوا يؤدون عادة ضريبة كلما مروا على قبيلة من القبائل، يذكر ابن حوقل (ت367هـ/977م) أن لهم لوازم على المجتازين يلزمونهم على ما معهم من التجارة ويخفرونهم<sup>2</sup>، ويكون نصيب الشيوخ يشكل نصيب الأسد فضلا عن الجاه الذي تمتعوا به بسبب علاقتهم بالسلطين والأمراء، فهم المكلفون بجمع الضرائب من أفراد قبائلهم للحكم المركزي، كما أن الحروب شكلت وسيلة أخرى من وسائل إثراء إذا لشيخ القبيلة نصيب الأسد من الغنائم وبالتالي توسيع الفوارق الاجتماعية إذا سمحت لشيخ القبيلة باحتكار نصيب الأسد وتكدست عنده ثروة طائلة، فأصبح بواسطتها فوق أعضاء القبيلة وبقدر ما ازداد عدم التكافؤ في الثروة بين أفراد القبيلة، أصبح شيوخ القبيلة يملكون الأموال ووسائل الإنتاج كالأرض والماشية<sup>3</sup>.

وفي وسط الهرم القبلي يوجد السواد الأعظم أو عامة القبيلة وأفرادها متساوون في أوضاعهم، فهم من المزارعين وبعض الحرفيين والسوق فضلا عن الغرباء الذين التجئوا إلى القبيلة للاحتماء بها بعد ما تركوا قبيلتهم الأصلية فرارا من العار أو بسبب جريمة ارتكبوها، وفي هذا السياق ذكر مارمول أن قبائل جبال البرانس يجيرون المجرمين الذين يحتمون بهم، لكن هؤلاء اللاجئين يفقدون بعض حقوقهم داخل قبيلتهم الجديدة ودورهم الحربي على الخصوص مهما بلغت درجة كفاءتهم القتالية لان العرف القبلي يفرض أن يكون المقاتل من صلب القبيلة.

وغالبا ما يكون دخل هذه الفئة محدودا جدا ومصدره المحصول الزراعي وتربية المواشي، وقد يحصل بعض أفراد القبيلة على نصيب من الضرائب المف-روضة على القوافل التجارية، ولكنه نصيب ضئيل خصوصا بعد توزيعه على جميع أعضاء المجموعة ولذلك وجدة هذه الفئة في الغزو أهم وسيلة مصدر لكسب فهي توزع عليها الغنائم كذلك بعد أخذ الشيخ نصيبه<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص254.

<sup>2</sup> ابن حوقل: المصدر السابق، ص99.

<sup>3</sup> إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ص129.

<sup>4</sup> نفسه، ص230؛ جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص254.

## الفصل التمهيدي : ————— بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

أما في قاعدة الهرم فيأتي العبيد الذين رمت بهم الأراميل إلى البوادي، وتم استرقاقهم من القبائل المهزومة فتشتغلوا في الأعمال المضنية كحفر السواقي وقلع الأحجار والحرق والدرس، فضلا عن المهن الأخرى ولا يساورنا شك في أنهم عاشوا ظروفًا أسوأ من عبيد المدن<sup>1</sup>.

على أية حال لا نستطيع أن نقول أنه كان في المجتمع البدوي طبقات بمفهومها الحديث، وأن هذه التغيرات داخل القبيلة كانت بطيئة جدا لغلبة الطابع الجماعي لوسائل الإنتاج من جهة، وإمكانات الفرد المحدودة من جهة ثانية، فالفرد قلما يستطيع إكتساب مصالح شخصية داخل القبيلة، لأن هذه الأخيرة تعتبر أي ضرر يلحق الفرد ضررا يمسها مباشرة، فتقوم برده ومقاومته، لكنها في الوقت ذاته تعد كل مصلحة أو منفعة أو كسب حققه الفرد ملكا لها من الناحية المبدئية على الأقل يحق لها التصرف فيه بكيفية مطلقة، كما لو أن القبيلة شاركت في تحصيل ذلك الكسب أو المنفعة وكل من حاول الخروج عن تقاليد القبيلة يصبح عضوا غير مرغوب فيه بل يتعرض للطرد والنبد، ونستنتج مما سبق أن القبيلة في البادية شكلت نموذجا لمجتمع تراجي تتفاوت فئاته نتيجة تفاوت في الثروة والجاه<sup>2</sup>.

### و- الترحال وتباين نمط المعيشة :

على اختلاف البيئة الجغرافية وتباين نمط المعيشة وشدة التمرس على أساليب الحياة الحضرية، أسهم بقسط كبير في تفاوت النشاط الاجتماعي والاقتصادي الذي تضطلع به كل قبيلة بدوية كانت أم ريفية. فقد فرضت طبيعة المغرب الأوسط المتنوعة التضاريس على السكان الضارين بين السهول الفسيحة كسهول متيجة ووهران وبونة، والسفوح الشمالية لسلسلة الأطلس التلي - حيث تسود التربة الخصبة<sup>3</sup> والمناخ المعتدل والأمطار الغزيرة، إضافة إلى وفرة مياه الأمطار والمنتجعات الواسعة والغابات الكثيفة - حياة رغدة نتيجة ملائمة الظروف الطبيعية، فمارسوا الزراعة وامتحنوا صناعات متنوعة، واستقروا في بيوت مبنية من الطين والحجارة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ص230.

<sup>2</sup> نفسه، ص231.

<sup>3</sup> يتسع نطاق البادية عند ابن خلدون حيث يطلق كلمة البدو على سكان التلول الخصبة والجبال المشجرة وحتى الذين يعيشون على تربية الأبقار ويبدو أن هذا الصنف من الناس في المغرب الأوسط زمن ابن خلدون هو اقرب إلى البداوة وشظف العيش فلذلك اعتبرهم من البدو؛ ابن خلدون: البداوة والحضارة، ص34.

<sup>4</sup> عبد الحميد الفهري: البربر الجبال في العصور الوسطى، مقال ضمن أعمال ملتقى التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، جامعة قسنطينة، 2001م، ص143.

## الفصل التمهيدي : ————— بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

وإذا توغلنا نحو الداخل اعترضنا وجود مرتفعات تنحصر بين سلسلي جبليتين شامختين تمتد في شكل مثلث، وبسفوح جبال هذا الإقليم استقر البربر الجبال في قرى متناثرة لاسيما في السفوح الشمالية للأطلس التلي المواجهة للساحل على غرار قبيلة كتامة الضاربة في جبال زاوة وصنهاجة بجبل التيطري<sup>1</sup>، وقد جمع هؤلاء بين ممارسة الزراعة على السهول الفسيحة التي تشرف عليها أراضيهم ورعاية الإبل والأغنام والأبقار بالمنتجات القريبة منهم<sup>2</sup>، إلا أن ذلك لم يمنعهم من احتراف بعض المهن البسيطة كالنسيج وصناعة الأواني الفخارية والطينية وصناعة السيوف.

في حين فرضت الأراضي الجذباء على التخوم الجبلية للسلسلة الأطلسية الصحراوية على أهلها حياة قاسية، واقتصروا فيها على الضروري من الأقوات، ومن ثم فهم إلى التنقل والترحال أميال طلبا للمياه وانتجاعا للمسارح، وتطلعا لحياة أفضل، وكان عيشهم من ألبان حيواناتهم ولحومها "وليس يعرفون حرثا ولا زرا ولا خبزا، إنما أمواهم الأنعام....ينفذ عمر أحدهم وما رأى خبزا ولا أكلة، إلا أن يمر بهم التجار...."<sup>3</sup> وعلى الرغم من النقلة النوعية في نمط المعيشة البدو الذي أحدثها اكتشاف الجمل في بلاد المغرب، فقصرت المسافات وصار البدو يجوبون الصحراء من أقصاها إلى أدناها، إلا أن ذلك لم يخفف من وطأة الحياة القاسية التي كانوا يعيشونها من جراء قهر الظروف الطبيعية .

وتؤكد صحة المبدأ العام للتمييز بين البداوة والحضارة في النظر إلى نمطي العيش، فأهل البداوة وهم البدو الناجعة وأشبه البدو، حيض تحضر حياة الفلح يمثلون أكثر أشكال الحياة الاجتماعية بدائية وشظفا في الدرع إلى اقلها في الريف ومختلف درجات مجاهدة الإنسان للطبيعة من أجل بقائه أما الجيل الذي يعبر أفضل تعبيرا عن ماهية البداوة بوصفها نمط عيش بدائي<sup>4</sup> .

من الطبيعي أن يحتدم الصراع بين البدو الرحل والحضر المستقرين حول مصادر المياه والأراضي الخصبة والمنتجات الفسيحة، بحكم بقساوة الظروف الطبيعية في الجنوب وقلة المسارح، فكثير ما كان البدو يغيرون على مضارب الحضر للإستلاء على خيراتهم ومزارعهم حتى صارت صنعة لهم، وأضحوا ميالين إلى سلب ما في أيدي الناس، وصارت أرزاقهم في ظل رماحهم<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ابن خلدون: العبر، ج6، ص153.

<sup>2</sup> ابن خلدون: المقدمة، ص212.

<sup>3</sup> ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص86.

<sup>4</sup> جورج لاييك: المرجع السابق، ص87-88.

<sup>5</sup> ابن خلدون: المقدمة، ص213.

وأمام هذا الواقع المتأزم اضطرت قبائل الحضرة إلى الإتحاد لدفع خطر الهجمات المتكررة للبدو على مواطنها، مثلما فعلت صنهاجة التي جمعت شملها ووحدت بطونها لدرع زناتة البدوية التي كثرت تحرشاتها على أراضيها<sup>1</sup>.

### ز - طابع البداوة :

عرفت بلاد المغرب الأوسط ظاهرة البداوة منذ أقدم العصور وباعتبارها منطقة قاحلة قليلة السهول وتندر فيها الأنهار فهي مؤهلة أكثر من غيرها لتقدم الحياة الرعوية والبدوية مع العلم أن البداوة تسبق دائما مرحلة الاستقرار<sup>2</sup>. و قد ذكر ابن خلدون (ت808هـ/1405م): « أنّ أحوال الحضارة ناشئة من أحوال البداوة و أنها أصل لها...»<sup>3</sup>، ويتمّ الإنتقال إلى مرحلة العمران الحضري إذا توفّر فائض في الإنتاج الزراعي بالبادية، قادر على توفير المعاش للمشتغلين في الصناعة والتجارة والسياسة، فالمجتمع الحضري يلد من رحم البادية، وهي نظرية أثبتتها الدراسات التاريخية<sup>4</sup>، غير أنّ ابن خلدون توصّل إليها من قبل إذ قال: « ثمّ إذا اتّسعت أحوال هؤلاء المنتحلون للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنيّ و الرفق، دعاهم ذلك إلى السكون والدعة و تعاونوا في الزائد على الضرورة، واستكثروا من الأقوات و الملابس و التأنق فيها و توسّعت البيوت و اختطاط المدن و الأمصار<sup>5</sup> للتحضّر»<sup>6</sup>، وقوله أيضا: « أن عمران البادية ناقص عن عمران الحواضر الحواضر والأمصار لأنّ الأمور الضروريّة في العمران ليست كلّها مجودة لأهل البدو، وإنما توجد لديهم في مواطنهم أمور الفلح ، وموادها معدومة ومعظمها الصنائع، فلا توجد لديهم بالكليّة من نجار وخبّاط وحدّاد... وإنما بأيديهم أعواضها من مغلّ الزراعة وأعيان الحيوان ألبانا و أوبارا... ممّا يحتاج إليه أهل الأمصار»<sup>7</sup>، و هكذا يتمّ الإنتقال من العمران البدو إلى الحضرة تدريجيّا.

<sup>1</sup> النويري: المصدر السابق، ص304.

<sup>2</sup> إبراهيم جدلة: المجموعات القبلية البدوية وتأثيرها على الحياة الاجتماعية والسياسية بإفريقية أثناء العهد الحفصي، ضمن أعمال الملتقى الدولي:

القبيلة - المدنية - المجال في العالم الغربي الإسلامي الوسيط ، تونس 10-12 أبريل ، 2003 م ، ص154.

<sup>3</sup> المقدّمة، ص 116.

<sup>4</sup> محمد حسن: المرجع السابق، ص 91.

<sup>5</sup> المصر: جمعه أمصار، والمصر هو الكورة وجمعها أمصار ، ومصرفوا الموضوع ، أي جعلوه مدينة بعينها؛ ابن منظور: المصدر السابق، ج5، ص176.

<sup>6</sup> المقدّمة، ص114

<sup>7</sup> ابن خلدون: المقدمة، ص 141.

## الفصل التمهيدي : \_\_\_\_\_ بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

ومما يشهد لنا أن البدو أصل للحضر ومتقدم عليه، أننا إذا فتشنا أهل مصر من الأمصار وجدنا أولية أكثرهم من أهل البدو الذين بناحية ذلك المصر، وأنهم أسيروا العيش في المدينة وعدلوا إلى الدعة والترف الذي في الحضر، وذلك يدل على أن أحوال الحضارة ناشئة عن أحوال البداوة وأنها أصل لها<sup>1</sup>.

فأهل المدن سبق أن كانوا أهل ريف وكما يسبق الضروري الكمالي كذلك تسبق حياة البداوة حياة الحضارة ويلتقي التحليل الكيفي الذي يميز أنماط العيش بالتحلي الكمي الذي يعين درجات العمران ولهذا فالحضارة القطب المقابل للبداوة ولكنها أيضا غايته، فالبدو أصل للمدن والحضر وسابق عليهما<sup>2</sup>.

---

<sup>1</sup> ابن خلدون: البداوة والحضارة، ص44.

<sup>2</sup> جورج لبيكا: المرجع السابق، ص88-89.

## الفصل الأول: الحياة الاقتصادية لبادية المغرب الأوسط

أولاً: النشاط الفلاحي لبوادي المغرب الأوسط

1- نظام الأرض

2- السياسة الزراعية ببادية المغرب الأوسط

3- الرعي ببادية المغرب الأوسط

ثانياً: الحرف والصناعات البدوية

1- الصناعات الزراعية وما يتصل بها

2- الصناعة الفخارية:

3- الصناعة المعدنية

ثالثاً: النشاط التجاري ببادية المغرب الأوسط

1- الأسواق:

2- المراكز والطرق التجارية

3- المبادلات والسلع التجارية

### أولاً: النشاط الفلاحي لبوادي المغرب الأوسط:

تعد الفلاحة<sup>1</sup> أحد أهم الأنشطة الاقتصادية الهامة التي مارسها الإنسان لتوفير الغذاء على مر العصور، فهي من أقدم المهن التي مارسها الأمم، وهي سمة حضارية وإنسانية ترتبط بقوة بحياة الإنسان، خاصة منهم أهل البادية بدرجة أولى، فلا يخامرنا الشك أن الزراعة تلعب دوراً مهماً في تطور المجتمعات وازدهارها لأنها أساس الأنشطة الاقتصادية الأخرى من صناعة وتجارة، لذا فإننا نجد أن الإنسان منذ القدم قد تشبث بالأرض واستقر بها.

### 1- نظام الأرض:

ساهمت الأيستغرافيا التاريخية خاصة النوازل الفقهية منها بما تتضمنه من عقود متنوعة ونصوص ثمينة في ترميم جوانب هامة من النشاط الفلاحي لبادية المغرب الأوسط، حيث أفادت في معرفة قضايا المزارعة والمغارسة والمساقاة، وفي إمطة اللثام عن مظاهر تنظيم البوادي في المغرب الإسلامي من مختلف الأوضاع والعلاقات كالبحث عن وضعية الأرض والتعرف على أنواع ملكية الأرض<sup>2</sup>. وقد خضعت الأرض ملكيتها بالمغرب الأوسط إلى التقسيم الآتي:

#### أ- الملكية الخاصة:

لقد صاحبت الملكية المجتمع منذ نشأته الأولى فوجد الإنسان ووجدت الملكية معه ولأن الإستثمار والاختصاص وهما ركن الاستيلاء في الشيء المملوك، جلبة في نفس الإنسانية وفيما يخص تملك الأفراد للأراضي فإنه يتم عبر مجموعة من الوسائل التي وإن كان إطارها شرعياً فإنها كثيراً ما كانت تأخذ مضمونها عرفياً<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عرفها حاجي خليفة في كشف الظنون بأنها علم يعرف منه على كيفية تدبير النبات، من أول نشوئه إلى منتهى كماله بإصلاح الأرض إما بالماء أو بخللها ويحميها من المغفات كالسماد ونحوه، أو يحميها في أوقات البرد مع مراعاة الأهوية فيختلف باختلاف الأماكن، ينظر: <sup>1</sup> حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص1288.

<sup>2</sup> فاطمة بالهوارى: "النص النوازي للغرب الإسلامي أداة لتحديد البحث في تاريخ الحضارة الإسلامية"، مجلة عصور، العدد17، مخبر البحث التاريخي كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، ديسمبر 2010م، ص90.

<sup>3</sup> عمر بالبشير: جنوب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغرب الأوسط والأقصى (ق6-9هـ/12-15م) من خلال كتاب المعيار للنشر، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 2009-2010م، ص157.

وأفادت بعض النصوص الإفتائية والنازلية بوجود أراضي الملك الخاص، فكانت لها تسميات مختلفة بحسب نوعها، كالجنان، أو الضيعة، أو العرصة، أو بستان<sup>1</sup>.

وكثيرا ما كانت تتعرض هذه الأراضي للغصب والتعدي أو المصادرة، خاصة لدى المجتمع البدوي الذي كان متشبثا بالأرض وبامتلاكها لحد النخاع، والذي يفهم هنا أن بعض الأملاك كانت تأخذ بالغصب والحيازة الغير مشروعة ولعل ملكيتها تحول بعد ذلك إلى أشخاص آخرين عن طريق البيع أو الإرث أو الهبة، مما يزيد في تعقيد المسألة، كما تردد بعض النوازل عناصر التشكيل الذي تتخذه الملكيات الفردية داخل نطاق زراعي متعدد الحوزات، فنجد أن هذه الحوزات كانت معزولة برموز يقبلها الجميع كالزنقة أو الخندق، إضافة إلى أنظمة الري التي كانت إلى حد ما تحدد ساعات الحوزات<sup>2</sup>.

وكان من الطبيعي أمام اختلاف الوضعية القانونية والاجتماعية للانتفاع بالملكية الخاصة أن تعدد أوجه الحياة فتجسدت في أشكال مختلفة نذكرها على التوالي:

### 1-الأراضي السلطانية:

كانت الأراضي الزراعية تشكل أهم قوى الإنتاج فخضعت ملكيتها نظريا للدولة أما ملكية مطلقة أو تلك التي شرعت هذه الأخيرة قانونا بتقسيمها على المزارعين في إطار موثيق تحدد أشكال الملكية وأنصبة المزارعين من عوائد الإنتاج وكذا حقوق الدولة في هذه العوائد باعتبارها المالك الشرعي للأرض<sup>3</sup>.

تفيد كتب النوازل بأن نظام الأرض لم يكن مستقر بالمغرب الأوسط فبين نشوء الدولة وانقراضها تمر الأرض خاصة المقطوعة منها بعدة أوضاع ولا شك أن التحركات القبلية واستفادة القبائل منها قد ساهم غموض هذه الوضعية، بحيث نجد أن السلاطين فهما وأغرضا لا تتلاءم مع تصرفات المجموعات المستفيدة من الأراضي<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> أحمد الونشريسي: المعيار، ج5، ص 28/ ج9، ص 601/ ج10، ص 101.

<sup>2</sup> عمر بنميرة: النوازل والمجتمع مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط (القرنان الثامن و التاسع هـ/ 14 و 15م)، ط 1، مطبعة الأمنية، الرباط، 2012م، ص 153-154.

<sup>3</sup> محمود إسماعيل عبد الرزاق: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1988م، ص 448.

<sup>4</sup> عمر بنمير: المرجع السابق، ص 198.

## 2-أراضي الإقطاع:

جمع إقطاع وهو مصدر اقطع يقال اقطعه أرض أي كان يقطعه إقطاعاً<sup>1</sup> وهي أراضي ملك للدولة، ولا يحق التصرف فيها إلا من قبل السلطان، يميز إقطاعها لمن يشاء من خلال تفويض السلطة لشخص أو جماعة على رقعة محدّدة، ثم توسّع المفهوم ليشمل جباية الأعشار، واستغلال الأراضي الفلاحية و استخلاص فوائد الرعي وقبض الرسوم ، مقابل هذه الامتيازات كان المستفيد من الإقطاع يتحمّل مسؤوليتين: الأولى دفاعية ردعية يحارب بموجبها أعداء السلطان، والثانية جباية يرغم بموجبها السكان على دفع ما بذمتهم للخزينة العامة<sup>2</sup>.

وقد عرف المغرب الإسلامي هذا النوع من الأراضي ومن نماذج ذلك أن الموحدین أقطعوا قبيلة بني عبد الواد إقطاعيات وفيرة بأحواز تلمسان، في حين أن الدولة الزيانية عرفت هذا النوع من الأراضي في عهد السلطان يغمراسن<sup>3</sup>.

ويوضح ابن خلدون(ت808هـ/1405م) استفادة عدد من القبائل بهذا النوع من الأراضي « نظام الإقطاع » بقوله: " وانبسطت أيدي العرب على الضاحية أقطعتهم الدولة حتى الأمصار وألقاب الجباية ومختص الملك ... وقاسموهم في جبايات الأمصار بالإقطاع ريفاً وصحراء وتلالاً وجريداً." <sup>4</sup> وأول من عمل بنظام الإقطاع في دولة بني عبد الواد هو السلطان يغمراسن بن زيان (633 - 681 هـ / 1235 - 1282 م ) مؤسس الدولة، حيث اقتطع مشايخ قبيلة سويد العامرية بلاد البطحاء وسيرات وهوارة<sup>5</sup> وتبعه في ذلك التقليد بقيّة سلاطين بني زيان، هذا وقد طغى نظام الإقطاع بصفة خاصة خلال عهد السلطان أبي حمّو موسى الثاني (760 - 791 هـ / 1359 - 1389م ) حيث أصبحت الدولة عبارة عن إقطاعات للقبائل والأشخاص<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> القلقشندي:المصدر السابق ، ج3، ص104.

<sup>2</sup> محمد العروي : مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1999م، ص 211.

<sup>3</sup> عبد الرحمان بن خلدون: العبر ، ج6، ص 61.

<sup>4</sup> نفسه ، ج6، ص 103.

<sup>5</sup> نفسه، ص59.

<sup>6</sup> وفي هذا المجال يأتي ذكر عدد من القبائل ومشايخها من أمثال : قبيلة الحرث بن مالك ، وهم من العطف والديالم ، قبيلة زغبة ومنها قبائل بني عامر ، قبيلة ذوى منصور من المعقل ، قبيلة المنبات من ذوي منصور ، أما عن مشايخ القبائل نذكر منهم : عنتر بن طراد بن عيسى ، يوسف بن مهدي من مشايخ سويد ، داوود بن هلال بن عطف من مشايخ بني عامر ؛ أنظر : ابن خلدون: العبر، ج6، ص61-110.

وكان الإقطاع إما على هيئة تمليك أو استغلال ومن خلال التنظير الفقهي للأراضي نفهم أن إقطاع التمليك للأراضي هو ملكية تامة ويتم توريثها ويقام عليها العشر وقد شمل هذا الإقطاع أساسا أراضي توفي أربابها ولا ورثة لهم، هذا بالإضافة إلى أراضي الموات<sup>1</sup> وكانت حيازة هذا النوع الخير من الأراضي لا تظهر إلا في المناطق التي لا عمران فيها<sup>2</sup> غير أنه وجيز في حالة كالتى يكون فيها القرار من السلطان وأنه لا يسبب أضرار<sup>3</sup>.

### ب- الملكية العامة:

أوردت كتب النوازل في كثير من الأحيان معلومات أرض في ملك جماعة، مستعملة تعابير عدة مثل "حظ شائع في أملاك مشتركة بينهم وبين قوم آخرين" أو "مرعى مشترك"<sup>4</sup>. هذا في ما يخص الشراكة، أما في ما يخص الملكية الجماعية في إطار العائلة كان قائما، حيث تدلي النوازل بنظام شيوع الملك بين الأقارب والورثة، وقد تواصل في كثير من المرات هذا النظام من التملك طوال بضعة أجيال<sup>5</sup>. والملك المشاع بالمغرب الأوسط إتخذ أشكلا تصنف على النحو التالي:

### 1- أراضي القبائل:

شاعت ملكية الأراضي الجماعية حيث تكون هذه الأرض ملكا للقبيلة، غير أننا لا نزال بحاجة إلى معطيات بدقة حول حدود أراضي القبائل وإحصائها، يكمن هذا النقص في صعوبة رسم خريطة دقيقة لتوزيع بطون قبيلة من القبائل البربر والعرب على أرض المغرب، وقد علق جاك بيرك "J, BERQUE"<sup>6</sup> عن ظاهرة التشتت القبلي في بلاد المغرب، وقد رأى أن أسماء المجموعات القبلية تتكرر هنا وهناك في المجال الجغرافي المغربي كله، وهذا التكرار يجعل عملية تشخيصها على الخريطة من العمليات الصعبة والمستحيلة<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> الماوردي: الحكام السلطانية والولايات الدينية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983م، ص 164-167.

<sup>2</sup> ابن أبي زيد القيرواني: النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، ج 10، تح مجموعة من الأساتذة، عبد الفتاح محمد الحلو، محمد عبد العزيز الدباغ، محمد حجين عبد الله المرباط الترغي محمد الأمين بو خبزة، دار الغرب الإسلامي، 1999م، ص 500-501.

<sup>3</sup> البرزلي: المصدر السابق، ج 4، ص 451.

<sup>4</sup> عمر بنميرة: المرجع السابق، ص 199، 200؛ ومحمد فتحة: المرجع السابق، ص 348.

<sup>5</sup> روبر بارنشفيك: المرجع السابق، ج 2، ص 187، 188.

<sup>6</sup> BERQUE, J. MAGHERB. HISTOIRE ET SOCIÉTÉ. S.N.E.D. ALGER. 1974. PP22-26.

<sup>7</sup> من أهم الدراسات التي اهتمت بتحليل نظرية البداوة والحضارة عند ابن خلدون؛ محمد عابد الجابري: فكر ابن خلدون، العصبية والدولة، دار الطليعة، بيروت، ط 3، 1982م.

وننتقل بالبحث بذلك إلى مستوى تحديد المكان للقبيلة، وعليه فإن القبيلة هنا ليست مجتمعاً بدائياً، وإنما هي وحدة نسقيه معيارية، تدرس ضمن تجمعات القبائل المستقرة، بدليل أن نظام الخراج الذي يفرض عليها بمعناه الجبائي يستهدف المجتمعات القبلية الفلاحية، حيث ألزمته وضعية الارتباط بالأرض بالدفاع عنها<sup>1</sup>.

### 2- أراضي الأحباس:

وهي الأراضي التي وقفها أصحابها المسلمون لأغراض دينية حيث تدلي النصوص النوازية بمعلومات مهمة عن الأراضي التي كانت خاضعة لنظام الوقف، والتي تقدم الكثير من المسائل المتعلقة بهذا النوع من الأوقاف.

ويعني آخر الأراضي المحبسة هي التي يتنازل عنها صاحبها أو السلطان إذا كان الأمر يتعلق بأراضي الدولة فعلياً - وهو مازال على قيد الحياة - عن حق الانتفاع بها لفائدة الفقراء والمشاريع الخيرية، ويمكن أن يكون المنتفعون الوسطاء أشخاصاً مهما كانوا، أو وراثتهم حسب نظام محدد من طرف المحبس<sup>2</sup> وقد شكّل هذا النوع من الأراضي انتشاراً كبيراً في المغرب الأوسط بفعل تزايد درجة التأثير الديني في المجتمع، خاصة عندما يتعلق الأمر بعائداًها المالية التي تصرف على المرافق العامة كالمساجد والمدارس والزوايا<sup>3</sup>.

وذكر أحمد الونشريسي (ت 914هـ/1508م) أن هذه الأوقاف كانت تسير من طرف ناظر يقوم بعمله لقاء أجره التي كانت تحدد على أساس ما يستخلصه من الغلات والأصول وذلك حسب اجتهاده<sup>4</sup>، حيث كانت أغلب الأراضي تستغل عن طريق كرائها<sup>5</sup>.

إن الملكيات الزراعية المحبسة كانت العديد منها تعاني من صعوبات في الاستغلال والاستثمار وهذا ما أدى إلى إهمال العديد منها، وذلك نتيجة تردّي الأحوال السياسية والإضطرابات العديدة التي عرفت بها بلاد المغرب<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> الدررجمي، أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 670هـ/1271م): طبقات المشايخ بالمغرب، ج 1، تح: إبراهيم طلابي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974م، ص 127-128.

<sup>2</sup> الونشريسي: المعيار، ج 6، ص 133.

<sup>3</sup> برونشفيك: المرجع السابق، ج 2، ص 195.

<sup>4</sup> الونشريسي: المعيار، ج 7، ص 385.

<sup>5</sup> نفسه، ص 84-146.

## 2- السياسة الزراعية ببادية المغرب الأوسط:

لكل منطقة خصوصية تميزها عن غيرها من مناطق؛ ويرجع ذلك إلى جملة من الظروف التي تتضافر فيما بينها لتهيئ الوضع للنشاط الزراعي<sup>2</sup> كالطوبوغرافيا، المناخ، الماء، والقوة البشرية، فهي التي تحدد نوع المزروعات وأماكن انتشارها، فالزراعة في بلاد المغرب لقيت رواجاً بين أهله طيلة فترات التاريخ، فقد اشتهرت بلاد المغرب بأصناف معينة من المزروعات، خاصة بعدما تستقر الأوضاع السياسية، وتماشياً مع الطبيعة البدوية التي سيطرت على بلاد المغرب وقد سمحت جملة من الظروف خاصة الطبيعية منها لمداولة النشاط الزراعي منها:

### أ- الإمكانيات المتاحة للنشاط الزراعي ببادية المغرب الأوسط:

من المعروف أن للفلاحة شروط و مقومات، لا بد من توفرها لضمان نجاحها وازدهارها فبعضها طبيعي كالمناخ وما يتبعه من أمطار وحرارة وخصوبة الأرض ونوعية التربة، وبعضها يعود للعنصر البشري ومهوداته كاستخراج المياه واستصلاح الأراضي، وهذا يتطلب خبرة ومهارة فائقة بالأمور الفلاحية، لاسيما ما يتعلق بانتقاء الحبوب وشراء الأدوات الضرورية للعمل الفلاحي<sup>3</sup>.

### 1- خصوبة التربة:

تعتبر التربة أهم المقومات الطبيعية التي يحتاج إليها الإنسان لممارسة حرفة الزراعة، حيث تدلي كتب الرحلات والجغرافية بخصب تربة المغرب الأوسط وغناها والتي أسهمت في تنوع المحاصيل الزراعية وجودتها وشهرتها، وربما هذا يعود لخصوصية الموقع الذي يتميز به المغرب الأوسط من حيث المناخ والتساقط، فمن هذه المناطق التي اشتهرت بخصب أراضيها نذكر نماذج منها، اشتهر ذكرها في مضان المصادر الجغرافية:

تلمسان حيث وصف حسن الوزان (ت بعد 975هـ) أراضيها الخصبة قائلاً: " السهول القريبة من الساحل منتجة جدا نظرا لخصوبتها، والجهة المجاورة لتلمسان كلها سهل مع بعض المفايزات غير أن الأماكن بها

<sup>1</sup> عبيد بوداود: الوقف في المغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجري/الثالث عشر والخامس عشر ميلادي، ودوره في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مكتبة الرشاد للطباعة و النشر، سيدي بالعباس، 2011م، ص 325.

<sup>2</sup> عرفها ابن خلدون: "بأنها صناعة غمرها إتخاذ الأقوات والحبوب بالقيام على إثارة الأرض لها و إزراعها وعلاج نباتها، وتعهد بالسقي والتمية إلى بلوغ غايته، ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه، وإحكام الأعمال لذلك، وتحصيل أسبابه ودواعيه وهي أقدم الصنائع لما أنها محصلة للقوت، ولهذا اختصت هذه الصناعة بالبدو....ينظر: عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة، ص 442.

<sup>3</sup> عبد المجيد قدورة: هجرة الأندلسيين الى المغرب الأوسط ونتائجها الحضارية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، العاشر والحادي عشر الهجري، في التاريخ الإسلامي، مذكرة ماجستير، معهد الحضارات الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ص 299.

زاهرة والبقعة خصبة"<sup>1</sup>. وهذا ما يفهم من قول الحميري(ت900هـ): " وهي كثيرة الخصب والرخاء، كثيرة الخيرات والنعم"<sup>2</sup>.

وتتبعها في ذلك وهران التي تقع على ساحل البحر المتوسط مما ساعد أهلها على مزاوله حرفة الزراعة إذ كان أهلها في خصب<sup>3</sup>. وبالجوار منها مستغانم التي توجد بها الأراضي الجيدة الخصبة وبساتين وجنات غناء<sup>4</sup>. وإذا اتجهنا شرقا نجد فحص متيجة وهو فحص عظيم كثير الخصب من السهول الجميلة<sup>5</sup>. وإذا عرجنا على المدية؛ فهي بلد جليل على حد وصف الجغرافيين لها وذلك كله بسبب وقوعها في سهل خصيب جدا<sup>6</sup>.

### 2- المياه:

كما ذكرنا آنفا أن عنصر خصوبة الأرض من العناصر الهامة في الزراعة وبعدها ذكرنا نماذج من الأراضي التي وصفت بخصب جناتها، أن الخصب لن يكون له معنى إلا إذا توفر عنصر الماء مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَأَوْمَ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>7</sup>.

إذ يعتبر الماء من العناصر الأساسية لاستمرار مزاوله حرفة الزراعة ومن نماذج المدن والبوادي التي نود التوقف عندها نذكر:

مدينة تاهرت إذ يقول عنها الإدريسي(ت548هـ/1159م): "وبمدينة تيهرت مياه متدفقة وعيون جارية ولكثرتها، فهي تصل إلى غاية منازلهم"<sup>8</sup>.

وكذا المسيلة التي احترقها نهر سهر وهو الذي بنيت عليه المدينة<sup>9</sup>. بالإضافة إلى مدينة مليانة وهي من المدن الكبرى اشتهرت بكثرة مياهها التي تتدفق من سفوح جبالها إذ تبقى أراضيها مخضرة صيفا وشتاء<sup>10</sup>.

<sup>1</sup> الحسن الوزان:المصدر السابق ، ج2، ، ص 10.

<sup>2</sup> الحميري:،المصدر السابق، ص 135.

<sup>3</sup> نفسه، ص 613.

<sup>4</sup> الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 32.

<sup>5</sup> نفسه، ج2، ص 37.

<sup>6</sup> نفسه، ج2، ص 41.

<sup>7</sup> سورة الأنبياء، الآية 30.

<sup>8</sup> الإدريسي: المصدر السابق، ص 157.

<sup>9</sup> البكري: المصدر السابق، ج2، ص 240.

<sup>10</sup> الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 35.

مستغانم كانت ذات عيون وطواحن ماء<sup>1</sup>. وبونة بها ماء سايح تسقى بها البساتين، وأما جبلها فهو كثير الثلج<sup>2</sup>.

### 3- اليد العاملة:

تعد اليد العاملة عاملا مهما لإستغلال الثروات مثلما ذكرنا من إمكانيات طبيعية للمغرب الأوسط؛ وبالتالي فقد كان للعنصر البشري اليد الأولى في خدمة الأرض وإفلاحها.

لقد وصف الحميري (ت900هـ) تلمسان وذكر قلعة ابن الجاهل التي بها، فقال: "وهو جبل كبير معمور فيه القرى الكثيرة والعمائر المتصلة"<sup>3</sup>.

وإذا انتقلنا للحديث عن بجاية فقد بلغ الجزء المعمور منها ثمانية ألف كانون<sup>4</sup>. أما جيغل ففيها ما يقرب خمسمائة، وقد وصف الوزان سكانها بقوله: "ورجالها أشداء وكلهم فلاحون"<sup>5</sup>، وكذا مستغانم وشرشال وشرشال فقد وصفهم الوزان بأنهما كانتا كثيرة السكان<sup>6</sup>. ولقد فرضت الطبيعة الزراعية لبادية المغرب الأوسط وفرة اليد العاملة في هذا المجال بحكم أن هذا المجتمع كان زراعيا.

### ب- طرق استغلال الأراضي الزراعية ببادية المغرب الأوسط:

يبدو أن العمل الزراعي في بادية المغرب الأوسط كان يقوم على الدورة الزراعية الثلاثية، فالأرض بين بور وقلب ومعمور، فالبور مع طبيها في ذاتها إلا القلب والتزليل والقلب، وهو حرث الأرض مرتين إلى أربع حسب لأرض ونوع الزرع والغرس، وتكون عملية القلب عادة في يناير إلى يونيو حيث تترك للحرث المفرط؛ لأن بعض المحاصيل لا توجد إلا في أرض القلب كالقمح والعدس، ولأن القلب دور في الأرض، فتجدهم يشترطون ذلك في كراء الأرض ومزارعائها أو مغارستها وأحيانا يستغنون عن القلب بزراعة ما يزيد التربة خصوبة<sup>7</sup>، وكانت تتم العملية الزراعية بالمغرب الأوسط وفق المراحل التالية:

<sup>1</sup> البكري: المصدر السابق، ج2، ص 251.

<sup>2</sup> نفسه، ج2، ص 234.

<sup>3</sup> الحميري: المصدر السابق، ص 135.

<sup>4</sup> الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 50.

<sup>5</sup> نفسه، ج2، ص 52.

<sup>6</sup> نفسه، ج2، ص 32-34.

<sup>7</sup> عز الدين موسى: المرجع السابق، ص 189.

### 1 -التزيبيل:

نظرا لأهمية التزيبيل بالنسبة للأرض تنوعت مصادر الحصول عليها حيث كانوا يتخذونه من زبل الخيل والبغال والغنم، أو يجمعونه من الكناسات<sup>1</sup>. ذكر الونشريسي(ت914هـ/1508م) في معياره بأن بعض أصحاب الأراضي كانوا يجمعونه مع مواشيهم ومواشي غيرهم و يبيتونها في الأرض التي يردون تزيبيلها حيث تلقي فضلاتها ويتداولون تبيتها بحيث يكون لكل واحد منهم على قدر غنمه<sup>2</sup>.

### 2- الحرث:

يعتبر الحرث الوسيلة الأساسية لهذه العملية وقد استعمله سكان منذ القدم فكانوا يستندون إليه حمرا جروفا، ومن الجهة الأخرى امرأة، وهذا الأمر كان معروفا في بعض مناطق المغرب، وأعتبر البقر أكثر الحيوانات استعمالا في الحرث ذكورها وإناثها، في ذلك سواء، كان الحرص على كثرتها يعد من الحرص على ازدهار الزراعة و كان المحتسبون في بلاد المغرب يشددون الرقابة على الجزارين في الأسواق حتى لا يذبح منها ما صلح للحرث<sup>3</sup>.

ولم يكن شراء البقر الوسيلة الوحيد لاستخدامها في الحرث، بل كان بعض الفلاحون يحصلون عليها عن طريق الشراكة؛ فيشرك من يملك بقرة أو ثورا واحدا ولا يستطيع أن يحرق به منفردا<sup>4</sup>.

### ج- طرق الانتفاع الفلاحي ببادية المغرب الأوسط:

تعتبر كتب النوازل مصدرا مهما للتعرف على ظروف الإنتاج في المجال الفلاحي، وخصوصا بما يتعلق بعلاقات الإنتاج التي تبرز في شكل عقود شراكة كما هو الشأن في عقود المزارعة والمغارسة والمساواة وشركات العسل والحرير، وبعض الأنشطة الزراعية، فبعض الفلاحين نتيجة لعدم توفر الأرض يضطرون إلى العمل لأملاك الغير<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> عز الدين موسى: المرجع السابق، ص 191.

<sup>2</sup> الونشريسي: المعيار، ج6، ص 315.

<sup>3</sup> موسى هوارى: تربية الحيوانات في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي الى سقوط دولة الموحدين ق1-7هـ / 7-13م، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008-2009م، ص 151.

<sup>4</sup> الونشريسي: المعيار، ج6، ص 55.

<sup>5</sup> محمد فتحة: المرجع السابق، ص 374.

يستند نظام استغلال الأراضي الزراعيّة والاستفادة من محصولها إلى وثيقة عقد ، تبرم بين صاحب الأرض على اعتباره مالكا لها، وبين العامل عليها الذي يكون طرفاً رئيساً في الشركة المبرمة حسب ما نصّت عليه وثيقة العقد من شروط وأحكام تتّصل بنظم الاستغلال وإدارة الأرض وتوزيع المحصول<sup>1</sup>.

وبالتالي فقد شكلت النوازل المتعلقة بالفلاحة مصدرا مهما يمكن الباحث من التعرف على طرق ونظم الاستثمار الفلاحي، خصوصا ما تعلق بعلاقات الإنتاج وأشكال التعاون الزراعي بين أفراد المجتمع البدوي، وعليه يمكن تقسيم عملية الانتفاع بالأرض على النحو التالي:

### 1- شركة المزارعة:

وتقتضي أن يكرى صاحب الأرض أرضا لمزارع يقوم بخدمتها وحرثها وتقليبها مقابل حصول الأخير على كمية معينة من الإنتاج، كما في نازلة "المرأة التي زارعت في حصة لها في قرية رجلا، فقلب المزارع، فلما كان أكثر، أكالات فلانة المزارعة هذه الحصة لمدة من عامين بعشرة مثقال، والعام الأول منها هو الذي وقعت فيه المزارعة"<sup>2</sup>.

ويتبين من خلال أدبيات النوازل الفقهية، أن المزارعة تكون على ثلاثة أقسام: الإشتراك في الأرض والآلة والعمل والبذور على التساوي، أي أن كل واحد يخرج ثورا عاملا للحرثة وأن يخلطا البذور ويزرعها، وعليهما جمع ما يتم الإحتياج إليه بعد الزراعة من العمل والحصاد، والدرس، إلى تمام ذلك، ثم يقسم على حساب اشتراكهما<sup>3</sup>.

وحسبنا في ذلك ورد في النوازل حول هذا الموضوع ما سئل عنه الفقيه مصباح الياصولتي: "عن شراكة الخماس يزرع قمحا وشعبيرا وقطنية وقطنا، فيهم ذلك كله ويأكل كل واحد حصة من الزرع ومن غلة القطن، فها تنقضي الشركة بينهما في القطن بقسم غلته كالزرع ولا يكون للخماس حق في أصله؟ أو تكون الشركة بينهما في القطن قائمة مادام أصله قائما؟ وهل يجري حكم الشراكة في القطن على حكم الشراكة في الزرع وتنقضي بقسم غلته أو عام؟ أو تبقى الشراكة بينهما مادام قائما بالأرض..."<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> روبر برونشفيك : المرجع السابق، ج 2، ص 189

<sup>2</sup> الونشريسي: المعيار، ج 8، ص 266.

<sup>3</sup> محمد فتحة: المرجع السابق، ص 375.

<sup>4</sup> الونشريسي: المعيار، ج 8، ص 145-147.

## 2- شركة المغارسة:

تأتي نوازلها من حيث الأهمية بعد نوازل المزارعة ويمكن تعريفها على أنها اتفاق أو عقد يتكفل بموجبه أحد الشريكين بتقديم الأرض ويقوم العامل بالغرس، وتعد المغروسات إلى أن تثمر ويمكن بعدها فقط أقسام الأرض بأشجارها حسب النصف المتفق عليه لكل منهما<sup>1</sup>.

والجدير بالذكر أن هذا النوع من العقود حصل فيه اختلاف بين الفقهاء وهذا ما نلمسه من خلال ما ورد في نوازل المعيار، وقد ذكر ابن عتاب أنه "اختلف في المغارسة .... إذ عقدت فاسدة وفاتت بالعمل والذي أقول به أن للعامل أجر مثله فيما غرس وفيما سقى، وكذلك الأرض تعطى مغارسة، وفيها أصول ثابتة هذا المختار وفيه أقوال كثيرة"<sup>2</sup>.

## 3- المساقاة :

تكون بين طرفين شريكين، أو بين رب الأرض وبين العامل عليها كأجير لمدة زمنية محددة وحسب نوع الزرع أو الغرس، وهي ثلاثة أصناف : صنف أصله ثابت ، تنقطع ثمرته فالمساقاة في ذلك جائزة في كل وقت ظهرت ثمرته أم لا ، وصنف ثان إذا حدثت ثمرته لم يبق له أصل كالزّرع والمقتاة ؛ فالمساقاة في ذلك جائزة عند الضرورة ، وصنف ثالث لا تجوز مساقاته إذا لم ينبت وكذلك إذا نبت لأنه لا أمد له ، كالبقول ، والموز ، والقضب ، وكل ما يجذّ ويخلف<sup>3</sup> ، ولا يجوز حسب الإمام مالك مساقاة: ما جاز بيعه، أو جاز كراؤه، لأنه يترك في الأرض كراءً معلومًا، ويرجع إلى غرز الجزء مما تنبت الأرض ويدع في الثمرة ثمنًا معلومًا، ويرجع إلى المساقاة فيصير أجره على جذّها ومؤنتها<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> محمد فتحة: المرجع السابق، ص386.

<sup>2</sup> نفسه، ص 175.

<sup>3</sup> محمد فتحة: المرجع السابق، ص174.

<sup>4</sup> أحمد ابن مغيث الطليطلي: المقنع في علم الشُّروط، تقديم وتحقيق فرانثيسكو خابيير أغيري شادابا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، مدريد، 1994م، ص 273-275.

### 3- المراجعة:

ارتبطت الحياة الفلاحية والبدوية بالإهتمام بالماشية وتربية الأغنام والعناية بالإبل والحمير والبغال وتشير النصوص النوازلية إلى أن أهل المغرب كانوا يستأجرون الرعاة لرعي ماشيتهم وأغنامهم لفترة معينة نظير أجره معلومة، وكذا مدة المؤاجرة والإلتزام بنفقة الراعي وكسوته<sup>1</sup>.

لقد شاع بين أهل المغريين أن يتكفل الفلاحون برعي ماشيتهم بأنفسهم بالدولة والتناوب فيما بينهم؛ فيضمون مواشيهم فيحرزونها بالدولة ويحرز المواشي كل واحد يومه<sup>2</sup>، كما كان البعض منهم يكلف من يقوم مقامه في رعي الماشية، وجب الحرز على أحدهم يوماً فأكثرى رجلاً حرز عنه المواشي في اليوم الذي كان يجب عليه فيه الدولة<sup>3</sup>.

### د- الغلال الزراعية بالمغرب الأوسط:

تشير الكثير من الدراسات و بشيء من التأكيد على معرفة المغاربة واحترافهم للزراعة منذ الأزل والقدم بل قبل قدوم الفينيقيين والرومان بوقت طويل، ولقد عثر بالعديد من المناطق بالمغرب الأوسط مثل تيهرت ووهران وغيرهما على آثار وأدوات تؤكد على قدوم الزراعة بالمنطقة<sup>4</sup>.

إلى جانب هذا التنوع الطبيعي والإقليمي الذي يتمتع به هذا البلد، انعكس إيجاباً على مردوده الفلاحي النباتي منه والحيواني على مر العصور التاريخية، وهذا ما أظهرته معظم أسواقه التي عرفت رواج أنواع مختلفة مما جادت به أراضيه من فواكه وخضر، أو مما جادت به فصائله الحيوانية الممتازة نوعاً.

شكلت جودة الأراضي بالمغرب الأوسط وخصوبتها<sup>5</sup>، و تعدد طرق ونظم استغلالها<sup>6</sup>، وتنوع مصادر مصادر المياه وأساليب السقي<sup>7</sup>، واعتناء السكّان واهتمامهم بالنشاط الزراعي<sup>1</sup>، عوامل مهمة في تفسير نوعية

<sup>1</sup> محمد فتحة: المرجع السابق، ص 389.

<sup>2</sup> الونشريسي: المعيار، ج 8، ص 330.

<sup>3</sup> نفسه، ج 8، ص 341.

<sup>4</sup> محمد الصغر غاتم: "اللامح الاقتصادية للعصر الحجري الحديث في المغرب القديم"، مجلة التراث، تاريخية أثرية دورية، جمعية التاريخ والتراث الأثري، باتنة، الجزائر، ع 8، 1995م، ص 12-13.

<sup>5</sup> الونشريسي: المعيار، ج 5، ص 111.

<sup>6</sup> ابن حوقل: المصدر السابق، ص 79-88.

<sup>7</sup> الونشريسي: المعيار، ج 8، ص 137.

نوعية وكمية الإنتاج فالكثير من الأراضي والمناطق بالمغرب الأوسط شهدت نشاطا مكثفا يتفق أغلب الجغرافيين على التثويه بآثاره مع زيادة في الإنتاج ولعل من أهم المنتجات التي جادت بها بوادي المغرب الأوسط نذكر في مقدمتها:

### 1- الحبوب:

تتم زراعة الحبوب في الأراضي الخصبة خاصة السهلية منها ، كسهل " تسالة " ، وسهل وادي الشلف ، وسهل تيارت وسهول متيحة ، بالإضافة إلى السهول الساحلية الأخرى كسهل تنس (الظهرة) ، ووهران، وهنين ، والأراضي المحيطة بتلمسان ومن أهم أنواع الحبوب: القمح ، الشعير ، الحنطة وغيرها<sup>1</sup>.

وقد كانت زراعة الحبوب نقلة نوعية في حياة البادية و بداية مسار جديد في الاتجاه نحو الاستقرار و الارتباط بالأرض، وهذا ما أكدته الكثير من المصادر على وفرة الحبوب و توزعها في بلاد المغرب الأوسط،<sup>2</sup> و هو ما ذكره ابن حوقل(ت367هـ) في معرض حديثه عن بادية المغرب الأوسط بقوله: « و لهم من مزارع الحنطة و الشعير ما يزيد على حاجتهم» و قوله أيضا: « القمح بها و الشعير في أكثر أوقاتها »<sup>3</sup> و من أهم سهول الحبوب في المغرب الأوسط فمثلا، سهل عتابة الذي ساهم في إنتاج الحبوب بكميات كبيرة، وأيضا اشتهر سهل قسنطينة بخصوبته حتى بلغت مردوديته ثلاثين ضعف ما يزرع فيه و هي نسبة مرتفعة في تلك الفترة، و كان مناخ قسنطينة القاري ملائم لحزن الحبوب<sup>4</sup> مدة طويلة دون أن يفسد، و لذلك كانت المنازل تحتوي على مطمورتين<sup>5</sup> أو أكثر للحبوب منقورة في الحجر<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج5، ص 12- 13- 20- 111 ؛ عبد الحميد حاجيات : أبو هو موسى الزباني — حياته وآثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1982م، ص 62.

<sup>1</sup> الإدريسي: المصدر السابق ، ص 117؛ ينظر: سمية مزدوري: مقاربات حول مستوى معيشة التجار والحرفيين في المغرب الأوسط، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية ، ع4، الجزائر، جوان 2013م، ص 230.

<sup>2</sup> محمد حسن: المرجع السابق، ص 452.

<sup>3</sup> ابن حوقل: المصدر السابق، ص 87-77.

<sup>4</sup> تذكر المصادر التاريخية أنَّ سكان المناطق الجبلية كانوا ينحتون مطامير في الصخور لحفظ الحبوب، و منهم من يحفظه في سنبله في الأندر بعد تطيينه؛ عبد الكريم جودت : المرجع السابق، ص 40، 41، 42.

<sup>5</sup> المطمورة أو الأهراء أو المخازن: تخزن فيها المحاصيل الزراعية، عرف المغرب الأوسط في العهد التلمساني اتخاذ المطامير ومن ذلك انه كان لوالد الفقيه ابن مرزوق الحفيد مطامير من القمح والفحم واللحم المؤخر والزيت ، وكان يتصدق بكل ذلك في أيام الثلج ، فلا يرجع إلى بيته حتى يفرغ للمطمورتين؛ ابن مرزوق أبو عبد الله محمد التلمساني الخطيب (ت781هـ/1379م): المناقب المرزوقية ، تح: سلوى الزاهري ، ط1، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية — مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء المغرب، 1429هـ/ 2008م، ص 190-191.

<sup>6</sup> محمد حسن: المرجع السابق، ص 453.

الملاحظ أن إنتاج القمح والشعير والحنطة غزير في بلاد المغرب، بل كانت الحبوب من أهم المحاصيل الزراعية في المغرب الأوسط ولعل أهم مناطق إنتاج الحبوب، بونة وباديتها وقصر الفلوس وطبنة والمسيلة وتنس وباغية و تادميت والكثير من القرى التي يصعب تعدادها<sup>1</sup>.

هذا كما عرف إنتاج الحبوب ازدهارا كبيرا في الكثير من المناطق الشمالية بالمغرب الأوسط. فكان القمح ينتج في كل من تفسرة، البطحاء، تنس، دلس، سكيكدة، أما الشعير فكان ينتج في كل من برشك وجيجل وجبال مطغرة<sup>2</sup>. لذا فقد كانت الحبوب تشكل الغذاء الرئيسي لشعوب البحر الأبيض المتوسط<sup>3</sup>.

وحول نوعية وكمية إنتاج القمح يشير حسن الوزان (ت بعد 975هـ-) إلى سهول تسالة المجاورة لتلمسان بقوله: «أما تسالة فتقع في سهل كبير يمتد على مسافة عشرين ميلاً، ينبت قمحاً جيداً جميل اللون غليظ الحب يمكنه وحده أن يزود تلمسان بما تحتاجه من حبوب» وعن مدينة تنس يقول: «وأما إقليمها فينتج الكثير من القمح» ويذكر أيضاً سهل البطحاء «في سهل فسيح ينبت فيه القمح بكثرة، وكانت تحقق لملك تلمسان دخلاً يقدر بعشرين ألف مثقال»<sup>4</sup>، أما حوض الشلف وما جاوره من الأراضي الخصبة كسهول مليانة وبرشك فتنتج إلى جانب القمح، الشعير والحنطة والكتان، هذا إلى جانب المناطق الجبلية كجبل متغارة، وولهاصة وبني يزاسن ومطغرة التي لا تنتج إلا الشعير. ويذكر الوزان مدينة برشك بقوله: «وتنتج البادية الجميلة من حولها كثيراً من الكتان والشعير»<sup>5</sup>

### 2- الخضر الفواكه<sup>6</sup>:

تتوفر زراعة الخضر والفواكه في الأراضي الخصبة المجاورة للأودية والعيون، في شكل مزارع و بساتين وجنان<sup>7</sup>، حيث تشير كتب الجغرافيا إلى أنواع عدة من الخضر منها: الجزر واللّوبيا والكرنب والبصل والخيار والقثاء واللّفّ والبادنجان والقرع وقصب السكر، والقنبيط والحسّ، أما الفواكه فهي على أنواع وأذواق مختلفة مثل: العنب والتين والسفرجل والتفاح والكمثري والزعرور والخوخ والمشمش والتوت والليمون والجوز والتخيل

<sup>1</sup> ابن حوقل: المصدر السابق، ص 76-93.

<sup>2</sup> الوزان: المصدر السابق، ج 2، ص 24-62.

<sup>3</sup> مورييس لمبار: الإسلام في مجده الأول ق 8-11 من ترجمة: إسماعيل العربي، منشورات الآفاق الجديدة، المغرب، 1990م، ص 238.

<sup>4</sup> حسن الوزان: المصدر السابق، ج 2، ص 24-37.

<sup>5</sup> الوزان: المصدر السابق، ج 2، ص 33-44.

<sup>6</sup> ينظر الملحق رقم 2، ص 157.

<sup>7</sup> أبو عبد الله محمد بن محمد، العبدري: رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية، تحقيق وتقديم وتعليق محمد الفاسي، الرباط، 1968 م، ص 16.

وغيرها<sup>1</sup> وعن هذه المحاصيل يصف حسن الوزان (ت بعد 975هـ) تلمسان بقوله: « وفي المدينة عدّة سقايات ... حيث الكروم المغروسة الممتازة تنتج أعناباً من كل لون ، طيبة المذاق جداً ، وأنواع الكرز الكثيرة التي لم أر لها مثيلاً في جهة أخرى ، والتين الشديد الحلاوة ، وهو أسود غليظ طويل جداً ، يجف ليؤكل في الشتاء ، والوخوخ والجوز واللوز والبطيخ والخيار وغيرها من الفواكه المختلفة ».<sup>2</sup>

يستفاد مما ذكرته كتب الرحلة أن المغرب الأوسط مزدانا بالكثير من الفواكه التي تفوق غيرها من الفواكه من الأمصار، ورغم أن كتب الرحلة اكتفت في الكثير من الأحيان بالتأكيد على وجود الفواكه وكثرتها في جل المناطق دون تحديد أنواعها وذكر أسمائها إلا أننا وقفنا على بعض الأنواع، ومن أهمها نذكر:

### • السفرجل:

لقد ذكر ابن حوقل (ت 367هـ) أن السفرجل المعنق في المدينة الخضراء، وكذلك في شرشال وهو الآخر سفرجل معنق كالقرع الصغار، وفي المسيلة<sup>3</sup>. أما البكري (ت 487هـ/1094م)، فيذكر وجوده في تاتش تاتش والذي وصفه بأنه يفوق سفرجل الأفاق حسنا وطعما ويسمى بالسفرجل الفارسي<sup>4</sup>.

### • التين:

يورد لنا ابن حوقل مناطق إنتاجه في كل من تاجنة ومرسى الدجاج وجزائر بني مزغنا<sup>5</sup>. ويذكر الإدريسي (ت 548هـ/1159م) أن أشجار التين توجد بكل من بادية بجاية وباجة ومرسى الدجاج<sup>6</sup>.

### • فواكه أخرى:

أورد ابن حوقل وجود أشجار الجوز واللوز في نقاوس وكذلك هي المدينة التي أكد الإدريسي على كثرة أشجار الجوز بها<sup>7</sup>. أما البكري فذكر أن أشجار الجوز بتيسا<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> الإدريسي : المصدر السابق، ص 250 – 255.

<sup>2</sup> الوزان: المصدر السابق، ج 2، ص 20.

<sup>3</sup> ابن حوقل: المصدر السابق، ص 20-70.

<sup>4</sup> البكري: المصدر السابق، ج 2، ص 248.

<sup>5</sup> ابن حوقل: المصدر السابق، ص 76-77-90.

<sup>6</sup> الإدريسي: المصدر السابق، ص 104-115.

<sup>7</sup> ابن حوقل: المصدر السابق، ص 93؛ الإدريسي: المصدر السابق، ص 120.

<sup>8</sup> البكري: المصدر السابق، ج 2، ص 203.

وإلى أشجار الجوز واللوز، فقد وجدت أشجار الكرز والخوخ في هنين وتلمسان<sup>1</sup>، كما وجدت أشجار التفاح والإحاص والمشمش في هنين، ووجد التفاح والإحاص في ميلة<sup>2</sup>.

### • الكروم:

توجد الكروم في كل من المسيلة وبني وارين<sup>3</sup>، كما يذكر لنا البكري وجود الأعناب في مدينة الغدير وكان لكثرتهم رخيص الثمن فكان القنطار بدرهم واحد وإلى جانب الغدير ذكر هذا الأخير أيضا وجود الكروم في مدن طولقة الثلاث<sup>4</sup>، في حين أورد الإدريسي إنتاج الكروم في مدينة الخضراء وشرشال وبقرية وازلفن<sup>5</sup>.

### • التمر:

نجد أن البكري (ت487هـ/1094م) يسترسل في الحديث عن تمر بسكرة التي سماها بسكرة النخيل، ولقد صنف أنواع التمر التي وجدت بها، ومن بين أحسن الأصناف ذكر جنس التمر المسمى بالكبس، وهو الصيحاتي الذي قال عنه بأنه مضرب الأمثال في الجودة والأفضلية، كما يسمي لنا جنس اللياوي الذي يمتاز بالبياض ونعومة الملمس<sup>6</sup>، أما الإدريسي فذكر أن التمر بطبنة<sup>7</sup>.

### 3-النباتات النسيجية والطبية:

يعد القطن والكتان من المحاصيل الزراعيّة الهامّة في المغرب الأوسط خاصّة في الصناعات النسيجيّة ، ممّا يفسّر انتشاره في عدّة مناطق ، وهو ما يؤكّده حسن الوزان (ت بعد 975هـ) بشأن سكّان مدينة ندرومة بقوله : « ويتنجون على الخصوص أقمشة القطن لأنّه ينبت بكثرة في النّاحية »<sup>8</sup>.

أورد ابن حوقل (ت367هـ) وجود زراعة القطن والكتان في طبنة وبغاي وزراعة القطن في المسيلة وتنس<sup>1</sup>، ويذكر الوزان أن زراعة الكتان كانت في برشك ومنطقة جيغل<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> الوزان: المصدر السابق، ج2، ص ص 16-20-40.

<sup>2</sup> نفسه، ص ص 16-66.

<sup>3</sup> ابن حوقل: المصدر السابق، ص ص 77-93.

<sup>4</sup> البكري: المصدر السابق، ج2، ص ص 240-254.

<sup>5</sup> الإدريسي: المصدر السابق، ص ص 106-114.

<sup>6</sup> البكري: المصدر السابق، ج2، ص ص 230-231.

<sup>7</sup> الإدريسي: المصدر السابق، ص 119.

<sup>8</sup> الوزان: المصدر السابق، ج2، ص13.

أما النباتات الطبية فلقد أورد البكري بعض الأعشاب الطبية التي كانت تنبت في المغرب الأوسط ومن بينها نذكر عاقر وهو الكافورية أو حشيشة الحمى التي توجد بناحية سوق حمزة<sup>3</sup>، كما إسترسل الإدريسي في حديث عن النباتات الطبية التي وجدت في جبل أمسيون ببجاية؛ وهي القنطورين والأفستين والزرواند والبربانيس والفسطون ونبات بناحية قلعة بني حماد يقي من ضرر العقارب<sup>4</sup>.

### 3- الرعي ببادية المغرب الأوسط:

مثل الرعي نشاطا أساسيا للإنسان منذ القديم، حيث لا تكاد منطقة تخلوا من الثروة الحيوانية؛ والتي لها دور فعال في توفير متطلبات تضمن للشعوب بقاءهم و وجودهم في الحياة، حيث يقول تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۚ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾<sup>5</sup>، لذا فالإنسان شديد الارتباط بالحيوان في المأكل والمشرب والتنقل وحتى اللباس.

فتحتل مهنة الرعي مكانة هامة في ظل المجتمعات الرعوية خاصة البدوية منها<sup>6</sup>، إذ تمثل عنصرا أساسيا في الإنتاج؛ كالحوم والألبان والجلود وحتى الأسماد.

ولقد اهتمت الإستغرافيا التاريخية بتاريخ الدول بالتطرق إلى الجانب السياسي منها. ولكن مع تزايد العناية في السنوات الأخيرة بالتاريخ الاجتماعي والاقتصادي من خلال دعوة بعض المؤرخين إلى ضرورة تطبيق الكتابة التاريخية الكلاسيكية الخاصة بالتاريخ الرسمي السياسي، والتي تناست البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الريفي المغربي بالمغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة وإهمال القطاعات المنتجة وأصحابها.

<sup>1</sup> ابن حوقل: المصدر السابق، ص ص 85-86؛ الإدريسي: المصدر السابق، ص ص 108-119.

<sup>2</sup> الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 52.

<sup>3</sup> البكري: المصدر السابق، ج2، ص 248.

<sup>4</sup> الإدريسي: المصدر السابق، ص ص 116-154.

<sup>5</sup> سورة النحل، الآية 5.

<sup>6</sup> ويصف ابن خلدون الحياة الرعوية لبعض القبائل ضمن نطاق المغرب الأوسط بقوله: « ويضعن أهل العزّ منهم والغلبة لانتجاع المراعي، فيما قرب من الرحلة، لا يتجاوزون فيها الرّيف إلى الصّحراء والقفار الأملس ومكاسبهم الشّاة والبقر والخيل... وربما كانت الإبل من مكاسب أهل التّجعة منهم شأن العرب، ومعاش المستضعفين منهم بالفلاح ودواجن السّائمة » ابن خلدون: العبر، ج6، ص 116

## أ - الثروة الحيوانية وتوزيعها بالمغرب الأوسط<sup>1</sup>:

تعددت أنواع الحيوانات المتواجدة ببلاد المغرب وذلك راجع إلى عوامل طبوغرافية ومناخية، الأمر الذي حدد لكل شخص نوع الحيوان الذي يحتاجه تماشياً مع بيئته وحاجته له في العمل أو حرفته، لذلك فقد تعددت أنواع الحيوانات واختلف توزيعها على مناطق المغرب الأوسط.

### 1 - المواشي:

لم يقتصر ممتن الرعي على نوع واحد من الحيوانات، وكثيراً ما تربى الأبقار والأغنام والخيول والبغال والجمال في منطقة واحدة، حسب ظروف العيش الملائمة، وكذا امتداد المراعي الهامة والشاسعة في سفوح الجبال، وكذلك في أودية الأنهار، حيث توجد في هذه المناطق أنواع من الأشجار والأعشاب؛ فترعى الضأن والماعز في الجبال وسفوحها، في حين تربى الأبقار والخيول في السهول والمروج، وتقل المراعي في المناطق الجافة وتكثر في المناطق الرطبة<sup>2</sup>.

وقد أشادت المصادر الجغرافية بالثروة الحيوانية التي كان يملكها سكان بلاد المغرب وحسبنا في ذلك ما ذكره ابن حوقل (ت367هـ) حول الإنتشار الواسع لمختلف المواشي في العديد من مناطق المغرب الأوسط؛ فكان الغنم في طينة وتيهرت وبونة وبغاية، والأبقار كانت تنتشر في طينة عنابة والمسيلة وتنس، كما تحدث عن وجود البغال والدواب في تيهرت و في المسيلة وبونة وتنس، كما أشار إلى وجود المواشي دون تحديد أنواعها في قصر الفلوس وبلزمة ومرسى الدجاج<sup>3</sup>.

### أ - الأغنام:

تعد تربية الضأن أساساً لكثير من العمليات الإنتاجية الزراعية مثل إنتاج اللبن والصوف واللحم والسمن<sup>4</sup>. فعن أشهر المدن التي عرفت باديتها تنوعاً في الثروة الحيوانية، مدينة مرسى الدجاج التي كان بها "الألبان والمواشي ما يغرق غيرهم ممن جاورهم"<sup>5</sup>، وعرف غرب جزائر بني مزغنة بكثرة مواشيهم من البقر

<sup>1</sup> ينظر الملحق رقم 2، ص 157.

<sup>2</sup> إسماعيل سامعي: معالم الحضارة العربية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون طبعة، 2007، ص 275.

<sup>3</sup> ابن حوقل: المصدر السابق، ص 75، 96.

<sup>4</sup> مصطفى كمال: إنتاج الضأن والصوف، دار المطبوعات الجديدة، الإسكندرية، 1972، ص 267.

<sup>5</sup> ابن حوقل: المصدر السابق، ص 77.

والغنم المتواجدة في الجبال، ولمدينة شرشال بادية يغلب على أهلها البربر، وأكثر أموالهم الماشية"<sup>1</sup>، ومواشي أهالي وهران كثيرة، كما ساعد خصب مدينة واسلي على كثرة ماشيتها.

ومن الأمثلة التي تثبت اهتمام سكان المنطقة بتربية المواشي مع كثرتها لديهم، بادية أرشقول المعروفة بخصوبة تربتها وسعة في الماشية والأموال السائمة.... وفيها مياه ومواجن كثيرة للمراكب وأهلها المحتاجين إليها في سقي سوائهم"<sup>2</sup>، ويؤكد البكري(ت487هـ/1094م) تواجد الماشية بالمدينة<sup>3</sup>، ولا تختلف عنها المسيلة في كثرة "المواشي من الدواب والأنعام والبقر"<sup>4</sup>، خاصة وأنها في بساط من الأرض<sup>5</sup>، أما أهل ميلة فكانوا على درجة كبيرة من الغنى لأن بلدهم طيب كثير الزرع والماشية والثمار"<sup>6</sup>، ولا نستثني مدينة تاهرت من ذلك، "وهي أحد معادن الدواب والماشية والغنم"<sup>7</sup>، وشكلت هذه الثروة أهم مصادر بيت المال في أيام عبد الرحمان بن رستم؛ حيث كان العمال يقبضون أعشارهم من أهل الشاة والبعير<sup>8</sup>.

غير أن النصوص الجغرافية باعتبارها أهم مصدر للتعرف على أنواع الحيوانات بالمنطقة، لم تقدم لنا قائمة إحصائية عن كل نوع، واكتفت في كثير من الأحيان بالتعميم باستعمال عبارة "المواشي والدواب" أو "الزرع والضرع"، أي دون أن تفصل في النوع، لكن بما أن الماعز من الأغنام التي إستأنسها الإنسان، وكانت الرفيق الدائم للضأن في مراعيها، فما من شك أنها تواجدت بمسارح المغرب الأوسط؛ إذ تؤكد إحدى المصادر الجغرافية المتأخرة على انتشار تربية هذا النوع من الماشية بجبل بني بوسعيد المجاور لمدينة تنس، إذ يملك أهله "كمية وافرة من العسل والشعير والماعز"<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> ابن حوقل: المصدر السابق، ص 78.

<sup>2</sup> نفسه، ص 79.

<sup>3</sup> البكري: المصدر السابق، ج2، ص 261.

<sup>4</sup> ابن حوقل: المصدر السابق، ص 85.

<sup>5</sup> البكري: المصدر السابق، ص 85.

<sup>6</sup> مرمول كروخال: إفريقيا، المصدر السابق، ج3، ص 13.

<sup>7</sup> ابن حوقل: المصدر السابق، ص 86.

<sup>8</sup> ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، تح: إبراهيم بحاز ومحمد ناصر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د ط)، 1986م، ص 35.

<sup>9</sup> الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 45.

### ب - الأبقار:

نجد انتشار تربيتها بالمناطق الشمالية للمغرب الأوسط، حيث المراعي دائمة الخضرة، لأنها تتطلب الأعشاب الكثيرة، والأراضي الملتوية الحالية من السفوح الشديدة الانحدار<sup>1</sup>.

وما من شك في أن الأبقار أستخدمت بمختلف العمليات الزراعية إلى جانب الفوائد الأخرى، كتزويد الأهالي بالحليب ومشتقاته وباللحوم والجلود، ولا تعوزنا القرائن التي تفصح عن هذه الأهمية و المنفعة، حيث ساهمت كثرة الماشية ورخص أثمانها بوهران في وفرة السمن والزبد<sup>2</sup>، كما أدى كثرة البقر والغنم بقرى تاهرت إلى وفرة المنتوجات الحيوانية<sup>3</sup>.

### 2 - الدواب:

يقول تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>4</sup>، ولا يقتصر دور الدواب على الحمل والجري، إنما تشارك أيضا في أعمال فلاحية أخرى وأهمها الدرس لعل من أنواع هذه الحيوانات نذكر:

### أ - الخيل:

كسب البربر الخيل للركوب والنتاج منذ القديم<sup>5</sup>، ومن أبرز القبائل التي اهتمت بهذا النوع من الحيوان "قبيلة زناتة"، فأكثرهم فرسان يمارسون الخيل<sup>6</sup>، واتخذت القبائل المنتشرة حول مدينة تاهرت من لواتة ومطماطة ومطماطة وزناتة العبيد والخيول<sup>7</sup>، كما اهتم أهل المسيلة بتربية "سوائم خيل وأغنام وأبقار"<sup>8</sup>، ويشير ابن حوقل

<sup>1</sup> مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية - الأحوال الاقتصادية والثقافية، دار الحضارة، الجزائر، ط2، 2007، ج2، ص 39.

<sup>2</sup> الإدريسي: المصدر السابق، ص 252.

<sup>3</sup> نفسه، ص 256.

<sup>4</sup> سورة النحل: الآية 8.

<sup>5</sup> ابن خلدون: العبر، ج6، ص116.

<sup>6</sup> الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص 257.

<sup>7</sup> ابن الصغير: المصدر السابق، ص 63.

<sup>8</sup> الإدريسي: المصدر السابق، ص 254؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص 85.

حوقل إلى أن مدينة تاهرت كانت أحد معادن الدواب والبغال<sup>1</sup>، ويؤكد الإدريسي (ت548هـ/1159م) ذلك قائلا: "بها ضياع جمة وبها براذين والخيل كل حسن"<sup>2</sup>.

ولا شك بوجود خيول عربية أصيلة بمنطقة المغرب الأوسط دخلت إلى بلاد المغرب وتزايدت أعدادها بعد دخول الهلاليين، لأنهم كانوا يكسبون الكثير منها، وقد كتب "اليازوري" وزير الخليفة المستنصر صاحب مصر إلى الأمير المعز بن باديس الصنهاجي يخبره قائلا: "فقد أنفدنا إليكم خيولا فحولا"<sup>3</sup>.

### ب - البغال:

اكتفت بعض المصادر الجغرافية بالإشارة إلى كثرة الدواب بمدينة المسيلة إلى جانب الأنعام، ووفرة الدواب والبغال بتاهرت<sup>4</sup>، والظاهر أن الإهتمام بتربيتها استمر حتى الفترات الأخيرة من القرون الوسطى، وهذا وهذا ما يؤكد الوزن من خلال وصفه للحمير الجميلة كبيرة القامة التي كانت تربي بوحدة<sup>5</sup>.

وتثبت بعض النصوص المؤرخة للمرحلة الوسيطة من تاريخ المغرب الأوسط أن البغال من الدواب المفضلة للركوب بالنسبة لأهل الورع والتقوى، للبساطة والتواضع الذي عرفوا به، كما أنها تتميز بشدة قوتها وتحملها، ولهذا الغرض تشارك في الأعمال الحربية<sup>6</sup>. ومن الشخصيات التي ركبت البغال دون الخيل أبو يزيد مخلد بن كيداد الزناتي حين خرج عن الفاطميين<sup>7</sup>.

### ج - الإبل:

إن الجمل من أهم وأكثر أنواع الحيوانات انتشارا بمنطقة المغرب الأوسط، وهي حقيقة يؤكدتها ابن حوقل في حديثه عن بلاد المغرب وصحاريها قائلا: "الجمال الكثيرة في براريهم وسكان صحاريهم التي لا تدانيها في

<sup>1</sup> ابن حوقل: المصدر السابق، ص86.

<sup>2</sup> الإدريسي: المصدر السابق، ص256.

<sup>3</sup> ابن خلدون: العبر، ج2، ص232.

<sup>4</sup> ابن حوقل: المصدر السابق، ص85-86؛ الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص256-257.

<sup>5</sup> الحسن الوزان: المصدر السابق، ص13.

<sup>6</sup> جودت عبد الكرم يوسف: المرجع السابق، ص67.

<sup>7</sup> القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، دار الكتب العلمية، ج2، بيروت، ط1، 1998م، ص145.

الكثرة إبل العرب"<sup>1</sup>، إن قوة احتمال الجمل على العطش وحمل الأثقال وقطع المسافة الطوال، يجعل منه أقرب لحياة عامة المناطق الصحراوية، وأهم حيوان في تلك الربوع الشاسعة إلى جانب الأغنام<sup>2</sup>.

### ب- رعاية الحيوانات:

إن الإعتناء بالحيوان يدخل ضمن ما تملية الشريعة الإسلامية، والصفة البشرية لأنها مخلوقات لها قدرات وطاقات محدودة، الذي وجب مراعاة طاقة الحيوان وكذا تأمين أكله وشربه؛ والمغرب الأوسط في العصر الوسيط إمتثل بهذه الصفات وذلك بدليل ما تبوح به النصوص التاريخية عن مظاهر العناية بالحيوان.

#### 1- العلف والتعليف:

قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى<sup>(53)</sup> كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى<sup>3</sup>﴾، فتمثلت أهم مادة في التعليف في الشعير والحشائش الخضراء والتبن، فقد وردت إشارة لدى ابن الصغير عن تقديم الخادم علفا لفرس أبي اليقظان محمد بن أفلح من بيت المال<sup>4</sup>، كما تتحدث النوازل الفقهية عن التعليف من خلال الأسئلة الواردة على المفتين من نماذج ذلك؛ السؤال الذي طرح على ابن لبابة، عن البقر التي لا تأكل العلف ولا التبن، فأجاب: "هو عيب إلا إن عرفه البائع ببلده وعلم أن ذلك البلد لا تعلف فيه البقر فليس له القيام"<sup>5</sup>.

ولأهمية التبن في النشاط الرعوي ما يقع حوله من اختلاف حوله سئل ابن أبي زيد عما بقي منه بالأرض المغصوبة، هل يجوز رعيه بمنزلة الكلاء أم لا؟ فكان جوابه: "إن كان ما لا يرجع إليه فلا بأس برعيه، والفقير به أسعد وأحب إلي من الغني"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> ابن حوقل: المصدر السابق، ص 95.

<sup>2</sup> إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية (160-296هـ / 777-909م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، منشورات ألفا، الجزائر، ط3، 2010م، ص201.

<sup>3</sup> سورة طه: الآية، 53-54.

<sup>4</sup> ابن الصغير: المصدر السابق، ص 101.

<sup>5</sup> الونشريسي: المعيار، ج6، ص190.

<sup>6</sup> الونشريسي: المعيار، ج6، ص149.

ونظرا لأهمية هذه الأقوات فقد كانت تخزن فتظهر أهميتها في وقت الشدة من مجاعات وحروب، لذا حرص أبو القاسم الخليفة الفاطمي على أن يدخر بالمسيلة كل ما يحتاج إليه وقت الضرورة<sup>1</sup>. حيث يفيد الإدريسي (ت548هـ/1159م) بأن الخنطة ببجاية "تخزن فتبقى العام والعامين لا يدخلها الفساد ولا يعتريها تغيير"<sup>2</sup>.

هذا كما علفت بمائم بلاد المغرب نوى التمر بحسب ما أفادنا به الونشريسي (ت914هـ/1508م) قائلا: "سئل السيوري عمن دق النوى ببيته لبقره ويبيتهم في الشتاء في بيته فأراد الجار منعه من ذلك، فأجاب بمنع من دق النوى لأنه يضر بالبناء وحس سماع الضرب يضر بالسكان إلا في بعض الأوقات وإذا تكرر الأمر منع منه، أما أن تبيت البقرة في بيت المالك فلا مقال له وليس عليه من ضرر"<sup>3</sup>.

### 2 - الرفق بالحيوان:

وهو أن تستغل البهيمة في ما خلقت لفعله وأن لا تحمل فوق طاقتها، فمن الأمور المنهي عنها في حق الحيوانات ألا يذبح ولد الناقة وهو صغير عند ولادته فلا ينتفع بلحمه، ولا بلبن الناقة لأنه يجف حزنا على ولدها<sup>4</sup>.

و يفيدنا ابن الصغير بما كان يقوم به المحتسب داخل أسواق تيهرت قائلا: "وإن رأوا قصابا ينفخ في شاة عاقبه، وإن رأوا دابة حمل عليها فوق طاقتها أنزلوا حملها، وأمروا صاحبها بالتخفيف عنها"<sup>5</sup>.

### ● نظام المراعاة ومشاكله:

ارتبطت الحياة الفلاحية بالإهتمام بالماشية وتربية الأغنام والعناية بالإبل والحمير والبغال وتشير النصوص النوازلية إلى أن أهل المغرب كانوا يستأجرون الرعاة لرعي ماشيتهم وأغنامهم لفترة معينة نظير أجره معلومة، وكذا مدة المؤاجرة والإلتزام بنفقة الراعي وكسوته<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> أبو عبد الله ابن حماد الصنهاجي: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح: جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د ط)، 1984م، ص 25.

<sup>2</sup> الإدريسي: المصدر السابق، ص 261.

<sup>3</sup> الونشريسي: المعيار، ج8، ص 445.

<sup>4</sup> يوسف القرضاوي: رعاية البيئة في شريعة الإسلام، دار الشروق، مصر، ط1، 2001م، ص 125.

<sup>5</sup> أخبار الأئمة الرسميين، ص 88.

<sup>6</sup> محمد فتحة: المرجع السابق، ص 389.

لقد شاع بين أهل المغرب أن يتكفل الفلاحون برعي ما شيتهم بأنفسهم بالدولة والتناوب فيما بينهم؛ فيضمون مواشيهم فيحرزونها بالدولة ويحرز المواشي كل واحد يومه<sup>1</sup>، كما كان البعض منهم يكلف من يقوم مقامه في رعي الماشية، وجب الحرز على أحدهم يوما فأكثرى رجلا حرز عنه المواشي في اليوم الذي كان يجب عليه فيه الدولة<sup>2</sup>.

### 1/ أجرة الراعي وشروط استئجاره:

من شروط الراعي على المستأجر، نفقته وتوفير مؤونة أكله وكسوته إلى انقضاء أمد الإجارة، أما مدة استئجار الراعي قد تكون ثلاثة أشهر، وفي الغالب تكون سنة واحدة؛ حيث سئل ابن لبابه عن راعي غنم اتخذ سنة للرعاية بعشر دنانير، فلما كان في بعض السنة باع صاحب الغنم غنمه، أو تلفت، فلم يطلب الراعي صاحبه أن يأتي بغنم مثلها، ولا صاحب الغنم دعاه إلى ذلك، ولكنه جلس بلا عمل أو أجر نفسه من غيره في بقية السنة، ثم جاء بعد السنة أو قبل تمامها إلى صاحب الغنم يسأله العشرة دنانير، فقال له صاحب الغنم: ليس لى علي إلا قدر ما رعيت عندي لأنك غفلت حتى انقضت السنة، ولم توف بخدمتي، وكيف إن طلب ذلك قبل تمام السنة وقد يؤجر نفسه من غيره، فقال له صاحبه: أوفني خدمتي أو أخرج عن الذي أنت عنده، فقال: من الواجب عليه في ذلك أن يأتيه بغنم مثلما يتم له شرطه فيها أو يؤجره من غيره في رعاية مثلها، فإذا لم يفعل حتى مضت المدة فإن كان على الراعي أجر نفسه من غيره فالأجرة للمستأجر الأول، وعلى المستأجر الأول أن يوفيه أجرته الأولى التي عامله عليها، وإن كان الراعي لم يدخل عند غيره حتى مضت السنة كلها ولم يؤجره المستأجر الأول ولم يخلف له الغنم التالفة ولا التي باع فالأجرة كلها للراعي كاملة، إلا أن يكونا تفاسخا قبل مضي السنة على أن قدر ما رعى عن تراض بينهما جميعا فلا بأس به، ولا قول لواحد منهما بعد ذلك<sup>3</sup>.

### 2/ تضمين الرعاة:

من الواضح أن استئجار أهل الحضر رعاة من البادية كان يكتنفه الكثير من المشاكل حسب ما توردته النصوص الفقهية، لعل منها تلك المسألة التي طرحت على أبي عمر المكوي "عمن استأجر راعيا لغنمه فلما خرج الراعي بها المسرح ترك الغنم ورجع إلى المدينة، ثم انصرف لها عشية فوجدها قد نقصت ولم يدر متى زالت

<sup>1</sup> الونشريسي:المصدر السابق ، ج8، ص 330.

<sup>2</sup> نفسه، ص 341.

<sup>3</sup> نفسه، ج8، ص 263.

أوقت رجوعه أم قبل، فأجاب بأنه لا ضمان عليه إلا أن يقيم رب الغنم البينة أنها إنما ضاعت في وقت تعديده ذلك"<sup>1</sup>.

كما سئل ابن لبابة عن راعي بقر دفعها إلى غيره بغير إذن أهلها، فرعاها يوما فلما كان آخر الشهر ذهب الراعي إلى البقر قبضها وقال صاحبها إنما ضاعت عند الذي رعاها لك وقد تعديت، فأجاب ابن لبابة : "أن قامت لصاحبها البينة أنها ذهبت عند الآخر فالأول ضامن وإلا حلف الراعي الأول بالله لقد ضاعت عندي بغير تضييع فإذا حلف لم يضمن"<sup>2</sup>.

كما يفيدنا الونشريسي أن أصبغ سئل عن "الزرع محيطا بالقرية متصلا بها لا يسلم من الماشية إذا أخرجها صاحبها وتركها من غير راع يحرسها". فأجاب: "يؤمر أن يخرج معها راعيا أو رعاة يحرسونه ويمنعونه أن تؤذي أحدا، ويمر بها على الطريق الذي يحتفظ أهاله من أداء الزرع الذي يليها، فإذا أخرجوه من مزارع القرية إلى فحوصها ولا زرع فيه تركت الماشية هنالك بغير راع فإن نزع منها شيء إلى الزرع أثناء ذلك كانت مثل الضواري في الماشية تقرب إلى أرض لا زرع فيها، وقال وأما لو فتح رجل بابا وسرح دابته بلا حارس فالضمان على مثل هذا والغرم له لازم ولو أدب لكان لذلك أهلا"<sup>3</sup>.

### ثانيا: الحرف والصناعات البدوية:

#### 1- الصناعات الزراعية وما يتصل بها :

##### أ- الصناعة الغذائية:

تحويل المواد الغذائية السريعة التلف إلى مواد أكثر ثباتا فيمكن حفظ بعضها عدة أيام أو أسابيع والبعض الآخر لبضعة شهور أو لفترة سنوات حسب طريقة الحفظ المتبعة , ويمكن بهذه الطريقة جعل الغذاء متوفرا طول السنة والاستفادة من المحفوظ منه بالتعليب أو التجميد أو التحفيف في مواسم رداءة الإنتاج بسبب الجفاف أو غيرها من الأمور.

- **حرفة الفلاحة:** إن أولى الحرف التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالبادية هي حرفة الفلاحة، إذا تعدد من الحرف المعاشية البسيطة لارتباطها بالحيط، و تقوم على الاشتغال بكل ما له علاقة بالأرض من زراعة و تربية

<sup>1</sup> الونشريسي:المعيار، ج8، ص330.

<sup>2</sup> نفسه، ج8، ص331.

<sup>3</sup> نفسه، ج8، ص 339

الحيوانات و غيرها، و يشير ابن خلدون(ت808هـ/1405م) إلى أنّ الفلاحة متقدّمة على بقيّة الحرف لكونها بسيطة وطبيعيّة فطريّة لا تحتاج إلى نظر و لا علم<sup>1</sup> لذا اعتنى أهل الأرياف بالزراعة، لأنّها الأكثر التصاقا بالطبيعة و من الأعمال التابعة للفلاحة نجد حرفة حراسة الزرع<sup>2</sup> ورعي الأغنام<sup>3</sup> بسبب طبيعة بلادهم الرعويّة، لذا فالفلاحة يحترفها أهل البدو أكثر شيء ولا يحترفها أهل المدينة.

### ب - الصناعة الصوفيّة (النسيجيّة)<sup>4</sup>:

تدخل ضمنها الحياكة والخياطة التي تعتمد أساسا على الإنتاج الزراعي والحيواني كمواد أولية والمتمثلة في الصوف التي توفرها تربية المواشي، ومادة القطن التي تزرع بالأراضي.

وتعتبر من أهمّ الصناعات المتداولة ببلاد المغرب الأوسط، لأنّه يغلب نمط الإنتاج الرعوي وبكثرة الماشية، وهذا يؤدّي إلى وجود مادّة الصوف،<sup>5</sup> حيث أسهمت المرأة بشكل فعّال في ازدهارها حتّى أنّ بعضهنّ كانت تشتترط في عقد نكاحها أن لا تمنع من ممارسة حرفتها الصناعيّة،<sup>6</sup> فقد كانت تشتري الصوف و تقوم بغسله ومشطه و غزله ونسجه<sup>7</sup> ويتمّ غزل الصوف في البيت من نساء البادية، حتّى أنّ هذه الحرفة لم تكن حكرا على فئة، باعتبار أنّ النساء أجمع يغزلن و يباع في سوق الغزل، كما كان يصنع منه الألبسة مثل البرنوس و الخنابل والجلّابة و الحايك و سراويل الصوف و الزرابي<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> الفلاحة تكون من الحيوان الداجن باستخراج فضوله المنصرفه بين الناس في منافعهم: كاللبن من الأنعام والحريز من دوده والغسل من نخله أو يكون من النبات في الزرع و الشجر بالقيام عليه و إعدادده لاستخراج ثمره؛ المقدّمة: ص 376.

<sup>2</sup> أشار الونشريسي إلى الاستئجار من أجل حراسة الزرع؛ الونشريسي: المصدر السابق، ج 8، ص 255.

<sup>3</sup> نفسه، ج 8، ص 263.

<sup>4</sup> كانت في أغلبها تعتمد على إنتاج القطن والكتان، واستعمل المغاربة في هذه الصناعة المواد الملونة كالنبيلة والطرطر؛ الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية -تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من ق10 إلى ق12، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ج2، بيروت، لبنان، 1992، ص249.

<sup>5</sup> محمد حسن: المرجع السابق، ص 474؛ عبد الكريم جودت: المرجع السابق، ص 90، 92.

<sup>6</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج 3، ص 278؛ موسى عزّ الدين: المرجع السابق، ص 208.

<sup>7</sup> مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص 199.

<sup>8</sup> محمد حسن: المرجع السابق، ص 477؛ مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص 199.

### ج - الصناعة الجلدية:

لقد حققت الصناعة الجلدية تقدماً لما توفر لسكان البادية من ثروة حيوانية كبيرة، فصنعوا من جلود الأبقار أنواعاً من الأفرشة، و يضاف إلى ذلك صناعة السروج الخيل والأحذية والدفوف وقرب الماء، والجلد المدبوغ كان له أهمية خاصة في كتاباتهم.

### 2- الصناعة الفخارية:

أما الصناعة الفخارية فقد أبدع سكان بلاد المغرب الأوسط في صنع الأدوات الفخارية سواء التي يحتاجونها في الاستعمال المنزلي أو المعدة للبيع،<sup>1</sup> فصنعوا القلال، و صنعوا الجرة و الزير والأباريق والكيزان والكؤوس والأقداح والأطباق و صنعوا الكوانين لمواجهة برد الشتاء،<sup>2</sup> و هي صناعة لا غنى عنها في الأرياف و البوادي،<sup>3</sup> و مما سبق يمكن أن نستنتج أنّ معظم الحرف كانت مرتبطة بما تخرجه الأرض الزراعية، وبما كانت تزخر به البادية من ثروة حيوانية كلها ساهم في وجود هذه الحرف التقليدية في بلاد المغرب الأوسط في العصر الوسيط.

### 3- الصناعة المعدنية :

هي من بين الصناعات التي أخذت إهتماماً خاصاً من قبل السلطة لارتباطها بالحياة المدنية من جهة والحياة العسكرية من جهة أخرى ، ويعود السبب في تطورها إلى وفرة الموارد الأولية في محيط الدولة وقربها من مناجم الذهب والزنك و الحديد بشكل خاص<sup>4</sup>. شملت هذه الصناعة الأسلحة التقليدية كالسيوف ، والرماح ، والدّرّ ، والجانيق، والآلات المختلفة التي تستخدم في عمليات الحصار<sup>5</sup>، كما استخدمت في مواضع مختلفة مختلفة ، كمصاريح للأبواب ومقابض ومطارق لها ، إلى جانب بعض الأدوات البسيطة كالقؤوس والمخارث والشبابيك وغيرها .

<sup>1</sup> عبد الكريم جودت: المرجع السابق، ص 118.

<sup>2</sup> عبد الكريم جودت: المرجع السابق، ص 118.

<sup>3</sup> يحيى أبو المعاطي محمد عباسي: المرجع السابق، ص 719.

<sup>4</sup> البكري:المصدر السابق،ص 70 ؛ محمد عيسى الحريري : تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني ، دار القلم للنشر والتوزيع ، ط2 ، الكويت ، 1987 م،ص 286.

<sup>5</sup> محمد عيسى الحريري : المرجع السابق ،ص 286.

وارتبطت كذلك بسك العملة وصناعة النقود من دنانير ودرهم ، بلغ عددها إثنان وثلاثون دينارًا ذهبيًا في غاية الجودة والإتقان ، بما تحمله من أشكال هندسية ، وأقوال مأثورة لأسماء الملوك والسلاطين ، وآيات من القرآن الكريم ، ومعلومات أخرى تفيد أنها ضربت بمدينة تلمسان ، مما يؤكد وجود دار للسكة<sup>1</sup>.

### ثالثا: النشاط التجاري ببادية المغرب الأوسط:

#### 1- الأسواق:

يتضح لنا من خلال كتاب السقطي أن الأسواق في البلاد الإسلامية عامة كانت خاضعة للمراقبة منذ نشأتها<sup>2</sup>، فقد روي عن الرسول صل الله عليه وسلم: " انه مر بصرة طعام فأدخل يده فيها فنالت بللا، فقال ما هذا يا صاحب الطعام؟ فقال أصابته السماء يل رسول الله، قال أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غش فليس مني"<sup>3</sup>.

وكان الرسول صل الله عليه وسلم قد فوض أمر الإشراف على الأسواق إلى موظف خاص، فاستعمل سعيد بن العاص في سوق مكة بع الفتح، وعمر بن الخطاب على سوق المدينة، واهتم الخلفاء الراشدين كذلك بمراقبة الأسواق وكثيرا ما ضرب من يعتقد في السوق ولا يعرف أحكامه<sup>4</sup>.

ومهما يكن من أمر تنظيم الصنائع والتجارات، فقد كانت تقام التجمعات السكانية حيث يقوم الناس بإعداد مكان للتبادل التجاريين ولهذا كان لكل قبيلة أو مجموعة من قبائل متجاورة سوق محلية، وكانت هذه الأسواق في غالب الأحيان تتمركز في منطقة يوجد بها الماء أو تكون على الطريق الرئيسي الرابط بين الأقاليم الكبرى<sup>5</sup>.

وكان للتصنيف الحرفي فوائد جمة تعود بالنفع على الحرفيين والصناع والتجار لوجود علاقة ترابط بين البائع من جهة ومن المشتري من جهة أخرى فيخلق هذا جوا من المنافسة في السوق<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> مختار حساني : تاريخ الدولة الزيانية ، ج 2، ص 98.

<sup>2</sup> السقطي: في آداب الحسبة، ص4.

<sup>3</sup> صحيح مسلم، ص102.

<sup>4</sup> صالح يوسف بن قرية: تاريخ مدينة المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي، منشورات الحضارة، ط1، 2009م، ص218.

<sup>5</sup> جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص134.

<sup>6</sup> صالح يوسف بن قرية: تاريخ مدينة المسيلة، ص219.

لقد تعددت وتنوعت الأسواق وروعي في تصنيفها أن لا يتأذى أصحاب الصناعات والتجارات من بعضهم البعض، وأن تلي حاجاتهم في سهولة ويسر.

### 2- المراكز والطرق التجارية:

#### 1/ أهم المراكز التجارية:

تعد كل من بجاية وقلعة بني حماد و قسنطينة و تاهرت والمسيلة وجزائر بني مزغنة وأشير وبونة و ورجلان من أهم المراكز التجارية بالمغرب الأوسط التي كانت أغلب مستلزمات البوادي وسلعها تعرض هناك على اعتبار أن جل الأسواق كانت تقام بالمدن والقرب من المساجد فهي مؤشر ومظهر مدني اختصت بها المدينة دون البادية لذلك كان أهل البوادي يتوجهون صوب الأسواق القريبة لقضاء حاجياتهم لذا فقد أفرط الجغرافيون لهاته الأسواق بالذكر والوصف:

#### - بجاية:

يقول البكري(ت487هـ/1094م) أن: "بجاية مدينة أزلية أهلة عمرة بأهل الأندلس بشرقها نهر كبير تدخله السفن وهي محملة وهو مرسى مأمون"<sup>1</sup>، أما صاحب الإستبصار فيقول أن بجاية "مرى عظيمة تحيط فيه سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم وسفن المسلمين من الإسكندرية بطريق بلاد مصر وبلاد اليمن والهند والصين وغيرها"<sup>2</sup>.

وكانت البضائع تباع في أسواق المدن والقرى، وكان لبجاية خمسة أسواق وهي سوق الصوف وسوق القيصرية، وسوق باب البحر وسوق يقع قرب حومة المذبح<sup>3</sup>.

#### - قلعة بني حماد:

تعد هي أيضا من أهم المراكز التجارية خاصة في عهد الدولة الحمادية وبالأخص قبل تأسيس بجاية، فيقول عنها البكري: "وهي قلعة كبيرة ذات منعة وحصانة تمصرت عند حراب القيروان وانتقل إليها أكثر أهل

<sup>1</sup> البكري: المغرب، ص 82.

<sup>2</sup> مؤلف مجهول(عاش خلال القرن 6هـ): الإستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد، طبع ونشر دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، (د،ت)، ص 130.

<sup>3</sup> الدمشقي: الإشارة في محاسن التجارة، محقق سنة 1977م، طبع بمصر، ص 145.

إفريقية وهي اليوم مقصد التجار و بها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب<sup>1</sup>، أما صاحب الإستبصار فيقول عنها: "كثيرة الزرع وجميع الخيرات... و بها أكسية ليس لها مثل في الجودة والركة..."<sup>2</sup>.

### قسنطينة:

يقول عنها الإدريسي (ت548 هـ / 1159م): "بها أسواق وتجار وأهلها مياسير ذو أموال وأحوال واسعة ومعاملات مع العرب"<sup>3</sup>، كما يتحدث عنها البكري فيقول: "بها أسواق جامعة ومتاجر رابحة"<sup>4</sup>.

### تاهرت:

يشير الإدريسي إليها فيقول: "بها ناس جمل من البربر ولهم تجارات وبضائع وأسواق عامرة"<sup>5</sup>.

### المسيلة:

يصفها البكري بأنها: "مدينة جلييلة على نهر سهر وللمدينة أسواق وحمامات حولها وبساتين كثيرة ويجود عندهم القطن وهي كثيرة اللحم ورخيصة السعر"<sup>6</sup>، كما يقول عنها الإدريسي: "أنها عامرة بالناس والتجار"<sup>7</sup>.

### الجزائر:

يقول البكري: "جزائر بني مزغني مدينة جلييلة قديمة البناء... ولها أسواق... ومرساها مأمون له عين عذبة يقصد إليه أهل السفن من إفريقية والأندلس وغيرها"<sup>8</sup>، ويذكر الإدريسي: "أنها عامرة أهلة وتجارها مربحة وأسواقها قائمة وصناعاتها نافقة"<sup>9</sup>.

---

<sup>1</sup> البكري: المغرب، ص49.

<sup>2</sup> مجهول: الاستبصار، ص169.

<sup>3</sup> الإدريسي: المصدر السابق، ص67.

<sup>4</sup> البكري: المغرب، ص63.

<sup>5</sup> الإدريسي: المصدر السابق، ص67.

<sup>6</sup> البكري: المغرب، ص55.

<sup>7</sup> الإدريسي: المصدر السابق، ص64.

<sup>8</sup> البكري: المغرب، ص66.

<sup>9</sup> الإدريسي: المصدر السابق، ص62.

أشير:

قال الإدريسي: " هو حصن حسن البقعة كثير المنافع وله سوق معروف يجلب إليه كل لطيف ويباع به كل ظريف"<sup>1</sup>.

بونة:

أشار لها الإدريسي (ت548هـ / 1159م) فذكر أنها: " ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة وكانت لها أسواق حسنة وتجارة مقصودة وأرباح موجودة"<sup>2</sup>.

ورجلان:

يذكر الإدريسي أنها: " فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتحولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة وبلاد نقاوة فيخرجون منها التبر<sup>3</sup> ويضربونه في بلاد باسم بلدهم"<sup>4</sup>.

## 2- أهم الطرق التجارية<sup>5</sup>:

تعتبر الطرق العصب الرئيس المحرك للتجارة، فهي بقدر ما تساعد على تنشطها تعمل على تفهقها وهذا حسب الظروف التي تعيشها المنطقة وقد اشتملت بلاد المغرب الأوسط على شبكة واسعة من الطرق والمسالك الداخلية التي كانت تربط بينها وبين مدن المغرب الإسلامي وكذا القرى والبوادي، مما يسهم في ازدهار النشاط التجاري الداخلي .

بدأت شبكة المسالك والطرق على مر العصور من مركز وانتهت بمركز آخر، وكان نشاط حركتها هو الذي يحدد أهمية تلك المراكز. وهنا يأتي عامل الموقع ودوره في نمو المركز وتحويله إلى مدينة بأبعادها الحضارية على طول الطرق الرابطة بين جميع الجهات المحلية والعالمية. وبالتالي نقف أمام مسألة البنية التاريخية ودورها في تنظيم وتطوير هذه الشبكة من جهة، وتطرح أيضا في الجوانب السلبية الأخرى من حيث الإهمال والتخريب

<sup>1</sup> الإدريسي:المصدر السابق ، ص154.

<sup>2</sup> نفسه ، ص 293.

<sup>3</sup> التبر: ما كان من مضروب فإذا ضرب دنانير أو درهم فهو "عين" ولا يقال تبر إلا للذهب وبعضهم يقوله للفضة أيضا وقيل هو حقيقة في الذهب ومجاز في الفضة وكان الدينار يسمى لوزنه دينارا وإنما هو تبر، ويسمى الدرهم لوزنه درهما وإنما هو تبر وقد يطلق على غيره من المعادن كالنحاس والحديد وأكثر اختصاصه في الذهب؛ أحمد الشرياصي: المعجم الاقتصادي الإسلامي، دار الجيل، 1981م/1401هـ، ص 69.

<sup>4</sup> الإدريسي:المصدر السابق ، ص24.

<sup>5</sup> ينظر الملحق رقم: 3. ص158.

والعرقلة بإفساد السابلة. واتخذت مقاييس لقياس المسافات القصيرة والطويلة، وهي لا تختلف عن مثلتها في بلاد المشرق، مثل المرحلة<sup>1</sup>، والذراع<sup>2</sup>، والفرسخ<sup>3</sup>، والميل<sup>4</sup>، واليوم<sup>5</sup>.

لقد أنبنى تنظيم الطرق على "الماء" فتلازمت مع الشبكة المائية في القسم الشمالي من هذه البلاد، فمثلت النقطة المائية نقطا للالتقاء والتوزيع كالأبار من فعل الإنسان أو العيون والأنهار من واقع الطبيعة. وبالتالي كانت قلة الماء أو وفرته من خواص تنظيم هذه الطرق وحركتها وتوجيهاتها، ولقد قمنا باختيار نماذج من الطرق التجارية المعروفة ببلاد المغرب الأوسط الوسيط نظرا لتشعب الشبكة التجارية ولشساعة بلاد المنطقة ولأن المقام لا يسعنا لذكرها كاملة مفصلة.

#### أ- الطرق التي تخرج من بجاية:

ذكر الإدريسي (ت548هـ/1159م) أن بجاية قطب لكثير من البلاد<sup>6</sup> وأفادنا بأن المسافة التي يقطعها المسافر الذي يغادر العاصمة الحمادية الثانية وقصد عدة قرى وعدة مدن بدون أن يعطي أسماء الأماكن التي يمر بها<sup>7</sup> فيقول الإدريسي أن من بجاية إلى اتكجان<sup>8</sup> يوم وبعض يوم ومن بجاية إلى بلزمة<sup>9</sup> مرحلتان وبعض، ومن بجاية على سطيف يومان وبين بجاية وباغاي<sup>10</sup> ثمانية أيام وبين بجاية وقلعة بشر<sup>11</sup> خمسة أيام وهي من عمالة بسكرة، وبين بجاية وتيفاش<sup>12</sup> ست مراحل وبين بجاية وقلعة ثنائي مراحل وبين

<sup>1</sup> فهو قياس ذراع رجل معتدل. وقدرت ما بين 24 إلى 48 سم. ينظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي (ت378هـ/997م):

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة ليدن، دار صادر، ط2، بيروت، لبنان، 1909م، ص65.

<sup>2</sup> أحصى "المقدسي" قياسه بأثني عشر ألف ذراع. المصدر السابق، ص65.

<sup>3</sup> قدر بثلاث الفرس، 440 هو ما يعادل 1,440 كلم؛ جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص74.

<sup>4</sup> يصعب تحديد اليوم لأنه يحتكم إلى عوامل خارجية كطبيعة الطريق في سهولته ووعورته؛ جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص75.

<sup>5</sup> الإدريسي: المصدر السابق، ص259.

<sup>6</sup> رشيد بورويبة: الدولة الحمادية تاريخا وحضارتها، ديوان المطبوعات الجزائرية، 1977م-1397هـ، ص141.

<sup>7</sup> اتكجان: جبل بن سطيف وقسنطينة وفيه قبائل كتامة به حصن حصين ومعقل منيع؛ الحميري: المصدر السابق، ص71.

<sup>8</sup> بلزمة: حصن أولي في الشرق وهي بمقربة من بلد قسنطينة وبينهما يومان وهو حصن لطيف وله روض وسوق؛ الحميري: المصدر السابق، ص103.

<sup>9</sup> باغاي: مدينة كبيرة في أقصى إفريقية بين مجانة وقسنطينة؛ الحميري: المصدر السابق، ص325.

<sup>10</sup> قلعة بشر: هي قلعة عامرة من أعمال بسكرة وهو ذاته حصن جليل وبينها وبين بجاية أربعة أيام وبينها وبين قسنطينة مرحلتان؛ الإدريسي: المصدر السابق، ص255.

<sup>11</sup> تيفاش: بلاد إفريقية بينها وبين الأريس مرحلة وهي بقرب ملاق، وتسمى تيفاش المظلمة وه في سفح جبل فيه آثار؛ الحميري: المصدر السابق، ص146.

بجاية وتبسة ستة أيام وبين دور مدين وبجاية إحدى عشر مرحلة وبين بجاية والقصرين ستة أيام وبين بجاية وطبنة سبع مراحل<sup>1</sup>.

### ب- الطرق التي تخرج من قلعة بني حماد:

#### \*الطريق من قلعة بني حماد نحو تنس:

يقول ابن حوقل: "تخرج من قلعة بني حماد إلى المسيلة مرحلة ومن المسيلة إلى الوادي المالح مرحلة ومنه على تامركيدا<sup>2</sup> مرحلة، ثم إلى مدين اشير مرحلة، ومنه إلى قرية رطل مازوغة<sup>3</sup>، مرحلة ثم إلى قرية ريغة مرحلة، ومنها إلى سوق كران، ومن سوق كران إلى مليانة ومنها إلى الخضراء مرحلة ومن مدينة الخضراء إلى قرية بني واريفن مرحلة ومنها إلى تنس مرحلة<sup>4</sup>.

أما البكري(ت487هـ/1094م) فيقول تخرج من قلعة بني حماد إلى مدينة المسيلة ومنها إلى نهر جوزة، ومن جوزة على مدينة أشير وتسير من مدينة اشير إلى قرية سوق هواره ومنها إلى قرية سوق كرام<sup>5</sup>، وهي على نهر الشلف ومنها إلى مدينة مليانة ومنها إلى مدينة الخضراء<sup>6</sup> ومنها إلى مدينة بني واريفن<sup>7</sup> ومنها على مدينة تنس<sup>8</sup>.

ويذكر الإدريسي(ت548هـ/1159م): "تخرج من قلعة بني حماد إلى المسيلة اثنا عشر ميلا، ومن المسيلة إلى تامسكيدة مرحلتان ومنها إلى حصن أشير مرحلة من مدينة أشير إلى ماورغة مرحلتان ومنها إلى قرية ريغة مرحلة ومنها على كزناية<sup>9</sup> وهو حصن مرحلة ومنها إلى مدينة مليانة مرحلة ومن مليانة إلى الخضراء مرحلة ومنها بني وزلفن مرحلة ومنها إلى تنس مرحلة<sup>10</sup>.

<sup>1</sup> نفسه ، ص260.

<sup>2</sup> تامركيدا: بلد بالمغرب بينه وبين المسيلة مرحلتان؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان ، مج2، ص7.

<sup>3</sup> رطل مازوغة: قرية لطيفة حسنة فيها ماء عذب؛ ابن حوقل: المصدر السابق ، ص89.

<sup>4</sup> نفسه، ص89.

<sup>5</sup> سوق كرام: قرية على نهر الشلف؛ البكري: المغرب، ص61.

<sup>6</sup> الخضراء: بلدة بينها وبين مليانة يوم واحد وهي مدينة جليلة على شاطئ نهر من أخصب مدن افريقية؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج2، ص376.

<sup>7</sup> بني واريفن: قرية أزيلية لها كروم سوان كثيرة على نهر الشلف؛ ابن حوقل: المصدر السابق ، ص89.

<sup>8</sup> الحموي: معجم البلدان، مج2، ص48.

<sup>9</sup> كزناية: وهو حصن أزلي، وهو على نهر الشلف وله سوق يوم الجمعة يقصده بشر كثير؛ الإدريسي: المصدر السابق ، ص253.

<sup>10</sup> الإدريسي: المصدر السابق ، ص252-254.

### ج- الطرق التي تخرج من قسنطينة:

#### \*طريق من قسنطينة إلى باغاي:

أشار إليه الإدريسي في قوله: " وبين قسنطينة وباغاي ثلاث مراحل وكذلك بين قسنطينة وبجاية ستة أيام"<sup>1</sup>

#### \* الطريق من قسنطينة إلى بجاية:

تخرج من قسنطينة على النهر إلى فحص فارة إلى قرية بني خلف إلى حصن كلديس<sup>2</sup> ومنه جبل سحاو<sup>3</sup> سحاو<sup>3</sup> وثمانية أميال ومنه وادي شال ومنه على سوق يوسف<sup>4</sup> وهي قرية ومنه إلى سوق بني زنودي<sup>5</sup> ، وهو وهو حصن ومنه إلى تالة وهو حصن ومنه إلى المغرة إلى ساحل البحر إلى مسجد بهلول إلى المزارع إلى مدينة جيجل، ومن مدين جيجل إلى طرف مزغيطن إلى جزائر العافية إلى فج الزرزور إلى حصن المنصورية إلى متوسة<sup>6</sup> وهي قرية ومنها إلى بجاية وبينها اثنا عشر ميلا وكذلك من جيجل إلى بجاية الناصرية خمسون ميلا<sup>7</sup> .  
ميلا<sup>7</sup> .

#### \*الطريق من قسنطينة إلى القل:

تخرج من قسنطينة إلى أريس<sup>8</sup> خمس مراحل ومنها إلى بجاية أربع مراحل ومنها إلى قلعة بشر يومان ومنها ومنها إلى تيفاش يومان ومنها إلى قلعة يومان كبيران، ومنها إلى القصيرين ثلاثة أيام ومنها إلى دور مدين ستة أيام ومنها إلى مرسى القل يومان<sup>9</sup> .

#### \*الطريق من قسنطينة إلى سطيف:

<sup>1</sup> نفسه، 266-267.

<sup>2</sup> كلديس: حصن منيع جدا وهو على جرف مطل على نهر قسنطينة 20 ميلا؛ الإدريسي:المصدر السابق ، ص268.

<sup>3</sup> جبل سحاو: من أعظم الجبال علوا واسماها إرتقاء وأصعبها مسلكا؛ الإدريسي:المصدر السابق ، ص268.

<sup>4</sup> سوق يوسف: قرية في سند جبل ممتنع السلوك 12 ميلا وهو جبل تخترقه مياه عذبة؛ الإدريسي:المصدر السابق ، ص267.

<sup>5</sup> سوق بني زنودي: وهو حصن بسيط قليل الحصانة له سوق يقام يوم الجمعة؛ الإدريسي:المصدر السابق ، ص267.

<sup>6</sup> متوسة: قرية عامرة و بها معدن الحص بينها وبن بجاية 12 ميلا؛ الإدريسي:المصدر السابق ، ص 268.

<sup>7</sup> نفسه، ص ص 267-268.

<sup>8</sup> اريس: مدينة وكورة بافريقية وبينها وبين القيروان 3 أيام من جهة المغرب؛ الحموي: معجم البلدان، ص 136.

<sup>9</sup> الإدريسي:المصدر السابق، ص ص 267-269.

يقول الإدريسي وعلى مقربة من بجاية إلى جهة الجنوب حصن سطيف وبينهما مرحلتان.... وبين سطيف وقسنطينة أربع مراحل<sup>1</sup>

### \*الطريق من قسنطينة إلى جيجل:

من قسنطينة إلى النهر إلى حصن فارة إلى قرية بني خلف إلى حصن كلديس ومنه إلى سحاو ومنه إلى وادي شال ومنه إلى سوق يوسف ومنه إلى سوق بني زنودي ومنه إلى تالة ومنه إلى المغرة إلى ساحل البحر إلى مسجد بهلول إلى مزارع مدينة جيجل<sup>2</sup>.

### د - الطرق التي تخرج من المسيلة:

#### \*الطريق التي تتجه نحو تاهرت:

تخرج من المسيلة إلى قرية هان<sup>3</sup> مرحلة ومنها إلى قرية سطيت مرحلة ومنها إلى مدينة أشير مرحلة ومنها إلى قرية ابن مجبر<sup>4</sup> مرحلة ومنها إلى مدنة ماما<sup>5</sup> مرحلة ومنها إلى قرية دارست مرحلتان ومنها إلى قرية اعبر مرحلة إلى تاهرت مرحلة.

#### \*الطريق التي تتجه نحو تنس:

تخرج من المسيلة إلى الواد المالح مرحلة ومنه إلى تامركيدا مرحلة ثم على مدينة أشير مرحلة ومنها إلى قرية بني وارين ومنه إلى تنس مرحلة<sup>6</sup>.

### هـ/الطرق التي تخرج من أشير:

<sup>1</sup> نفسه ، ص 269.

<sup>2</sup> نفسه، ص ص 266-267.

<sup>3</sup> هان قرية في فحوص رمل، وهي الآن خراب ومنها إلى المسيلة مرحلة؛ الإدريسي:المصدر السابق ، ص 255.

<sup>4</sup> ابن مجبر: قرية كبيرة كثيرة الزرع وعذبة الماء وسكانها زناتة؛ الإدريسي:المصدر السابق ، ص 255.

<sup>5</sup> ماما: مدينة صغيرة لها سور من تراب ولها واد عذب ومزارع؛ الإدريسي:المصدر السابق ، ص 255.

<sup>6</sup> ابن حوقل: المصدر السابق، ص 89.

كانت أربع طرق تخرج من أشير طريقان تؤديان إلى تنس وطريق تتجه نحو مرسى الدجاج وطريق تؤدي إلى الجزائر<sup>1</sup>.

### \*الطريق الأولى التي تتجه نحو تنس:

تسير من أشير إلى قرية سوق هواة ومنها إلى سوق كرام ومنها إلى مليانة ومنها إلى الخضرء ومنها إلى مدينة بني وارين ومنها على تنس<sup>2</sup>.

### \*الطريق الثاني نحو تنس:

تخرج من أشير إلى مليانة إلى بني وارين ومنها إلى بني واطيل<sup>3</sup> إلى بني جليداسن<sup>4</sup> ومنها إلى تنس<sup>5</sup>.

### \*الطريق التي تتجه نحو مرسى الدجاج:

تخرج من مدينة أشير إلى شعبة وهي قرية ومنها إلى مضيق بني جبلين ثم فضي إلى فحص افج منه إلى مدينة حمزة ومنها إلى بلياس ومنها إلى مرسى الدجاج<sup>6</sup>.

### \*الطرق التي تتجه نحو جزائر بني مزغنة :

من أشير إلى المدينة وهي بلد جليل قديم ومنها إلى فزونة<sup>7</sup> ومنها إلى مدينة ماغزر ومنها إلى مدينة جزائر بني مزغني<sup>8</sup>.

### هـ - الطريق من تاهرت على ساحل البحر:

تمر من قبائل البربر حتى تأتي شلف بني واطيل ومن هناك إلى الغرة ساحل تاهرت وبقرب هذا الموضع إلى البحر قلعة مغيلة دلول وهي في أعلى جبل منيف وبين قلعة دلول ومدينة مستغانم مسيرة يومان وهي على

<sup>1</sup> رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 144.

<sup>2</sup> البكري: المغرب، ص ص 60-61.

<sup>3</sup> بني واطيل: مدينة بالشلف على نهر بما سوق عامرة تعرف بشلف بني واطيل؛ البكري: المغرب، ص 69.

<sup>4</sup> بني جليداسن: مدينة لطيفة لمظغة يسكنه الأندلسيون القرويون وهي بلدة طيبة؛ البكري: المغرب، ص 69.

<sup>5</sup> نفسه، ص 69.

<sup>6</sup> نفسه، ص 64-65.

<sup>7</sup> فزونة: مدينة على نهر كبير عليه الأرجاء والبساتين ويقال لها متيجة؛ البكري: المغرب، ص 69، ص 65.

<sup>8</sup> نفسه، ص ص 65-66.

مقربة من البحر إلى مدينة تامزرغان<sup>1</sup>. وعلى مقربة منها قلعة هواره مدينة أرزوا<sup>2</sup> وهو جبل كبير وبين أرزوا ووهران أربعون ميلا<sup>3</sup>.

### و - الطريق من نقاوس إلى بسكرة:

من نقاوس إلى حصن بسكرة مرحلتان ومنه إلى حصن باديس<sup>4</sup> ثلاثة مراحل ومنه إلى مدينة المسيلة أربعة أميال<sup>5</sup>.

### 3- المبادلات والسلع التجارية:

ويقصد بها مجموعة المعاملات الجارية التي حصلت داخل أقاليم ومدن المغرب، وشملت المبادلات بالسلع والبضائع التي أنتجت محليا أو التي استوردت من الخارج. وقد كانت هذه المعاملات تتم بواسطة عوامل مساعدة كالتي ذكرناها سلفا، منها توفر طرق ومسالك المواصلات بين مختلف مناطق المتباعدة، وكذلك انتشار الأسواق، التي تعد عاملا مؤثرا في الحركة التجارية.

أطبنت المصادر الجغرافية لهذه الحقبة التاريخية في الحديث عن الرواج والانتعاش التجاري الذي تميزت به بعض المناطق والأسواق، إذ كان للثروة المتنوعة بين المنتج الفلاحي والصناعي، أثرها الواضح في تفعيل الحركة التجارية الداخلية.

تعددت السلع في الأسواق المغربية وهي في الغالب سلع حيوانية أو نباتية أو صناعية فتكون الحيوانية للاستفادة من لحومها وصوفها وحليبها، وتستعمل النباتية للأكل، وتستعمل الصناعية في البناء والتأثيث المنزلي<sup>6</sup>.

فعن السلع النباتية يسهب الجغرافيون في وصف تنوع هذه الثروة من خضر وفواكه وذلك تبعا لتوفر الظروف الملائمة لنمو ووفرة مثل هذه السلع والطبيعية بشكل خاص التي ذكرناها آنفا، فعن نقاوس قول

---

<sup>1</sup> تامزرغان: مدينة قديمة موهلة في القدم تقع على بعد نصف فرسخ من البحر وعلى بعد 13 فرسخا شرقي وهران تأسسها كان على يدي السكان الأصليين؛ مارمول كريخال: المصدر السابق، ج3، ص 349.

<sup>2</sup> أرزوا: مدينة رومية فيها آثار عظيمة للأول و بها جبل كبير فيه قلاع ثلاثة وفيه معدن الحديد والرقيق؛ البكري: المغرب، ص 71.

<sup>3</sup> نفسه، ص ص 69-71.

<sup>4</sup> حصن باديس: وهو في أسفل طرف جبل أوراس 3 مراحل وهو حسن عامر بأهله ومنه إلى المسيلة 4 أميال؛ الإدريسي: المصدر السابق، ص 264.

<sup>5</sup> نفسه، ص 264.

<sup>6</sup> جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص 136.

صاحب الاستبصار أنها كثيرة الثمار والمزارع، كثيرة شجر الجوز<sup>1</sup> كما يورد في كتابة جملة من المناطق التي تزخر بشرة نباتية فاكهة كانت أو خضراء، منا القل التي كانت من ابرز سلعها العنب والتفاح، أما عن سلع بجاية فكانت الثمار والفواكة وقسنطينة كثيرة البساتين والخضر والفواكه، و ميلة التي كانت كثيرة الأشجار ممكنة الثمار فواكهها كثيرة<sup>2</sup>.

ومن أشهر السلع التي كانت تباع وتتداول بالمغرب الأوسط الأنعام والبقر والخيول التي اختص بتربيتها ورعايتها أهل البادية والريف فاستعملت في نواحي عدة كالنقل، الأكل من لحومها، وصناعة الجلود ودباغتها، فعن القلعة مثلا يورد الإدريسي "أنها كانت تجلب لها سوائم الخيل والأبقار والأغنام خاصة من المسيلة<sup>3</sup>، كما يقول ابن حوقل عن أسواق بونة أنها اشتهرت بتربية الحيوانات وكانت تصدر إلى المناطق المجاورة<sup>4</sup>، كما وصف الإدريسي تاهرت ف قوله: "... و بها من نتاج البرازين والخيول كل حسن و أما البقر بها كثير جدا وكذلك العسل والسمن وسائر غلاتهم كثيرة ومباركة، و بها بساتين وأشجار تحمل ضروبا من الفواكه الحسنة بالجملة أنها بقعة حسنة<sup>5</sup>.

ومن السلع المتداولة كذلك النباتية منها المتمثلة في الطعام والحنطة والشعير والقمح وسائر الفواكه، فقد كان سكان البدو يحملون بضائعهم إلى أسواق وحواضر المدن الكبرى وكان أغلبها هو الطعام من الكسكس المجفف والتريد والتين المجفف وغيرها من الأطعمة<sup>6</sup>.

ومن أهم السلع التي اختص بها المغرب الأوسط الثروة السمكية، فالمناطق الساحلية كانت تتوفر ثروة سمكية كبيرة وسهلة الصيد، كما أن الحوت كان يصطاد من الودية منها نهر شلف، وكذلك المسيلة التي كانت تقع على نهر فيه سمك لم يرى في بلاد المعمورة<sup>7</sup>.

أما السلع الصناعية فقد كانت متمثلة في السفن والأكسية والأواني وغيرها من السلع، فبجاية مثلا كانت في العهد الحمادي دار لصناعة السفن والمراكب، والخشب الذي يستعمل في هذه الصناعة يجلب إليها

<sup>1</sup> مجهول: الاستبصار، ص172.

<sup>2</sup> نفسه، ص 127-130-166.

<sup>3</sup> الإدريسي: المصدر السابق، ص252.

<sup>4</sup> ابن حوقل: المصدر السابق، ص77.

<sup>5</sup> الإدريسي: المصدر السابق، ص256.

<sup>6</sup> كمال صادقي: الصناعات الحرفية بالمغرب الأوسط في عهد بني حماد (398-547هـ/1007-1152م) رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

للماجستير 2006-2007م، ص128..

<sup>7</sup> الإدريسي: المصدر السابق، ص 252.

من القبائل المجاورة<sup>1</sup>، ومن هذه الجبال أيضا كان تستخلص المعادن التي كانت تصهر في بجاية فتستعمل في صناعة السفن وغير ذلك من الصناعات، فيقول الإدريسي (ت548هـ/1159م) عنها "أن بها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن الحراي، لأن الخشب في جبالها وأوديتها كثير موجود ويجلب عليها من أقاليمها الزيت البالغ الجودة<sup>2</sup>."

وكانت منطقة ورجلان مركز استقطاب لكثير من المصنوعات خاصة الأواني النحاسية التي كانت تجلب عادة من تاهرت وكذلك الخشب المنقوش المرصع بالعاج ، والمصنوعات الحديدية كالأسلحة، إضافة إلى الملح والعطور والمنسوجات الحريرية والصوفية والقطنية والكتانية والعمائم والمآزر والأحجار الكريمة<sup>3</sup>.

والملاحظ أن للبادية كانت يد طولي في الحراك الاقتصادي وتنشيطه من خلال المشاركة والمساهمة في حركة الأسواق بتوفير المواد الأولية كالمنتجات الزراعية والحيوانية، وبعض الصناعات منها الغذائية على وجه التحديد كما رأينا سابقا.

---

<sup>1</sup> إسماعيل العربي: دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، ص191.

<sup>2</sup> الإدريسي: المصدر السابق ، ص 259.

<sup>3</sup> كمال صادق: المرجع السابق، ص139.

## الفصل الثاني :الحياة الاجتماعية لبادية المغرب الأوسط

### أولا :التركيبة السكانية لمجتمع البادية

- 1- الأنساب والعصبيات
- 2- عناصر المجتمع
- 3- طبقات المجتمع البدوي
- 4- الحراك القبلي في بادية المغرب الأوسط

### ثانيا :النظام العشائري القبلي في بادية المغرب الأوسط

- 1- شيخ القبيلة
- 2- مجلس الأعيان
- 3- الأسرة

### ثالثا : خصائص المجتمع البدوي في المغرب الأوسط

- 1- العادات والتقاليد في بادية المغرب الأوسط
- 2- الطقوس الدينية في بادية المغرب الأوسط
- 3- الأطعمة والمشروبات
- 4- لباس أهل البادية
- 5- مساكن أهل البادية
- 6- الأوضاع الصحية ببوادي المغرب الأوسط

عرف مجتمع المغرب الأوسط ظاهرة البداوة منذ أقدم العصور وباعتبارها منطقة متنوعة السهول والهضاب كثيرة الصحاري فهي مؤهلة أكثر من غيرها لتقدم الحياة الرعوية والبدوية مع العلم أن البداوة تسبق دائما مرحلة الاستقرار<sup>1</sup>. و قد ذكر ابن خلدون (ت 808هـ/1405م): « أن أحوال الحضارة ناشئة من أحوال البداوة و أنها أصل لها...»<sup>2</sup> و يتم الانتقال إلى مرحلة العمران الحضري إذا توفر فائض في الإنتاج الزراعي بالبادية، قادر على توفير المعاش للمشتغلين في الصناعة والتجارة والسياسة، فالمجتمع الحضري يلد من رحم البادية، وهي نظرية أثبتتها الدراسات التاريخية<sup>3</sup>، غير أن ابن خلدون توصل إليها من قبل إذ قال: « ثم إذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلون للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغني و الرفه، دعاهم ذلك إلى السكون والدعة و تعاونوا في الزائد على الضرورة، واستكثروا من الأقوات و الملابس و التأنق فيها و توسعت البيوت و اختطاط المدن و الأمصار<sup>4</sup> للتحضّر»<sup>5</sup> و قوله أيضا: « أن عمران البادية ناقص عن عمران الحواضر والأمصار لأنّ الأمور الضرورية في العمران ليست كلّها بجودة لأهل البدو، وإنما توجد لديهم في مواطنهم أمور الفلح ، وموادها معدومة ومعظمها الصنائع، فلا توجد لديهم بالكلية من نجر و خياط وحداد... وإنما بأيديهم أعواضها من مغلّ الزراعة وأعيان الحيوان ألبانا و أوبارا... ممّا يحتاج إليه أهل الأمصار»<sup>6</sup>، و هكذا يتم الانتقال من العمران البدو إلى الحضرة تدريجيا.

يتكون مجتمع البادية من أهل البدو الذين وصفهم ابن خلدون، بالشجاعة والعصبية وغيرها فقال: "وأهل البدو لتفردهم عن المجتمع ..... وإنتباههم عن الأسوار والأبواب قائمون بالمدافعة عن أنفسهم، لا يكلونها إلى سواهم، ولا يثقون فيها بغيرهم، فهم دائما يحملون السلاح ويتلفتون عن كل جانب في الطرق، ويتحافون عن الهجوم إلا غرارا في المجالس وعلى الرجال وفوق الاقتاب، ويتوجسون للنبات والهيئات ويتفردون في القفر والبيداء، مدلين بآسهم، واثقين بأنفسهم، قد صار لهم البأس خلقا والشجاعة سجية يرجعون إليها

<sup>1</sup> إبراهيم جدلة : المجموعات القبلية البدوية وتأثيرها على الحياة الاجتماعية والسياسية بإفريقية أثناء العهد الحفصي، ضمن أعمال الملتقى الدولي:

القبيلة - المدنية - المجال في العالم الغربي الإسلامي الوسيط ، تونس 10-12 أفريل ، 2003 م ، ص 154.

<sup>2</sup> المقدمة، ص، 116.

<sup>3</sup> محمد حسن: المرجع السابق، ص 91.

<sup>4</sup> المصر :جمعه أمصار، والمصر هو الكورة وجمعها أمصار ، ومصرها الموضوع ، أي جعلوه مدينة بعينها؛ ابن منظور :المصدر السابق، ج5، ص176.

<sup>5</sup> المقدمة، ص114

<sup>6</sup> نفسه، ص 141.

متى دعاهم داع أو استنفرهم صارخ<sup>1</sup> فكان سكان البادية عبارة عن قبائل مختلفة من قبائل ضواعن ومستقرون.

### أولا :التركيبة السكانية لمجتمع البادية

تُقرُّ معظم المصادر التاريخية أن المجتمع هو أساس تكوين النظام القبلي وعليه فإن القبيلة تأتي على رأس التنظيم الاجتماعي لسكان البادية ، ويعرف المؤرخون بأن القبيلة هي جماعة من الناس ينتمون إلى جد واحد مشترك، يسكنون في منطقة واحدة، فكان على الفرد هذا أن يهب قبيلته كل ولائه وجهده وطاقته مقابل أن تقوم بحمايته ومساعدته من أجل أن يشعر بالأمن، ولكن يجب عليه أن يقوم بواجباته اتجاه قبيلته لينال هذه الحقوق والعصبية أمر مهم، وهو مصدر لقوتها والحفاظة على وجودها<sup>2</sup>، والقبيلة كوحدة سياسية مستقلة تستند إلى هيئات سياسية تنظيمية مقننة بأعراف وعادات وتقاليده موروثه، تقوم بوظائف متعددة غايتها خدمة المصلحة العامة للقبيلة ومن أجل ضمان التوازن الداخلي بين الأسر والعشائر المكونة للقبيلة والحيلولة دون قيام نزاعات فيما بينها.<sup>3</sup>

والقبيلة تعطي لكل فرد موقع اجتماعي خاص به لاستطيع تجاوزه بسبب الموروث القبلي، وهو على النحو التالي: شيخ القبيلة<sup>4</sup>، مجلس القبيلة، التجار ، عامة الناس وطبقة العبيد<sup>5</sup>.

يدرك الباحث في تاريخ الاجتماع لبلاد المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط على وجه الخصوص أن اللبنة الأساسية لتكوين مجتمع المغرب الأوسط هي القبيلة، ولهذا قبل التطرق إلى التركيبة السكانية لا بد من تحديد مفهوم القبيلة المغربية.

<sup>1</sup> ابن خلدون: المقدمة، ص 129.

<sup>2</sup> عبد الكريم جودت: المرجع السابق، ص 251.

<sup>3</sup> مفتاح خلفات : المرجع السابق، ص 69 .

<sup>4</sup> شيخ القبيلة :كان يمثل هرم السلطة في القبيلة، وهو الذي يتولى رئاسة ورعاية وإدارة شؤون القبيلة، وذلك من خلال توفر شروط ليحصل على هذه المرتبة الكبيرة والمتثلة في الشروط الآتية ذكرها وهي: - أن يكون له عصبية قوية كبيرة تشد أزره وتعينه وزعامة القبيلة ورئاستها غالبا ما تكون وراثية أيضا ينظر ابن خلدون: المقدمة، مصدر سابق، 124، 125 و محمد ناصر: جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمغرب في العصر الوسيط (القرن 6هـ/12م)، نموذجاً: القسم الأول أطروحة جامعية، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1988/1987م، ص 219 و محمد نجيب بوطالب : سوسيولوجية القبيلة في المغرب العربي، ط1، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت ، لبنان ، 2002م، ص 108.

<sup>5</sup> المجلس القبلي: هو مجلس يعين ويساعد شيخ القبيلة، عامة القبيلة: وهم يمثلون وسط الهرم القبلي، طبقة العبيد: وهم في قاعدة الهرم القبلي، ينظر مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص 70، عبد الكريم جودت: المرجع السابق، ص 252، 254، إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ط1، دار الطباعة والنشر، بيروت، 1998م، ص 230، 233.

### مفهوم القبيلة:

أ- مفهوم القبيلة عند المؤرخين والنسابة : مثلت القبيلة لدى كتب الأنساب ومصادر اللغة ثلث مراتب البناء الاجتماعي، و يورد ابن الكلبي (ت204هـ)<sup>1</sup> "أما سميت قبيلة لتقابل بعضها ببعض واستوائها في العدد وهي بمنزلة الصدر من الجسد"، وتعني القبيلة "الشعب" كمضمر وريبعة<sup>2</sup>، فقد ورد ذكرها في القرآن الكريم مقرونة بالشعب لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>3</sup>، وقد جاء في تفسير القرآن الكريم للقرطبي (ت671هـ/1273م) أن الشعوب تعني رؤوس القبائل، وسميت بذلك الاسم لتشعبهم واجتماعهم مثل شعب أغصان الشجرة فالشعب معناه القبيلة العظمى وهو الأصل الذي تنسب إليه القبائل<sup>4</sup>، وتذكر المصادر أن تعريف القبيلة هي جماعة من الناس نسب إلى أب واحد<sup>5</sup>، وهي كالسبط من ولد إسحاق عليه عليه السلام، ويقال جمع من شيء واحد قبيل<sup>6</sup> لقوله تعالى ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾<sup>7</sup>، أي هو ومن كان من نسله.

قسم النسابة طبقات العرب والنسب إلى ستة طبقات وهم: الشعب وهو النسب الأبعد ثم القبيلة ثم العمارة، البطن، الفخذ، الفصيلة<sup>8</sup>، وهناك من نسابة من يضيف العشيرة قبل الفصيلة<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> هشام أبو المنذر بن محمد بن السائب الكلبي (ت204هـ): جمهرة النسب، تح: محمود فردوس العظم، ج2، دار البقعة العربية، سوريا، د.ت، ص 412.

<sup>2</sup> أبي العباس أحمد القلقشندي (ت821هـ/1431م): نهاية الأرب. في معرفة أنساب العرب، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط2، 1970م، ص 412؛ وأبي الفوز أمين البغدادي الشهير بالسويدي: سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، دار إحياء العلوم، بيروت، د.ت، ص 07.

<sup>3</sup> سورة الحجرات، الآية 13.

<sup>4</sup> أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، الشروق (د ط)، القاهرة، مصر، (د ت)، ص1870.

<sup>5</sup> إسماعيل بن حماد الجوهري الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم، بيروت، لبنان، ط4، 1990، ج5، ص 1797؛ وانظر أيضا أبي القاسم جار الله محمود بن عمر أحمد الزخشي (ت538): أساس البلاغة، تح: باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، 1992م، ج2، ص 49؛ شهاب الدين أبو عمرو: القاموس الوافي، دار الفكر لطباعة، ط1، بيروت، لبنان، 1423هـ/2005م، ص874.

<sup>6</sup> ابن منظور: لسان العرب، ج11، ص 645.

<sup>7</sup> سورة الأعراف، الآية 27.

<sup>8</sup> القلقشندي: نهاية الأرب...، المصدر السابق، ص 13؛ والسويدي، المصدر السابق، ص 07.

<sup>9</sup> ابن الكلبي: المصدر السابق، ج 412، فقد قسم طبقات العرب إلى عشرة طبقات وهي بالترتيب الآتي: الجذم، الجماهير، الشعوب، القبيلة، العمائر، البطون، الأفخاذ، العشائر، الفصائل والرهط.

### ب- عند علماء الاجتماع:

لم يتوصل الأنثروبولوجيون إلى إتفاق حول تعريف محدد للقبيلة، وبالرغم من ذلك فإن دراستهم تتناول ثلاث مفاهيم أساسية حول القبيلة فهي: أداة للدلالة على التجمعات السكانية المنتشرة في بقعة جغرافية معينة، وهي أيضا كيان ذو هوية ثقافية يتداول مع الدولة التي تمثل الشرعية السياسية، وهي أخيرا كيان سياسي يكتسب خصوصية المتمثلة في امتلاكه نوعا من النظام السياسي ولو في شكله البدائي<sup>1</sup>.

فالقبيلة عند بيرك<sup>2</sup> هي التسمية المشتقة من الجذ المشترك، إذ يعطي أهمية بالغة للعنصر الإيكولوجي دون إغفال العادات والتقاليد والأعراف، وينطلق نسب كل قبيلة إلى جذ مؤسس ويشكل هذا الجذ بداية لسلسلة النسب، أما روبرت مونطاني فهو قد بنى التحليل الخلدوني عندما صرح أن «تاريخ إفريقيا الشمالية شهد منذ بداية الفتح الإسلامي محاولات متتالية وقصيرة النفس في جل الأحيان قام بها قادة...»، كما فعله قواد القبائل البربرية...<sup>3</sup>.

وتتحد القبيلة عند انتمائها لجذ مشترك بقدر ما تتحدد بالدرجة بالوحدة الجغرافية للمجال، ويعتبر أيضا أن وحدة التراب وضرورة الدفاع عنه أو توسعه اللذان يمكنان من تمتين أواصر الروابط الاجتماعية الدائمة بين الأسر المقيمة في نفس القبيلة<sup>4</sup>، فالقبيلة حسب التصور الأنثروبولوجي هي تجمعات خارج إطار الدولة وهي لا تزال تحافظ على سمات المجتمعات البدائية والمتوحشة بالمقارنة مع المجتمعات المحترقة.

**ج- المفهوم الاصطلاحي للقبيلة:** هي عبارة عن تنظيم اجتماعي يتبادل فيه الأفراد الحماية، وهي تشكل بذلك تنظيما سياسيا صغيرا يتحد أفراداه في سبيل البقاء<sup>5</sup>، ولكل قبيلة مجلس يكونه شيوخها، ولها رئيس يسمى الشيخ أو الأمير، أو السيد<sup>6</sup>، وعادة ما تكون هناك عوامل مشتركة بين أفرادها مثل: الثقافة واللغة والأرض خاصة في المجتمعات البدوية<sup>7</sup>، وتتكون في الغالب من مجموعة من العشائر والتي هي

<sup>1</sup> الهادي الهروي: القبيلة، ص 49.

<sup>2</sup> جاك بيرك: في مدلول القبيلة في شمال إفريقيا، منشور ضمن كتاب الأنثروبولوجيا والتاريخ، ترجمة: عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2007، ص 114.

<sup>3</sup> ليليا بن سالم: المقاربة الانقسامية لمجتمعات المغرب الكبير، منشور ضمن كتاب الأنثروبولوجيا والتاريخ، ترجمة: عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2007، ص 37.

<sup>4</sup> الهادي الهروي: المرجع السابق، ص 60-61.

<sup>5</sup> عبد الرحمن خليل إبراهيم: دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1971م، ص 225.

<sup>6</sup> عبد الحكيم الكحي: موسوعة التاريخ الإسلامي، دار أسامة، (د ط)، عمان، الأردن، 2009م، ص 181.

<sup>7</sup> جاك لومبار: مدخل إلى الأنثولوجيا، تر: حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1997م، ص 116.

عبارة عن أصغر وحدة إجتماعية في القبيلة ، وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم، قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾<sup>1</sup>.

وينقسم المجتمع القبلي إلى ست طبقات منها الشعب الذي هو القسم الأول ويشمل مجموعة القبائل، وسمي بذلك لأن القبائل تتشعب منه، ثم تأتي القبيلة، وهي الطبقة الثانية، أما الطبقة الثالثة فهي العمارة، وتشمل التفرعات الناتجة عن القبيلة وتعتبر بمثابة العنق في الصدر، فهي ميزة المجتمع البدوي .

### 1- الأنساب والعصبيات

#### أ- أصل ساكنة بادية المغرب الأوسط:

لقد اختلف المؤرخون في أصل البربر فهناك من أرجعهم إلى الأصل العربي وقيل أنهم أوزاع من اليمن<sup>2</sup>، وقد انتسب بعضهم إلى حمير<sup>3</sup>، وقيل أن العرب جميعا من اليمن وأنهم أبناء النعمان بن حمير بن سبأ.

أما المؤرخون الأوائل أمثال الكلبي (ت204هـ) يؤازره المسعودي (ت346هـ) يؤكدان أن أصل البربر من الشام وأنهم طردوا من فلسطين أيام داود عليه السلام الذي قتل ملكهم جالوت، وهرب قومه إلى المغرب<sup>4</sup> وتناسلوا وأقاموا في جباله ونجد عند ابن حزم<sup>5</sup> موقفا مشابها حيث ينفي انتماءهم إلى اليمن قال «أنهم من بقايا ولد حام بن نوح عليه السلام، وأنهم ما كان لحمير طريق إلى بلاد المغرب».

ومن جهته ربط ابن خلدون<sup>6</sup> أصل تسمية البربر لما في لغتهم من الرطانة والأعجمية، وهي التي اختصوا اختصاصا من أجلها بهذا الاسم يقال: إن إفريقش ابن قيس بن صفى لما غزى إفريقية والمغرب وقتل الملك

<sup>1</sup> سورة الشعراء، الآية 114.

<sup>2</sup> القلقشندي أبي العباس أحمد بن علي (ت821هـ): قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1982م، ص 33.

<sup>3</sup> أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (ت463هـ): القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، مكتب القدس، مطبعة السعادة، 1350هـ، ص24.

<sup>4</sup> المسعودي أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط5، 1973، ج1، ص55؛ وركريا بن محمد بن محمود القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص 163؛ والقلقشندي: قلائد الجمان، المصدر السابق، ص43؛ ابن عبد البر النمري القرطبي، المصدر السابق، ص 26.

<sup>5</sup> أبو علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي (384-456هـ): جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1982، ص495.

<sup>6</sup> ابن خلدون عبد الرحمن (ت808هـ): تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000، ج6، ص117؛ والمقدمة، ص10.

جرجير، وبنا المدن والأمصار وباسمه سميت إفريقية لما رأى هذا الجيل من الأعاجم وسمع رطانتهم ووعي اختلافها وتنوعها تعجب من ذلك وقال ما أكثر بربركم<sup>1</sup>، فسموا بالبرابرة.

لا خلاف بين نسابة العرب أن شعوب البربر كلهم من البربر إلا صنهاجة وكتامة، فإن بين النسابة خلاف، والمشهور أنهم من اليمينية، وأن إفريقش أنزلهم بها<sup>2</sup>.

يرى ابن عبد الحكم (ت257هـ/871م) أن أصل البربري من فلسطين وكان ملكهم جالوت الذي قتله داوود عليه السلام<sup>3</sup>، ويتفق الإدريسي معه في ذلك إذ نسبهم إلى جالوت بن ضريس بن جانا بن لواء بن برين قيس بن الياس بن مضر وقد جاؤوا إلى بلاد المغرب<sup>4</sup>، أما اليعقوبي (ت284هـ/1298م) فله رأي آخر حيث أرجع البربر إلى «أولاد فارق بن بصير بن حام بن نوح،.....خرجوا نحو المغرب فلما جاوزوا أرض برقة أخذوا البلاد، فغلب كل قوم منهم على بلد حتى انتشروا بأرض المغرب»<sup>5</sup>.

كما نسب البربر إلى أصل عربي، حيث نسبوا أنفسهم أحياناً، ونسبهم العرب الفاتحون أحياناً أخرى، واختلفوا في مصدر هجراتهم هل هي من مصر أم من بلاد الشام، أما عن قحطانية البربر أو قيسيتهم فقد بينها صراع العصبية القبلية<sup>6</sup>، ويرجح ابن خلدون الرأي القائل أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح عليه

<sup>1</sup> ابن خلدون: المقدمة، ص 117؛ و أبي جعفر أحمد بن عبد الولي البتي الأندلسي (488هـ): تذكرة الألباب بأصول الأنساب، تح: محمد مهدي الموسوي الخرساني، مؤسسة المواهب، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص 119؛ و شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت626هـ): المقتضب من كتاب جمهرة النسب، تح: ناجي حسن، الدار العربي للموسوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص 373؛ وأبي الزرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وفاس، منشورات دار المنصور، الرباط، 1972م، ص 119.

ولقد أطلقت كلمة بربر أول الأمر على شعوب شمال إفريقيا وكان أول من استعملها الرومان الذين أطلقوها على كل الشعوب الخارجة عن الحضارة ومن بينهم سكان شمال إفريقيا، ولهذا ارتبط لفظ البربر عليهم، أنظر: يحي هريدي: فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصري، القاهرة، 1965م، ص 13؛ وعبد العزيز سالم: المغرب في العصر الوسيط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2008م، ص 47.

-في حين يرى حسن الوزان أن كلمة بربر مشتقة من أصل الموطن الذي سكنه البربر وهو الصحراء (البر) في كتابه "وصف إفريقية"، تح: محمد حجي، ج1، دار المعرفة، الرباط، 1984م، ص 30.

<sup>2</sup> ياقوت الحموي: معجم البلدان، تصحيح وترتيب: أحمد بن الأمين الشنقيطي، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1906، ج1، ص 104؛ وابن أبي زرع، المصادر السابق، ص 119.

<sup>3</sup> ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، تح: علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1425هـ/2004م، ص 197.

<sup>4</sup> الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ص97.

<sup>5</sup> أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، لبنان، 1960م، ص 190.

<sup>6</sup> بوزيان الدراجي: القبائل الأمازيغية، ج1، دار الكتاب العربي، (د ط)، الجزائر، ص26-27.

السلام واسم أبيهم مازيغ<sup>1</sup>، ويوافقه صاحب كتاب مفاخر البربر<sup>2</sup>، ويبدو أنه الرأي الأرجح لدى نسبة بلاد المغرب<sup>3</sup>.

أما نسبة البربر فيزعمون في بعض شعوبهم أنهم من العرب مثل لواتة، يزعمون أنهم من حمير، وهوارة يزعمون أنهم من كندة، وزناتة أنهم من العمالقة فروا أمام بني إسرائيل وزواوة أنهم من حمير، قال ابن خلدون «أن كل هذه المزاعم والحق الذي شهد به المواطن والعجم أنهم بمعزل عن العرب إلا ما تزعمه نسبة العرب في صنهاجة وكنامة»<sup>4</sup>.

ينقسم البربر إلى جذمين كبيرين هما البرانس والبت، وينسب البتر إلى مادغيس ابن بر الملقب بالأبتر فسموا البتر، وينسب البرانس إلى برنس بن بر فسموا برانس. يعتقد ابن خلدون<sup>5</sup> أن البتر والبرانس من ولد مازيغ بن كنعان الذي يرتفع إلى حام بن نوح.

هناك من المؤرخين من يفسر تسمية البتر والبرانس على أساس اجتماعي فيقسمون البربر إلى قسمين:

البربر الحضري ويسكن السهول الخصبة والمدن ويتحضر بالحضارة اللاتينية ويسمون بالبرانس وهم يعيشون على الزراعة والصناعة، والبربر الرحل يسكن البادية ويسمون البتر ويعيشون على الرعي<sup>6</sup>.

وهذا التقسيم يستثني قبيلة زنانة البترية التي كانت أكثر قبائل البربر حضارة وعمران، وقد ذكر اليعقوبي<sup>7</sup> اليعقوبي<sup>7</sup> عند تعرضهم لقبائل البربر البرانس: «ثم مدنا بعد ذلك سكانها صنهاجة وزواوة يعرفون بالبرانس وهم وهم أصحاب عمارة وزراعة»<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> ابن خلدون، العبر، ج6، ص105.

<sup>2</sup> مجهول: مفاخر البربر: تح: عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، الرباط، ط1، 2005م، ص185.

<sup>3</sup> بوزيان الدراجي، العصبية القبلية وأثرها على النظم والعلاقات في المغرب الإسلامي (مذكرات ماجستير مرقونة)، جامعة الجزائر، 1987م، ص238-239.

<sup>4</sup> ابن خلدون: العبر... المصدر السابق، ج6، ص127-128؛ وياقوت الحموي، معجم البلدان...، المصدر السابق، ج1، ص104، ويضيف أن البربر اسم يشمل قبائل كثيرة في جبال المغرب وأولها برقة ثم إلى آخر المغرب والبحر المحيط وفي الجنوب إلى بلاد السودان وهم أمم وقبائل لا يحصى نسب كل موضع إلى القبيلة التي تنزله، في حين يرجع ابن أبي دينار أن صنهاجة فخذ من هوارة وهوارة فخذ من حمير، أنظر أبي عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، ط1، 1689م، ص72.

<sup>5</sup> ابن خلدون: العبر...، المصدر السابق، ج6، ص195.

<sup>6</sup> عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص49.

<sup>7</sup> اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب ابن واضح الكاتب: البلدان، مطبعة بريل مدينة ليدن، 1820م، ص132.

وعلى الرغم من اختلافات بين النسابة ، فمنهم من ردهم إلى العرب واليمن بالتحديد ، حيث تفرقوا بعد السيل العرم، وقيل من التبابعة ، وقيل من ولد النعمان حمير ، وقيل أنهم من فلسطين وأخرجهم ملوك الفرس<sup>2</sup>، إلا أنه يمكن القول أن أصول البربر تعود إلى سلالات مختلفة (حامية -وسامية - وبحر أوسطية ) وتفاعلت فيما بينها واندجت مع مرور الزمن مشكلة مجتمعنا البربري<sup>3</sup>.

### ب- تقسيم قبائل البربر:

تقسم قبائل البربر إلى جذمين كبيرين هما البتر والبرانس، ويبرز المؤرخين هذا التقسيم بالعودة إلى عنصري النسب والعلاقات الدموية.

**الجذم الأول** يشمل البربر البتر، وقد اختلف النسابة والمؤرخين حول أصلهم حيث يرجع البعض أنهم ينحدرون من ولد مادغديس بن بر الملقب بالأبتر، إلا أن ابن حزم أنكر هذا الرأي بقوله: «وما علم النسابون لقيس بن عيلان ابنا اسمه بر أصلا ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر إلا تكاذيب مؤرخي اليمن»<sup>4</sup>.

ويتصف البربر البتر بأنهم رحل في العادة ويكنون إلى الزحف على السهول ويرتبون معيشتهم في الغالب على الرعي ومن أشهر قبائلهم: لواتة، زناتة، نفزاوة، أداسة، نفوسة، وضريسة، ومن القبائل التي عرفت انتشارا في بلاد المغرب قبيلة زناتة<sup>5</sup> والتي شكلت أغلب سكان المغرب الأوسط، وقد أخذت زناتة بالخارجية وكانت لهذه القبيلة عدااء وحروب مع جيرانهم صنهاجة<sup>6</sup>، ومن أشهر بطون<sup>7</sup> زناتة<sup>8</sup> هي جراوة وهذا الفرع هو قبيلة

<sup>1</sup> وقد أشار الدكتور حسن محمود إلى وجود خلاف عميق بين الطائفتين البتر والبرانس فهو لا يستبعد أن يكون القسمان يمثلان موجتين بشريتين مختلفتين واحدة تمثل أهل البلاد الأصليين وأخرى تمثل الوافدين الذين اغتصبوا من أهل البلاد بلادهم ويقصد الصنهاجة البرنسية التي ينسبها معظم المؤرخين إلى العرب وبالضبط إلى حمير، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت)، ص31.

<sup>2</sup> القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة انساب العرب، ص23.

<sup>3</sup> بوزيان الدراجي: العصبية القبلية وأثرها على النظم والعلاقات في المغرب الإسلامي، ص239.

<sup>4</sup> ابن حزم: المصدر السابق، ص495.

<sup>5</sup> ينظر الملحق رقم: 6، ص161.

<sup>6</sup> سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ج1، منشأ المعارف، الإسكندرية، 2003م، ص94.

<sup>7</sup> ينظر الملحق رقم: 5، ص160.

<sup>8</sup> زناتة: من ولد أجانا أوزانا بن يحيى بن ضريس بن زحيك بن مادغيس الأبتر، أضيفت له الألف والتاء للتعظيم عند الجمع فصارت زانات، فلما عربه العرب عاملوه معاملة المغرب وأضافوا إليه هاء الجمع فصارت زناتة، وهذا الشعب أكبر شعوب البربر على الإطلاق، وكان مواطنهم في صحراء المغرب ما بين غدامس إلى وادي الساورة واستوطنت جماعات بالمغرب الأوسط وشرق المغرب الأقصى إلى جبل تازة، انظر ابن خلدون: العبر...، المصدر السابق، ج7، ص03.

الكاهنة الضاربة بجبال الأوراس<sup>1</sup>، وسكانه أهل دغارة وعصيان لا يدخلون تحت طاعة سلطان لامتناع جبلهم العريض الطويل<sup>2</sup>.

وهناك أيضا قبيلة مغراوة وهي فرع من زناتة كانت لها الرياسة على سائر بطون زناتة وتتمركز هذه القبيلة في جنوب غرب المغرب الأوسط على وادي الشلف<sup>3</sup> ولقد كانت لهذه القبيلة حروب وفتن طويلة مع صنهاجة<sup>4</sup>.

وبنو يفرن جمهورهم بالمغرب الأوسط إلى الغرب من مغراوة في جنوب وهران وفي جنوب تلمسان إلى تيهرت، ومن فرع البتر أيضا قبائل لماية في جنوب الجزائر متاخمة للصحراء وهي من القبائل التي شاركت في تأسيس إمارة تيهرت الإباضية، ثم انتشرت بعد سقوط تيهرت إلى إفريقية.

**الجدد الثاني** يشمل بربر البرانس نشأ خلاف حول أصل كلمة برانس حيث يرجع البعض أنهم ينحدرون من جددهم الأكبر برنس بن بر بن قيس بن عيلان بن مضر<sup>5</sup>، ويتصف البربر البرانس بالاستقرار لأنهم يعيشون على الزراعة ومن أشهر قبائلهم مصمودة، غمارة، أوربة، كتامة، أوربة، ازداجة، عجيسة، لمطة<sup>6</sup> وأسفاذ وعماير<sup>7</sup>، وقد اتسم هذا الفرع من البربر بالوفرة العددية وسعة الانتشار في كامل بلاد المغرب حتى زعم بعضهم أنهم ثلثا البربر<sup>8</sup>، ومن القبائل البرنسية التي عرفت انتشارا في بلاد المغرب كتامة وصنهاجة كانت مواطنهم شرق بلاد المغرب الأوسط.

<sup>1</sup> سعد زغلول: المرجع السابق، ج1، ص 94.

<sup>2</sup> ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص145.

<sup>3</sup> ينظر الملحق رقم:4، ص159.

<sup>4</sup> ابن خلدون: العبر...، المصدر السابق، ج6، ص 203.

<sup>5</sup> ابن خلدون: العبر...، المصدر السابق، ج6، ص 200.

<sup>6</sup> لمطة: هي قبيلة بربرية كبيرة من فرع البرانس اختلف النسابون في أصلها فمنهم من يعتبرها من إخوان صنهاجة وهسكورة وجزولة، فيما يجعلها آخرون أنها من أصل حميري، وقد عرفت هذه القبيلة انتشارا واسعا فقد كان فرع منها بجنوب بلاد الزاب، أنظر الحموي: البلدان... المصدر السابق، ج5، ص 23.

<sup>7</sup> ابن خلدون: العبر...، المصدر السابق، ج6، ص201.

<sup>8</sup> نفسه، ص201.

- كتامة<sup>1</sup> تسكن المنطقة الجبلية الواقعة بين مدينتي بجاية وقسنطينة، أما صنهاجة فموطنها إلى غرب كتامة في المنطقة الجبلية الممتدة من جنوب بجاية إلى جنوب مدينة الجزائر وإلى جانب استوطنت قبيلة عجيصة البرنسية في الجبال المشرفة على مدينة المسيلة.

أما فيما يخص العلاقة التي تربط البتر بالبرانس فاتسمت بالعداء ويتمثل هذا العداء بين قبيلة زناتة البترية وقبيلة صنهاجة البرنسية ويرجع عبد العزيز سالم<sup>2</sup> سبب هذا العداء<sup>3</sup> إلى اختلاف أحوالهما الاجتماعية وإغارة الرجل من زناتة على مزارع صنهاجة، وما زاد من الصراع تحالف زناتة مع أمويي الأندلس ضد الفاطميين حلفاء صنهاجة<sup>4</sup>.

وبعد بناء أشير أحست زناتة بخطورتها وما سينجم عنه من انعكاسات من شأنها أن تقلص من تحركاتها، من خلال إشراف زيري على حماية القرى والمزارع المحيطة بالمدينة، فعملت زناتة على الرد بأن سيرت حملة ضخمة إلى أشير يتزعمها كمات بن مديني الزناتي وكان الانتصار فيها لصنهاجة<sup>5</sup>.

وهنا نخلص إلى أن الاختلاف في نمط المعيشة أسفر عن الصراع بين صنهاجة وزناتة وهذا قبل العهد الفاطمي، وفيما بعد صارت هناك صراعات سياسية ومذهبية أدت إلى حروب التي أسفرت عنها نزوح زناتة خارج المغرب الأوسط وانحصار مواطنها في المغرب الأقصى، وهذا ما ساعد صنهاجة في أن تأخذ السيادة على كامل بلاد المغرب وهذا بعد خروج الفاطميين<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> كتامة: تنتمي إلى فروع البرانس وهم من ولد كتام ابن برنس ابن مزيع ابن كنعان، نفسه، ص195؛ وقد فصل موسى لقبال في نسب كتامة ينظر: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، ص92-95؛ ويذكر موسى لقبال عن حياة القبيلة فيقول أنها قريبة من أنماط الحياة البدوية والظاهر أنهم تأثروا في هذه الناحية بما كان سائدا عند جيرانهم من عرب بني هلال ومن بربر البتر؛ نفسه، ص124.

<sup>2</sup> عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص53.

<sup>333</sup> يبدو أن أسباب الصراع بين الطرفين كان حول مصادر المياه والرعي والسيطرة على مسالك التجارة .

<sup>4</sup> مجهول: مفاجر البربر، ص106.

<sup>5</sup> النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج24، ص90، ويضيف النويري رواية غريبة هي أن لزيري ولد صغير اسمه كباب منعه والده من المشاركة المشاركة في الحرب لصغر سنه إلا أنه خرج من باب المدينة وتمكن من قتل قائد الحملة كمات وأسر عدد كبير من أصحابه، نفسه، ص90.

<sup>6</sup> رضا بن النية: صنهاجة المغرب الأوسط - من الفتح حتى عودة الفاطميين إلى مصر - رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، قسم التاريخ، 2006م، ص97.

## 1- العناصر المكونة للمجتمع البدوي :

لا جدال أن أي دراسة اجتماعية يجب أن تبدأ بمعرفة الأجناس المكونة، لأن ذلك يمهّد ويسهل عليه فهم الكثير من الظواهر السائدة، وتفسير الأعراف المتفشية في المجتمع، لأن كل عنصر في المجتمع له ميزات وخصائص يمتاز بها دوناً عن غيره، وامتزاج هذه العناصر فيما بينها يساعد على التفاعل السريع فيما بينها وهو ما يكون سبباً في ظهور عادات جديدة.

سكن الغرب الإسلامي خليطاً من العناصر السكانية، من مختلف المناطق وكان في مقدمتهم السكان الأصليون وهم البربر، الذين ينتشرون في ربوعه ومختلف مدنه وقراه و بواديه.

كان مجتمع المغرب الأوسط قبل وصول الهلاليين ينقسم إلى عدة قبائل بربرية أهمها: كتامة وتلكاتة وزناتة، وصنهاجة وخلال القرن 5هـ-11م توافد هجرات العرب الهلالية القادمة إلى المغرب وأصبحت تمثل عنصر مهم في المجتمع البدوي من خلال تعريبها للمنطقة، بالإضافة إلى عنصر الأندلسيين الذين قدموا من الأندلس نتيجة التدهور السياسي في بلادهم، أما بالنسبة لأهل الذمة فقد استقرت عناصر من المسيحيين واليهود، وهاته العناصر السكانية كانت تشكل طبقات المجتمع البدوي ومع مرور الزمن اختلطت هاته العناصر، فأنتجت مجموعة من العادات والتقاليد.

ضم المجتمع المغرب الأوسط عناصر مختلفة الجنس تمثلت في:

## 1- القبائل البربرية:

لا اختلاف في أن المجتمع المغرب الأوسط مجتمع بدوي منذ القدم، ولهذا فقد مثلت القبائل البربرية أحد أهم عناصره السكانية وسنحاول التركيز على أهمها انتجاع للبادية :

### أ- قبيلة تلكاتة الصنهاجية:

تعتبر قبيلة تلكاتة من أبرز وأقوى القبائل البربرية وأكثرها عددا وانتشارا في المغرب الأوسط ومثلت نسبة لا بأس بها من سكان المجتمع البدوي<sup>1</sup> فتركزت في المناطق الممتدة من شرشال إلى مرسى الدجاج ومن واد شلف إلى القبائل الكبرى وصولا إلى ناحية الحضنة<sup>2</sup>، إذ تمكن رجال هذه القبيلة من تولي المهام السياسية وتأسيس دولة بربرية مستقلة في المغرب الأوسط.

### ج- قبائل زناتة:

لقد كانت قبائل زناتة تقطن بالمغرب الأوسط، فهاته القبائل الزناتية لديها بطون كثيرة وكلها تريد الزعامة السياسية على المغرب الأوسط.

تصرح بعض المصادر أن زناتة ويعود أصلهم إلى كنعان بن حام<sup>3</sup>، أي من أصل عربي، من حمير<sup>4</sup> وهم فرع البتر<sup>5</sup> ومن بطونها بنو مغراوة وبنو يفرن وملكاتة<sup>6</sup> وتاجن ومكلاتة<sup>7</sup> وبن سنوس سنوس ومكناسة وجراوة وبنو تزجين ومطماطة وطغرة ومدينة ومديونة ونفزاوة ولوابة وبنو راشد<sup>8</sup> وسدراتة وكشبانة وملزوزة ومرنسية<sup>9</sup> وهم قبائل رحالة قليلة العدد<sup>10</sup>، وكانوا من أكثر القبائل البربرية البربرية تقبلا للتعريب وهذا لتواجدهم المستمر بالقرب من العرب واختلاطهم بهم<sup>11</sup>.

<sup>1</sup> يوسف بن قرة، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي دراسة تاريخية وأثرية، منشورات الحضارة، ط1، الجزائر، 2009م، ص 229، 230.

<sup>2</sup> رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 127.

<sup>3</sup> ابن حزم: جبهة انساب العرب، ص 496.

<sup>4</sup> أبو العباس القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة انساب العرب، ص 274.

<sup>5</sup> أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر: النفحة التسييرية واللمحة المرتية، تح عدنان محمد آل طعمة، دار سعد الدين، دمشق، سوريا، 1992، ص 31.

<sup>6</sup> ابن خلدون: العبر، ج 7، ص 24.

<sup>7</sup> ابن حوقل: المصدر السابق، ص 109.

<sup>8</sup> إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 24.

<sup>9</sup> مجهول: الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية العبد حقية، مطابع ج ول كربونل الجزائر، 1921، ص 11.

<sup>10</sup> إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 25.

<sup>11</sup> إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج 1، ص 33.

يصعب ضبط موقع لهذه القبيلة لأنها تمتد الترحال لكن أكثرهم يسكنون المغرب الأوسط حتى أنه لينسب إليهم فيقال وطن زناتة، فقد اتخذت زناتة من غريه مقرا لها، فاستوطنت المناطق الشمالية الشرقية<sup>1</sup> خاصة تلمسان ومنطقة تامسنا<sup>2</sup>، وكانت مضاربها مجاورة لمضارب صنهاجة وكان يجمعهم يجمعهم عدااء قديم. وبرز هذا العدااء واشتد النزاع بين القبيلتين في القرن الرابع الهجري، وفي تلك الفترة ظهرت دولة جديدة قامت على أكتاف كتامة وصنهاجة من البربر وكانت هذه الدولة هي الدولة الفاطمية، وهذا ما لم يرق للقبائل الزناتية التي نظرت إلى هذه الدولة الناشئة بنظرة الشك والحذر، وجمعتها بها العديد من النزلات كانت الغلبة فيها غالبا للفاطميين. وكان هذا وراء خروج بعض الزناتيين من المغرب الأوسط هربا بأنفسهم من ثأر الفاطميين وبطشهم<sup>3</sup>.

**كومية:** وتضاف هذه القبيلة إلى القبائل البترية، وتنسب هذه القبيلة إلى البتر، ويعرفون قديما بصظفورة بطن من بني فاتن بن تامصيت بن ضري بن زجبك بن ماذغيس الأبتري وهم أبناء عم زناتة<sup>4</sup>، وتتواجد هذه القبائل ببلاد المغرب الأوسط بين المسان والبحر المتوسط<sup>5</sup> ويمتدح أفراد هذه القبيلة الفلاحة ورعي الأغنام ومهن أخرى، وقد تبدل حالهم بقيام دولة الموحدين حيث دخلوا بلاد المغرب الأقصى وأصبحوا في خدمة خلفاء الموحدين<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> ينظر الملحق رقم:4، ص159.

<sup>2</sup> مازمول كرمخال: المصدر السابق، ص90.

<sup>3</sup> ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص50.

<sup>4</sup> السلاوي: المصدر السابق، ج م، ص99.

<sup>5</sup> حسن علي حسن: المرجع السابق، ص305.

<sup>6</sup> ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص130.

ومن أهم القبائل الزناتية<sup>1</sup> هي كالأتي:

| قبيلة                                               | أماكن تواجدها                             |
|-----------------------------------------------------|-------------------------------------------|
| بني رومان وبني يلومي                                | الشلف                                     |
| هواره                                               | لأوراس، الغدير، مكناسة                    |
| مزانة                                               | المسيلة، باغاية                           |
| بني جنداج                                           | المسيلة                                   |
| مغراوة                                              | بلاد الزاب                                |
| لواتة                                               | بجاية                                     |
| بنو برزال                                           | المسيلة، سطيف، طينة                       |
| اورية                                               | نقاوس، بونة، سدراتة، المسيلة، بسكرة       |
| مطغرة                                               | الطريق الذي يخرج من تنس ويؤدي إلى<br>أشير |
| ريغة                                                | شرشال                                     |
| بنو مرين وورطاقين، وزيري ماني، سنجاس، وعزة، ويلومان | بين تلمسان وتيهرت                         |

وتضاف إلى قبائل زناتة قبيلة جراوة البترية<sup>2</sup>: كانت تسكن جبل الأوراس<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> صالح يوسف بن قرية: تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد، ص 230.

<sup>2</sup> ينظر مجالها الجغرافي : الملحق رقم:4، ص159.

<sup>3</sup> محمد بن عميرة: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 م، ص 18 وما يليها ..

## 2- العرب :

احتل عنصر العرب ببلاد المغرب المرتبة الثانية بعد البربر، من حيث العدد، ومع أن أعدادهم كانت كبيرة بالبلاد إلا أنهم ليسوا من سكانهم الأصليين، بل كانوا من الوافدين إليها، دخلوا البلاد كفاتحين يعملون على نشر الإسلام وضم البلاد إلى حضيرة المسلمين.

أ- **عرب الفتح** : تعتبر هجرة العرب إلى المغرب من أهم الهجرات التي عرفت البشرية وكان لها أثر حضاري، وذلك من خلال رسالتها في نشر الإسلام فقد وردت عناصر عربية القادمة من الشام في بلاد المغرب الأوسط خلال الفتح الإسلامي لبلاد المغرب<sup>1</sup>، وهاته العناصر إما من الجند الفاتحين أو المهاجرين وهم القريشيين الذين تمركزوا بتهودة أما اليمانيين القيسيين بطولقة وباقي أنحاء المغرب<sup>2</sup>.

كان عددهم في البداية قليل جداً، ولكن بمرور الزمن ازدادوا تضاعف وخاصة بقدم بني هلال. ومع هذا فانه لم يتفوق طوال فترة العصور الوسطى على عدد السكان الأصليين من البربر، وهذا يدل على أن العرب المسلمين كانوا فاتحين لا محتلين، لأن أول عمل يقوم به المحتل هو إبادة شعوب البلدان المحتلة لتكون له الغلبة والسيطرة .

ويعود تواجد العرب في بلاد المغرب إلى بدايات الفتح الإسلامي للمغرب، وذلك بمجيء عقبة بن نافع إلى المنطقة، موفداً من قبل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة (24هـ/644م). وكان برفقته عدد كبير من أشراف العرب، غير أنه لم يبق بالمغرب سوى عقبة بن نافع مع مجموعة من الجند<sup>3</sup>، وبعد عقبة جاء موسى بن نصير لإتمام عملية الفتح، وحمل معه أعداد معتبرة من العرب وفي هذه المرة أيضاً لم يبق منهم الكثير، بل استقر منهم من أوكلت إليهم السلطة المركزية بدمشق مناصب رسمية بالبلاد، كالولاء وأسرههم وأعوانهم، وباقي الموظفين<sup>4</sup>، وبعد ذلك أصبح المغرب ملجأ لكل المضطهدين والثائرين الفارين من قمع الأمويين، ووجد بعض

<sup>1</sup> الرقيق القيرواني : تاريخ أفريقية والمغرب، تح: محمد زينهم، دار الفرخان لنشر والتوزيع، ط1، 1414هـ/1994م، ص ص 82، 20؛ ابن عبد الحكم : المصدر السابق، ص18.

<sup>2</sup> عبد العزيز فيلا لي : تلمسان في العهد الزياني، (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، ح1، موفم لنشر، الجزائر، 2007م، ص19؛ صالح يوسف بن قرية: تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد، ص231.

<sup>3</sup> الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص46.

<sup>4</sup> حسن علي حسن: المرجع السابق، ص ص 302-303.

اللاجئين إلى بلاد المغرب موطنًا لبث أفكارهم، وجمعوا حولهم الأنصار والموالين، وعلى الرغم من كثرة الوفود القادمة إلى المغرب من العرب إلا أن عددهم لم يشكل نسبة كبيرة<sup>1</sup>.

ازداد عدد العرب الوافدين إلى المغرب بقيام دولة الأدارسة التي استقطبت الكثير منهم، وكانوا هم من أسس مدينة فاس، وجاءوا من بلدان مختلفة منها القيروان والأندلس والعراق<sup>2</sup>، ومع بداية القرن الرابع الهجري العاشر ميلادي برزت إلى الواجهة أهمية المنطقة التجارية لإشرافها على طرق تجارية مهمة منها طريق تجارة الذهب، المار بسجلماسة التي قصدها العديد من التجار المشاركة واستقر بها للقيام بأعمالهم، ومباشرة تجارتهم<sup>3</sup>، وسكن العرب بعض المناطق الشمالية و كانت قبائل: بنو هاشم وبنو تميم وبنو عدي وبنو سهم وبنو أمية وغيرهم السابقين من العرب الذين هاجروا إلى المغرب والسكنى به<sup>4</sup>.

**ب - عرب الهلالية :** كانت الهجرة الهلالية الكبرى في (460هـ-1067م)<sup>5</sup> إذ وفدت بشكل جماعات كثيرة، وأصبحت تمثل أحد العناصر الأساسية للمجتمع. ومن بين هاته القبائل الأتبع الذين تركزوا ناحية الزاب وقلعة بني حماد والجزائر<sup>6</sup> وجشم استقروا في نواحي الجزائر أما بنو عدي فنزلوا ناحية شلف<sup>7</sup>.

فهجرة بني هلال إلى بلاد المغرب عموما والمغرب الأوسط خصوصا كان لها تأثير في شتى المجالات. ورغم إجماع أغلبية المؤرخين بان دخول العرب الهلالية للمغرب صاحبها دمار وفوضى ف البداية<sup>8</sup> إلا أنه، بفضل هذه الهجرة تم تعريب المدن الحمادية، فقد أثرت لغة التخاطب لقبائل بني هلال في اللسان البربري بحيث سارت عملية الاستعراب تسير وفق عملية المزج والاحتكاك،

<sup>1</sup> إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في الحياة الاجتماعية، ص27.

<sup>2</sup> ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ص 47، 39، 29.

<sup>3</sup> ابن حوقل: المصدر السابق، ص65.

<sup>4</sup> إبراهيم القادري بوتشيش: نفسه، ص37.

<sup>5</sup> ابن خلدون : العبر ، ج6، ص27؛ ابن عذارى : البان المغرب ، ج1، ص292-294؛ رابح بونار: تاريخ المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، ص215.

<sup>6</sup> صالح يوسف بن قرية: تاريخ مدينة المسيلة وقلعة بني حماد، ص231.

<sup>7</sup> رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص160.

<sup>8</sup> ألفرد بل: المرجع السابق، ص214.

وشيئا فشيئا اختلطوا مع العنصر البربري وتصاهرا العنصران بع مدة من الزمن، واخذ البربر عنهم عاداتهم الاجتماعية والأخلاق الفاضلة وأضافوها إلى عاداتهم وأخلاقهم.

### هـ - أهل الذمة:

عرف المغرب الأوسط استقرار عناصر من أهل الذمة في بوادي المغرب الأوسط، فكانت الطوائف المسيحية إما من بقايا الرومان أو من البربر الذين تنصروا، أو من الأوربيين الذين استوطنوا ببجاية نتيجة العلاقات التجارية بين بجاية وبعض المدن الأوربية<sup>1</sup>، كما عاشت الجالية اليهودية بالمغرب الأوسط وساهموا في إثراء الحياة الثقافية والاقتصادية<sup>2</sup>، فامتنهوا عدة حرف واشتغلوا بالتجارة والطب والصباغة والأمور المالية<sup>3</sup> وبالمقابل تمتعوا بحرية كبيرة في ممارسة شعائرهم الدينية، فكانوا يحتفلون بذكرى القديس أوغسطين وفي سنة (508هـ/1014م) أسسوا بالقلعة كنيسة مريم العذراء وعينوا عليها قديس يدير شؤونها الدينية<sup>4</sup>.

### 3- طبقات المجتمع البدوي:

ضم مجتمع البادية كغيره من المجتمعات الحضارية عدة طبقات خاصة إذا علمنا أنه خاضع كغيره من الرقع الجغرافية لنفس السلطة الحاكمة ويمكن أن نميز الطبقات التالية :

#### أ- الطبقة الحاكمة:

تأتي هذه الطبقة في قمة الهرم الاجتماعي<sup>5</sup> تتكون من زعماء القبائل وشيوخها<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> محمد الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010م، ص143.

<sup>2</sup> عيسى بن الذيب وآخرون، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م، ص123.

<sup>3</sup> رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص166.

<sup>4</sup> البكري: المصدر السابق، ص66.

<sup>5</sup> عبد الحليم عويس دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر، دار الصحوة للنشر والتوزيع، دار الوفاء لطباعة والنشر والتوزيع، ط2، مصر، 1414هـ/1991م، ص235.

<sup>6</sup> صالح يوسف بن قرية: المرجع السابق، ص232.

ب- طبقة العلماء:

وتضم العلماء وصلحاء القبائل وكانت تتمركز في الحواضر كجزائر بني مزغنة والقلعة و بجاية وبواديهم وهذا ما يؤكد الغبريني بقوله: "بجاية... أنها كانت دار العلم والعمل المستقر للعلماء والصالحين..."<sup>1</sup>.

ومن بين علماء بجاية في العصر الحمادي نذكر أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني<sup>2</sup> وأبو محمد عبد الحق بن إبراهيم الأزدي الاشبيلي<sup>3</sup> وأبو علي حسن محمد المسيلي<sup>4</sup>.

ج- الطبقة المتوسطة: تضم هذه الطبقة أرباب المال من التجار والمياسير.

د- الطبقة الدنيا: تشكل طبقة العامة عمود التركيبة الجماعية في بوادي بلاد المغرب الأوسط حيث تمثل هذه الشريحة أكبر شرائح المجتمع، وقد تسموا بالعامة لكثرة أعدادهم، وقد كانوا مختلفين عن الخاصة في أغلب الأمور، وأخبار هذه الشريحة شحيحة جدا في المصادر والروايات وحتى إن وردت إشارات خاصة بهم فإننا غالبا ما تدمهم وتنعتهم بأرذل الأسماء والصفات، كالأوباش والرعاع والسفهاء وحتى الأندال<sup>5</sup>، وهذا يعني أن هذه الفئة عاشت في ظروف قاسية وصعبة، حيث كانت السلطات تفرض عليهم الضرائب الباهظة التي لم يكن بمقدورهم دفعها.

م تكن الضرائب وحدها من أضرت بهذه الشريحة، ففترات الانتقال من دولة آفلة إلى دولة قائمة كانت وبالا عليها إذا أنه لا يتم أي انتقال، وقيام أي سلطة إلا بحصاد أعداد كبيرة من هؤلاء الذين كانوا يقتلون عند حصار المدن والبوادي ومحاولة إخضاعهم للنظام الجديد كان استقرار العرب الهلالية نذير شؤم على طبقة العامة حيث أنهم راحوا يغيرون على المدن والبوادي ويأتون على اليا بس قبل الأضر<sup>6</sup>، وهذا ما زاد من صعوبة العيش وتعسره في أوساط الأهالي.

<sup>1</sup> الغبريني: المصدر السابق، ص139. ينظر: علي خلاصي: القلاع والحصون في الجزائر (المنشآت العسكرية في العصر الحديث).

<sup>2</sup> أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني ولد ببجاية سنة 644هـ وقد درس القرآن وعني بقراءته وتعلم القراءة والكتابة وخلط ذلك بدراسة مبادئ العلوم والأدب كما هي طريقة إفريقية، توفي سنة 704هـ المص، نفسه، ص13، 12.

<sup>3</sup> أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسن بن سعيد بن إبراهيم الأزدي الاشبيلي، ولد (510هـ ت582م)، رحل إلى بجاية وألف التأليف وصنف الدواوين، وولي الخطبة وصلاة الجمعة وولي قضاء بجاية مدة قليلة. المصدر نفسه، ص73.

<sup>4</sup> أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي: وهو عالم ومحقق ومتقن وكان يسمى أبا حامد الصغير ولقد جمع بين العلم والعمل والورع وبين علمي الظاهر والباطن وله عدة مصنفات منها "النبراس في الرد على منكر القياس" وولي القضاء ببجاية. المصدر نفسه، ص66-68.

<sup>5</sup> إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في تاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، ص169.

<sup>6</sup> ابن عذارى: البيان المغرب، ص326.

تشكل طبقة العامة من صغار الفلاحين والمزارعين والصناع والحرفيين<sup>1</sup>، حيث اشتهرت قلعة بني حماد بصناعة العمائم المطرزة، وتختلف مكاسب العيش لدى هؤلاء حيث يتوزعون بين البادية والريف والمدينة<sup>2</sup>. ويذكر ابن الصغير (ت خلال القرن 3هـ) العوام وأهل الحرف وكأنهما فئتان متميزتان حسب عبارته: «و العوام وأهل الحرف ومن لف لفهم»، وجاء ذكره لكلمة العوام مرة أخرى حيث تعرض لأمر وفد البصرة القادم بمبلغ مالي على الإمام عبد الرحمان، ويلاحظ استعماله لهذا المصطلح كمقابل لفئة الخاصة وعلى العموم فهي تشمل الزراع والفلاحين وأهل الصنائع والمهن وصغار التجار وقد عبر عنهم ابن الأثير بـ: "طعام البربر" من العاطلين عن العمل ومن ذوي العاهات من المساكين والفقراء والخدام والعبيد والرعاة وباختصار فهذه الطبقة تشمل كل من لم يرتبط بالسلطة أو ليس له موارد مالية مستقرة وهم أكثر وجود في البادية<sup>3</sup>.

### هـ - دور المرأة:

المرأة في البادية هي أساس الأسرة تتولى مهمة تدبير الشؤون المنزلية من تحضير الطعام وصناعة الصوف من أغطية وألبسة صوفية لمقاومة برودة الجو .

كما دفعته الحاجة لصناعة الأواني الفخارية التي تستخدمها في الأكل والشرب، كما كانت تخرج لمساعدة الرجل في الفلاحة، أما عن مساهمتها في الحياة السياسية وقد نشير هنا إلى الحكام الحماديين الذين شيدوا القصور وأطلقوا عليها أسماء زوجاتهم، مثل قصر بلارة، الذي بناه المنور لزوجته وبالتالي تسمية قصور الحكام باسم النساء قد يكون دليل على تأثير هؤلاء النسوة على شخص الحاكم، وبالتالي على سياسة الدولة<sup>4</sup>.

نستخلص مما سبق أن المرأة كان لها دور مهم وكبير في المجتمع البدوي فلم يقتصر عملها على تدبير الأمور المنزلية، بل تعداه بمشاركتها في تنمية الاقتصاد بفضل الأعمال التي مارستها<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص 232

<sup>2</sup> صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص 232.

<sup>3</sup> عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص 256-257.

<sup>4</sup> الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج 2، ص 99.

<sup>5</sup> عيسى بن ذيب وآخرون: المرجع السابق، ص 103.

#### 4- الحراك القبلي في بادية المغرب الأوسط

لقد تحكمت في تطور وجهود الإنسان المغربي خلال العصر الوسيط جملة من العوامل البشرية والسياسية والاجتماعية، أكثر من العوامل الطبيعية، ذلك أن الاستقرار السياسي والاجتماعي وسيادة الأمن، قد لعبا دورا كبير في توجه الإنسان واستغلاله نحو مجاله<sup>1</sup>، والملاحظ أن أي خلل يحدث في أي جانب من هذه الجوانب يدفع به إلى الهجرة بحثا عن وضع أحسن للعيش.

والحديث عن الهجرة ببادية المغرب الأوسط، ومعالجتنا له سيتم في إطار جانبين أساسيين هما الهجرة الداخلية والهجرة الخارجية، وفي كلتا الحالتين نجد هناك الهجرة القصرية، والهجرة الطوعية.

ومن نماذج الهجرة القصرية، أي تلك الهجرة التي أجبر سكان البادية على اتخاذها، نتيجة لعدة أسباب منها الكوارث الطبيعية، فالجاعة التي مستها بكاملها عام 408هـ-409هـ، هجر سكان بعض المناطق الريفية واستقروا بالمدن الحضرية من أجل البحث عن الغذاء، الأمر الذي أدى إلى تراجع الأنشطة الفلاحية في الأرياف والبوادي<sup>2</sup>.

هذا ونجد أن الحروب كان لها الدور الكبير في الهجرة الداخلية، فعندما غزا النورماند معظم سواحل المغرب الأوسط، مثل جيجل، القل<sup>3</sup> ومرسى الدجاج<sup>4</sup>، كان سكانها يفرون منها إلى الجبال في فصل الصيف ويعودون إليها في الشتاء، ولما سارت عساكر الموحديين إلى القلعة كذلك هرب أهلها إلى رؤوس الجبال<sup>5</sup>، كما ظلت القرى الريفية أيضا تستقطب السكان الفارين من الحروب مثل سكان بونة بعد غزو النورماند لها<sup>6</sup>، وكذلك سكان بجاية بعد تخريبها من قبل بني غانية عام 582هـ.

ومن الظروف التي أدت إلى حراك السكان وبالتالي حراك القبائل نجد معظم الحكام السلطة في بلاد المغرب الأوسط قد انتهجوا هذا الأسلوب من الهجرة القصرية، فعند بناء مدينة أشير قام زيري بتهجير

<sup>1</sup> مصطفى نشاط: الديمغرافيا التاريخية في أدب الرحلة، مجلة كنانيش، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، المغرب، 2001، العدد 3، ص 173.

<sup>2</sup>Atlaoua Ammara: retour à la problematique du declin economique du monde musulman medieval, le cas du magreb hammadide(11\_12siecies).the magreb review.printed on long lif paper, vol 281.2003. P:6.

<sup>3</sup> الإدريسي: نزهة المشتاق، ص ص 159-160-174.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 169؛ الحميري: الروض المعطار، ص 538.

<sup>5</sup> ابن الأثير: الكامل، ج 9، ص 373.

<sup>6</sup> محمد الطمار: المرجع السابق، ص 139.

السكان إليها<sup>1</sup> وبدون شك أن هذا السياسة قد شملت الكثير من السكان الأرياف والبوادي في تلك الفترة، كما قام المنصور بن الناصر عند بنائه لبجاية بنقل أهل المسيلة والقلعة، كما نقل جراوة من المغرب وأنزلهم بها<sup>2</sup>.

وإضافة إلى ذلك فقد كان لهجرة بني هلال الأثر الكبير في حراك بعض القبائل الداخلية ذلك أنهم أخذوا يتوسعون على كثير من بسائط بوادي المغرب الأوسط عنوة مما أدى إلى نزوح القبائل البربرية ودفعتهم إلى الهجرة إلى مناطق أخرى<sup>3</sup> وما يمكن أن نخلص إليه في هذا الجزء أن هذه الحراك القبلي في بوادي المغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة قد أدى تخلخل في النظام السكاني وهذا الأمر من شأنه أن يؤثر على الوضع الديمغرافي لسكان البوادي فيه خاصة وأن بعض القبائل قد عرفت نقلة نوعية في ذلك الحراك نتيجة التغيرات السياسية على خارطة المغرب الوسط.

### ثانيا :النظام العشائري القبلي في بادية المغرب الأوسط

إن القبيلة مكونة من مجموعة من العشائر، وأنها عبارة عن مجتمع متكامل التنظيم يمتاز بانحداره من أصل واحد وبوجود اسم خاص به ولغة وسلطة ومنطقة جغرافية محددة وتقسيم العشائري لمجتمعه القبلي إلى أجزائه المتساوية أساسها القرابة الدموية الحقيقية وترجع هذه الانقسامات داخل القبيلة إلى الهجرة الناتجة بدورها عن النمو السكاني وقلة الموارد<sup>4</sup>.

خضعت المجالات البدوية في المغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطية عبر تاريخا إلى نمط من معين من النظام الاجتماعي السائد آنذاك، فقد شكلت العشيرة بمختلف وحداتها الاجتماعية القبيلة وما يندرج تحتها من منظومة قبلية قائمة على أساس المشاركة والتعاون، وأخذ فيها شيخ القبيلة ومجلس الأعيان دورا بارزا في استمرارية الحياة الاجتماعية والسياسية، وقد أولت منظومة العشيرة الاهتمام الكبير بالأسرة والمرأة على حد سواء.

<sup>1</sup> النويري : نهاية الأرب ، ج 24، ص 88.

<sup>2</sup> ابن خلدون:العبر، ج 6، ص 227.

<sup>3</sup> النوشريسي:المعيار ، ج 9، ص 593.

<sup>4</sup> محمد بن حسن :القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط ،دار الرياح الاربع لنشر والتوزيع ،تونس ،1986م، ص 15.

## 1- شيخ القبيلة :

تتميز البادية في المغرب الأوسط بنظام السائد الذي يحكم كل قبيلة إذ كان لكل قبيلة شيخها يتولى رئاستها وإدارة شؤونها، ويشترط فيه أن يكون من ذوي العصبيات الكبيرة، تشد أزره، وتعينه على تنفيذ مطالبه، و أن يكون من ذوي الجاه، ورئاسة القبيلة وراثية فقد قام بدو بني يعلى بأمر بني بفرن بعد قتل أبيه<sup>1</sup>، و يكلف شيخ القبيلة من الناحية السياسية بالدفاع عن أفرادها، وتأمين وجودهم ضد أي تهديد خارجي يستهدف مصالحهم الحيوية سواء كان مصدر هذا التهديد القبائل الأخرى أو الحكم المركزي الذي يتخذ أحيانا قرارات تتعارض مع مصلحة القبيلة فهو بعبارة أخرى يمارس وظيفة الأمور الحربية، ووظائف أخرى متنوعة .

والملاحظ أن جبال القبائل المغربية وسهولها، كانت تزخر بمختلف الأنشطة في شتى المجالات، فبربر البوادي والجبال عالم ينبض بالحياة الجماعية، ويكرس كل مظاهر المجتمع المتكامل<sup>2</sup> ولعل هذا التنظيم لا يأتي إلا بوجود سلطة أشياخها الذين كانت لهم الحل والعقد في مختلف الأمور التي تمم الحياة البدوية وعلاقة البدو بالسلطة من جهة أخرى .

ويمكن القول أن شيوخ القبائل في بلاد المغرب كانت لهم سلطة قوية على رعيته من أهل البدو الرحل فيذكر ابن حوقل (ت367هـ) بأن: «سكان بلاد المغرب يطيعونهم فلا يعصونهم، ويأمرهم فلا يخالفونهم»<sup>3</sup>، و الأمر نفسه فيما ذكره القاضي النعمان بشأن قبائل كتامة، كانت لها أشياخ في كل قبيلة<sup>4</sup>، إضافة إلى ذلك كانت كل قرية من قرى المغرب الأوسط تنتدب شخصا من بين أفرادها لإدارة شؤونها، ليقوم بتمثيله في المجلس العام للقبيلة الذي يختار من بين أعضائه رئيسا، الذي يكون بيده حق اتخاذ القرارات الحاسمة، ويتولى قيادة التشكيل القبلي البدوي<sup>5</sup>.

والملاحظ أن شيخ القبيلة كانت تتوفر فيه جملة من الشروط، التي تؤهله لاعتلاء هذا المنصب، وتكمن أساسا في صفات الشجاعة والسخاء والحكمة وحسن التدبير وقوة العصبية، وكانت الصفات الحربية هي التي تضمن للرئيس الاستمرار في حكم القبيلة وتوجيهها والتفاف قلوب شبابها حوله<sup>6</sup> هذا ونشير إلى أن منصب شيخ القبيلة كان وراثيا في أغلب الأحيان مع صغر السن لدى كل من قبيلة صنهاجة وكتامة وزناتة، ويرجع الأمر إلى تسلسل الأسر الحاكمة في الدول التي قامت على أكتاف هذه القبائل مثل الدولة الزييرية والحمامية،

<sup>1</sup> جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص251.

<sup>2</sup> عبد المجيد الفهري: البربر الجبال في المغرب في العصور الوسطى، مقال ضمن ملتقى التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية ص143.

<sup>3</sup> صورة الأرض، ص97.

<sup>4</sup> افتتاح الدعوة، ص37.

<sup>5</sup> مصطفى أبو الضيف أحمد: القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، الجزائر، (د ت)، ص259\_260.

<sup>6</sup> عميور سكين: المرجع السابق، ص231.

والزبانية ، وقد كان على شيخ القبيلة أن يعمل على ضمان التوازن الداخلي بين الأسر والعشائر ، بمساعدة مجلس استشاري لحل النزعات في حال وقوعها استمرار مبدأ التعاون فيما بينهم ومع القبائل الأخرى<sup>1</sup>. غير أن سلطة التي كان يتمتع بها شيخ القبيلة كانت محدودة بعض الشيء فقد ذكر الحجاج الكتاميون للداعي بان فيهم قوم يتحاكمون فيما بينهم أي أن هنالك اختلافات في الآراء<sup>2</sup>، وبالرغم من ذلك فإن سلطة شيوخ القبائل في المجالات البدوية كانت متغللة كما يذكر لنا الإدريسي بخصوص أحدها: « أكثر غلات أهلها الحنطة والشعير وقبض معاوניהا وتصرف أحوالها لأشياخها »<sup>3</sup>.

وفي هذا الجزء نخلص إلى أن التنظيم القبلي السائد داخل المجتمع القبلي للمغرب الأوسط فكان يمثل بلا شك رمزا لقوة القبيلة من خلال النظام العشائري وتداخل الروابط السياسية والاجتماعية والاقتصادية لتلك القبائل ومشاركة فئاتها في المنظومة البدوية القائمة على أساس الأسرة باعتبارها النواة الأساسية لمجتمع البادية.

### 2- مجلس الأعيان :

يساعد شيخ القبيلة مجلس قبلي ، يستطيع كل فرد من أفراد القبيلة حضوره والتحدث فيه وإبداء رأيه لذلك فإن الغلبة فيه لذوي الألسن الطليقة وأولي الحجة والمنطق ، ويجتمع هؤلاء في بيت شيخ القبيلة أو في ديوانها - إذ أن لكل قبيلة ديوان أو دار لضيافة - ويقع اجتماع أفرادها فيه فيتجادبون أطراف الحديث ويروون الأخبار التي تم قبيلتهم مثل اكتشاف مناطق جديدة للرعي كما يتباحثون في الخلافات الناشئة بينهم ، ويستعرضون علاقاتهم بالقبائل الأخرى، ويروون القصص والروايات التي تروقهم ، والتي تتعلق معظمها بالغزو والحرب<sup>4</sup>.

تمتع أعيان القبائل في بلاد المغرب الأوسط بمكانة كبيرة ، وباحترام وطاعة أفراد القبيلة لهم وقد لاحظ ابن حوقل(ت367هـ) هذا حيث يذكر أن لهم رؤساء يطيعونهم فلا يعصونهم ويأمرونهم فلا يخالفونهم<sup>5</sup>، ويبدو أن مرد التزام الفرد بالسلطة الصادرة عن مجلس القبلي راجع لاقتناعه بعدالته ، وإلا لكان بإمكانه وبكل سهولة أن يعتزل مجتمع قبيلته دون أن يناله أدنى عقاب ديني ويرجع هذا بالأساس إلى صفات البدوي القائمة على حب حريته وفي بساطة عقليته وصراحته وصداقته وعدم انصياعه للإهانة والمذلة<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين ، المجتمع،الذهنيات، الأولياء، دار الطليعة لطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان،1993م،ص237.

<sup>2</sup> القاضي النعمان:المصدر السابق،ص37.

<sup>3</sup> نزهة المشتاق، ص178.

<sup>4</sup> عبد الكريم جودت:المرجع السابق، ص251-252.

<sup>5</sup> نفسه،ص252.

<sup>6</sup> عبد الكريم جودت:المرجع السابق، ص252.

### 3- الأسرة:

تضم القبيلة عدة جماعات داخلية تتدرج ابتداء من الرهط والأسرة و العائلة ثم العشيرة ثم الفخذ وصولا إلى البطن، الذي يشكل بتجمع عدة بطون عمارة ومن مجموع عدة عمائر تتألف القبيلة لتشكيل شعبا في الأخير .

تعتبر الأسرة أصل التنظيم الاجتماعي في المجتمعات البدوية ، وهي قاعدة القبيلة وتشمل رب الأسرة وأبنائه وأحفاده وزوجاتهم والأعمام وهم مسئولون عن إعانة أفرادها العاجزين ، ويعيش هؤلاء تحت سقف واحد يتعاونون في عملهم ويشاركون في تحمل أعباء الحياة والأسرة أوسع من الرهط الذي يشمل الأب والأبناء فقط<sup>1</sup>.

والملاحظ أن الأسرة بشكلها الواسع كانت تجمعها رابطة القرابة التي هي بنية اجتماعية أساسية لدى معظم القبائل، وداخل هذا النظام تعتبر العائلة صورة مصغرة لهذه القبيلة أو تلك وتمثل السلالة الأبوية أساس نظام القرابة الذي يعتمد عليه التنظيم العائلي والتي بدورها تحافظ على ترابط القبيلة في بوادي المغرب الأوسط<sup>2</sup>.

### ثالثا: خصائص المجتمع البدوي في المغرب الأوسط

بما أن المجتمع البدوي عاشت فيه شرائح مختلفة لا بد أنها ساهمت في الحياة الاجتماعية أثرت وتأثرت فنتج عن ذلك مجموعة من العادات والتقاليد المختلفة وهي كالتالي:

#### أ- الحرية الاجتماعية:

لقد تمتع المجتمع البدوي بحرية كبيرة إذ اقتربت من الفوضى في بعض الأحيان وذلك من خلال ما ورد عند البيدق وابن القطان واللدان يوضحان نوع الحرية التي تمتعت بها المرأة . فكانت تختلط بالرجال وتسفر عن وجهها<sup>3</sup>، وحتى الصبيان يتشبهون بها فلما دخل ابن تومرت<sup>1</sup> بجاية (514هـ-1120م) "لقي بها الصبيان في زي النساء بالصفائر والأخراس والزينة والشواشي والحز وألقى الأرذال قد فتنوا بذلك وانهمكوا"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> عبد الكريم جودت: المرجع السابق، ص252.

<sup>2</sup> عميور سكيبة: المرجع السابق، ص234.

<sup>3</sup> عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص230.

ولما حل عيداً رأى فيه اختلاط الرجال بالنساء والصبيان المتزينين المتكحلين مالا يحل<sup>3</sup> فتدخل بعصاه لتفريق جمعهم<sup>4</sup>، ويذكر البيدق من جهته أن ابن تومرت كان ينهى الناس عن الأقراق والزراية وعمائم الجاهلية ولباس الفتوحيات ويقول: "لا تتزينوا بزي النساء لأنه حرام وييسخ الطيب للرجال والنساء"<sup>5</sup>. أما بالنسبة لوسائل الترفيه فكانت الموسيقى في المغرب الأوسط متأثرة بالموسيقى الأندلسية والإفريقية ينشطها الأمراء فيتخذون في مجالسهم المغنين والمغنيات<sup>6</sup>.

#### ب- التسامح:

عرف المجتمع البدوي سياسة التسامح مع أبناء الطوائف المذهبية دون أن يفقدوا أنفسهم<sup>7</sup> توفرت لهاته الفئات مختلفة الأجناس الأمن والاستقرار فسمحوا لهم بحرية الأديان وممارسة التقاليد كما حرصوا على معاملتهم معاملة الحسنة فكانوا يحفظون حقوقهم<sup>8</sup>.

### 1- العادات والتقاليد في بادية المغرب الأوسط:

تميزت بوادي المغرب الأوسط بعاداتها المتنوعة والمختلفة فيما بينها فقد أوضحت كتب النوازل العديد من العادات والتقاليد المتعارف عليها في البادية والتي نشأ عليها أهل البدو ككيفية الاحتفال بالمواسم والأعياد، ومراسيم الجنازة، ولباسهم، وستتطرق لهذا كلاً على حدا.

<sup>1</sup> المهدي بن تومرت: أبو عبد الله بن عبد الله بن تومرت، صاحب دعوة عبد المؤمن بن علي بالمغرب وكان ينسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما: وهو من جبل السوس في أقصى بلاد المغرب واجتمع بابي حامد الغزالي في رحلته. توفي منتصف ق 06هـ 12م؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ص ص 46، 47.

<sup>2</sup> ابن قطان المراكشي: نظم الجمان (لترتيب ما سلف من أخبار الزمان). تح وتقي: محمود علي مكّي، دار الغرب الإسلامي، ط: 2، د.ت، ص 93. ينظر: الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج 2، ص 387. ليفي برونفيسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ت: عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي و لطفي عبد البديع، مؤسسة الشباب الجامعة، الإسكندرية: 1990. ص 271.

<sup>3</sup> موسى لقبال: الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي (نشأتهما وتطورها). الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط: 1 ديسمبر 1971، ص 50. ينظر: عبد الحليم النجار: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت (الحركة الموحدية بالمغرب والأندلس أوائل ق 9هـ). ط: 1415/1995، المعهد العالي للفكر الإسلامي هيردن فرجين، ص 63.

<sup>4</sup> أبي بكر الصنهاجي المكثي بالبيدق: أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين. تر وتحي: ليفي برونفيسال، بولس كنتر الكتي، باريس 1928، ص 52.

<sup>5</sup> نفسه، ص 36.

<sup>6</sup> مبارك بن محمد المليي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر، مكتبة النهضة الجزائرية، (د.ت)، ص 780.

<sup>7</sup> عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 231.

<sup>8</sup> مبارك المليي: المرجع السابق، ص 777.

## أ- الزواج:

يتضح من نوازل النكاح العديد الحقائق المتعلقة بالحياة الأسرية، فالزواج في البادية كان يتم في كثير من الأحيان بين الأقارب فقط وبين أفراد القبيلة الواحدة، فمثلا سئل عن رجل قال لابن عمه تزوج فلان فلانة أخت القائل المذكور<sup>1</sup>، كما أن الزواج في البوادي لا يتم لجمال ولا مال<sup>2</sup>، والمهر فيها لا يذكر في جلسة عقد النكاح ويتفق عليه قبلها، وربما على حسب استطاعة كل شخص<sup>3</sup>، ومن عاداتهم كذلك أن العروس تجهز من قبل والدها، وتبين ذلك إحدى النوازل أن هناك من الآباء من كان يهب ابنته في صغرها بعض الهبات والعطايا لتجهيزها فهناك إشارة لرجل وهب ابنته خمسون رأسا من الغنم من أجل هذا الغرض<sup>4</sup>.

أما الاتفاق على موعد الزفاف فإنه يتم بعد الانتهاء من إعداد الجهاز ومن المتعارف عليه أن يقوم الزوج بإرسال هدية من جزور أو لحم إلى بيت والد العروس لكي يعدوا طعاما يأكل منه أقارب العروسين ليلة الزفاف<sup>5</sup>، وفي بعض الأحيان كان والد العروس يشترط على زوج ابنته أن تكون الهدية قبيل الزفاف عبارة عن ثورين أو ثور وكبش وتعتبر ملكا للزوجة ولها الحق في التصرف فيها<sup>6</sup>، ويذكر الونشريسي أن الزوج كان يرسل مالا للعروس تستعين به لشراء ما يلزمها قبل الزفاف الزفاف ويسمى حق العروس وكانت تشتري به بعض المقتنيات من طيب وحناء وتكثري الحلي التي تنزين بها ليلة الزفاف<sup>7</sup>.

وتحدثت بعض النوازل الأخرى عن حفل الزواج الذي كان ينقسم إلى حفلين أحدهما يتم نهارا للرجال وآخر ليلا للنساء، وفي كل منهما يقومون بالرقص والغناء وإلى غير ذلك، ويبين

<sup>1</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج4، ص102.

<sup>2</sup> نفسه، ج3، ص160.

<sup>3</sup> نفسه، ج3، ص160، 248.

<sup>4</sup> نفسه، ج3، ص246.

<sup>5</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص129.

<sup>6</sup> نفسه، ج3، ص43، 46، ومن العادات أن يقوم والد العريس بشراء ما يلزم من ملابس وكتان وحرير وحلي وأدوات الزينة، مع قمح وسمن وعسل، ونصف ثور من اللحم ويحمله إلى أهل العروس، هذا إلى جانب ما يقدمه العريس لزوجته قبل الدخول بها من الحناء والعسل والسمن، أنظر مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص231.

<sup>7</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص130.

الونشريسي إن من عادات أهل البوادي التهادي في الأعراس وتكون الهدية بينهم بالدرهم والدنانير، وبعض الطعم كالزيت والقمح والشعير والفاكهة<sup>1</sup>.

وتشير بعض النوازل الأخرى أن العروس تقوم بتزيينها المشاطة ليلة الزفاف ومن وسائل التجميل دهان جسدها ووجهها ببعض الطيوب والأصباغ التي تظهر جمالها وكل حسب مقدرته<sup>2</sup>.

وعن ولي البنت إذا توفي والدها ذكر في النوازل أنه يتولى تزويجها عمها، أما إذا كان لها أخ بالغ عاقل فهو أولى بعقد نكاحها<sup>3</sup>.

وتفيدنا بعض النوازل بأن بعض طالبات الزواج في قرى المغرب من وصفن بأنهن من أهل التهم والدناءة في قدرهن وليس لهن ولي، كان يقصدان أمام مسجد القرية ليتولى تزويجهن دون إذن من قاضي الحاضرة، وذلك على أساس أن صلاح شأنهن يتم بالزواج، أو يهاجرن من القرية إلى الحواضر المجاورة حيث يعللن التوبة في الجامع، وكان القضاة وأهل الفتوى يأذنون لهن بالزواج بعد إثبات أنهن طارئات على الموضع ويصدقن بأن ليس لهن أزواج<sup>4</sup>.

وتشير بعض النوازل أن أهل البوادي حرموا النساء من الميراث وذلك منذ القرن الخامس هجري / الحادي عشر ميلادي إلى عصر الونشريسي أي العاشر هجري / السادس عشر ميلادي، وحرّم النساء من الميراث لكي لا تخرج أملاك الأسرة خارجها، وربما لأجل هذا كان الزواج بين الأقارب<sup>5</sup>، وكذلك كان من عاداتهم أن الزوج يتصرف في أملاك زوجته، كم أوضحت بعض النوازل أن العرب اعتادوا على أن تنكح المرأة لملها<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص251، ج9، ص181-182.

<sup>2</sup> نفسه، ج3، ص287، ج11، ص145.

<sup>3</sup> نفسه، ج3، ص120، 124، 188.

<sup>4</sup> نفسه، ج3، ص121، 200، 230.

<sup>5</sup> نفسه، ج11، ص293.

<sup>6</sup> نفسه، ج4، ص254.

### ب- الاحتفال بالمواسم والأعياد:

مع تسليمنا أن المجتمع البدوي كان يتمتع بالحرية والتسامح الديني إلا أنهم كانوا يقومون بالشرائع الإسلامية كالصلاة والصيام والأعياد الدينية، فالأمير حماد مثلاً: كان يصوم ثلاثة أشهر في السنة ويمتنع عن شرب الخمر<sup>1</sup>.

ويذكر الغبريني أن بجاية كانت تضم اثنان وسبعون مسجداً وأهلها يحيون ليلة السابع والعشرون بمسجد القصبة<sup>2</sup>. كما أن الأمراء اهتموا ببناء المساجد بدليل أن مصلى قصر المنار الذي اكتشفه رشيد بورويبة سنة 1986 هو أصغر مسجد في العالم الإسلامي وهو المسجد الجزائري الوحيد التابع لقصر وزخارفه لا مثيل لها في الفن الإسلامي.

كما عرف أهل كتامة بحسن الضيافة والكرم<sup>3</sup>، ويبدو أن هاته الأعياد والمناسبات كانت تحظى باهتمام أمراء الدولة بدليل أن قصر أميمون ببجاية كان يضم قاعة خاصة بالاحتفالات<sup>4</sup>.

يحتفل أهل البوادي بمناسبة المولد النبوي فتعد أنواع متعددة من الأطعمة، وتقاد الشموع في الكتاتيب، ويجتمع المعلمون والصبيان لصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام وتلاوة القرآن، وإنشاد بعض القصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ويجمع النساء في البيوت ويقدن الشموع<sup>5</sup>، وعمل الفقهاء على الترويج لهذه العادة والاحتفال بها والحث على الاجتماع في المساجد والزوايا والصلاة على الرسول عليه الصلاة والسلام وتلاوة القرآن والصدقة في السر من الأطعمة المحضرة وإفطار يوم المولد النبوي لأنه مناسبة من المناسبات التي يساعد فيها الفقير والمسكين<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ص143.

<sup>2</sup> الغبريني: المصدر السابق، ص140..

<sup>3</sup> الشريف الإدريسي: المغرب وارض مصر والسودان والأندلس، ص99.

<sup>4</sup> صالح بن قرية: تاريخ مدينة المسيلة وقلعة بني حماد، ص223.

<sup>5</sup> الونشريسي: ج 11، ص279، 287/ ج 12، ص48-49، كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص26، احتفل بمولد النبي عليه الصلاة والتسليم لأول مرة في عهد الأيوبيين في القرن 7هـ/13م، وانتقل إلى المغرب على يد الصوفي أبي العباس العزني خلال النصف الثاني من القرن 7هـ/13م وقر رسمياً سنة 691هـ/1292م بقرار من السلطان أبي يعقوب المريني، بينما تأخر الاحتفال به في تلمسان نحو نصف قرن من الزمن، كما لم يتم إقراره بإفريقيا إلا مع نهاية القرن 7هـ/13م. انظر: مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص242.

<sup>6</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج10، ص278-288.

أما بالنسبة لشهر رمضان يكلف مجموعة من العدول لرصد طلوع الهلال فإذا ثبتت رؤيته في قرية من القرى يقوم سكانها بإشعال نار لإخبار باقي القرى المجاورة بدخول شهر رمضان فيصوموا من غدهم، وكذلك يفعل لرصد هلال عيد الفطر وتحضر أطعمة مختلفة ومتنوعة للاحتفال بالعيد<sup>1</sup>.

ويحتفل بالعيد الأضحى يوم العاشر من ذي الحجة، فيسعى كل واحد من سكان البادية لاختيار أضحية العيد التي لا يجد بعضهم مشقة في توفيرها على اعتبار أن أغليبيتهم كانوا يملكون قطعاً من الماشية والأبقار، وجرت العادة أنه بعد الانتهاء من الصلاة يقوم الإمام الذي صلى بالناس بذبح الأضحية أولاً ثم يضحى الناس من بعده كما أفق بذلك علماء المالكية<sup>2</sup>، غير أن الملفت للانتباه أن العديد من أسر القبائل البربرية يفضلون الأبقار والماعز عن بقية المواشي، ويتعاون الأهل في عملية الذبح والسلخ<sup>3</sup>.

ويعد يوم عاشوراء من الأيام التي يحتفل بها المسلمون فيعدوا ما لذ وطاب من المأكولات المختلفة والمتنوعة وحييون هذا اليوم بالعبادة والصدقة وأعمال الخير<sup>4</sup> ونهى الفقهاء عن كثرة التبذير والتبذير وتبديد الأموال خاصة في الأطعمة فمثل هذه الأفعال تفقد المناسبة روحها وتفسد عبادتهم وتلهيهم عن ما هو أصح بأن يقوموا به، وحتى لا يكلف الناس أنفسهم بأشياء هم غنى عنها ولا حاجة لهم بها، ولكي لا تكون بدعة متداولة بينهم. كذلك كان يحتفل بختان الأطفال فيقيمون مأدبة يدعى لها الأهل والأقارب<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج10، ص419؛ كمال السيد: المرجع السابق، ص26، ويقومون في العيد بتبادل الزيارات بين الأقارب، وارتداد المقابر للترحم على الموتى، ويلبسون أبهى ما يملكون، وينادى في الناس ليلة العيد أن تخرجوا لصلاة من طريق ويعودوا من طريق أخرى التزاماً بالسنة النبوية. انظر: مفتاح خلفات: السابق، ص240.

<sup>2</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج2، ص32.

<sup>3</sup> نفسه، ج2، ص36؛ مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص241.

<sup>4</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج10، ص284؛ مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص242.

<sup>5</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج11، ص92.

### ج- المشكلات الأسرية:

تفيد بعض النوازل بحدوث مشاكل أسرية بسبب الطلاق والميراث، كان يحدث كثيرا ولأسباب بسيطة، ويطلقها مرة واثنين وثلاث في وقت واحد لدرجة لا يعرف كيف تحسب، مثلا سئل عن رجل أمر أولاده بسقي الزرع فامتنعوا فقال الرجل المذكور لزوجته أم أولاده المذكورين أن أعطيني لهم خبزا في هذا البيت هي طلقتك وخروجك من هذا البيت فبقي الأولاد إلى اليوم الثاني من ذلك اليوم فاتوا أمهم في غيبة أبيهم، فاستطعموا فطبخت لهم خبزا وأكلوا ثم ذهبوا لزرع وسقوه، فقدم الرجل والدهم المذكور، وقال لزوجته قومي والحقي بأهلك<sup>1</sup>، وسئل عن رجل من أهل البادية ذكر أنه حلف على زوجته بالطلاق في شيء أحنته فيه<sup>2</sup>، وكما كان هناك تعدد الزوجات وهروب الزوجات إلى المدن من قسوة البادية والرجال<sup>3</sup>، ولحت بعض النوازل والفتاوى إلى عدم العدل بين الزوجات حيث قام رجل له زوجتان فأعطى لأحد زوجاته وبنيتها نصف الدار والأرض والماشية واشهد عليه شهود وبعد وفاته تنازع الأبناء على الميراث، وكثير ما كانت تحدث النزعات في الأسرة بسبب مشاكل الميراث وتوزيعها<sup>4</sup>.

وتشير النوازل إلى خروج المرأة إلى السوق لبيع ما تصنعه من غزل وحنابل وكساء، ومواد تزيين<sup>5</sup>.

### 2- الطقوس الدينية في بادية المغرب الأوسط:

عرف المجتمع البدوي ظاهرة الإيمان بالأولياء الصالحين<sup>6</sup>، حيث كانت الأضرحة لها رموز ومعاني داخل المجتمع البدوي والذي تكثر فيه زيارة الأضرحة<sup>7</sup> ومما يؤكد تمسكهم بما قاله البكري

<sup>1</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج4، ص21-22.

<sup>2</sup> نفسه، ج4، ص45.

<sup>3</sup> نفسه، ج4، ص517، 523، ج4، ص485.

<sup>4</sup> نفسه، ج3، ص5، ج5، ص128.

<sup>5</sup> نفسه، ج2، ص499، ج1، ص423؛ المازوني: المصدر السابق، ج3، ص271.

<sup>6</sup> صالح بن قرية: تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد، ص223.

<sup>7</sup> عبد العزيز لعرج وآخرون: مساهمة الجزائر في الحضارة العربية. المركز الوطني للدراسات والبحث بالحركة الوطنية، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين وثورة وثورة أول نوفمبر، ص206.

عن أهل ندرومة: "وندرومة رباط حسن مقصود للتبرك به إذا سرق أحد أو أتى بفاحشة لم تتأخر عقوبته قد تعارفوا ذلك من بركته وحسن صنع الله"<sup>1</sup>.

ولقد قيل أن دور هذه الأضرحة كان يكمن في حماية المدينة وأطلق على بجاية اسم مكة الصغيرة حيث عرفت تسعة وتسعين واليا صالحا، ويقال أن لو زاد ضريح لأصبحت مقدسة<sup>2</sup>.

وربما كانت تقام احتفالات في هذه الزوايا والأضرحة مثل وقتنا الحالي<sup>3</sup>.

إن معظم الأضرحة الموجودة في البوادي بنيت في مواقع مرتفعة أي في أعلى الربوات والتلال والهضاب بعيدة عن المدينة. بحيث يمكن مشاهدتها في نقاط مختلفة ويبدو أن أصحاب هذه الأضرحة يختاروا هاته المواقع البعيدة عن المدينة حتى يتسنى لهم التبعد والابتعاد عن الحياة الاجتماعية وضوضائها. ومن بين الأضرحة البجاوية نذكر منها: ضريح سيدي معمر، سيدي عبد الحق سيد الصوفي، سيدي عبد الرحمان الصباغ، سيدي التواتي، سيدي عيسى وغيرهم<sup>4</sup>.

ويمكننا أن نسلط الضوء على ضريح سيدي التواتي على سبيل المثال: فهو يمثل جزء من المدرسة التي وجدت في العهد الحمادي في (القرن 5هـ-11م). وهو يقع شمال غرب هضبة تشرف على مدينة بجاية وقد اتخذ هذا الضريح شكل مربع قدرت مساحته ب18.38م أما الارتفاع 3.25م ويتوسط الضريح من الخارج قبة نصف كروية ملساء أما في الداخل. يحتوي على دخل يؤدي إلى غرفة مربعة الأبعاد 3.31م ويوجد على اليمين مدخل تابوت وإلى صالح سيدي التواتي مصنوع من الخشب استعملت فيه تقنية الخروط وهذا الضريح ملحق بالزاوية كان يحتوي في عهده على ثلاث آلاف يدرسون كل المواد بما في ذلك العلوم الفلكية<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> البكري: المصدر السابق، ص80.

<sup>2</sup> عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص222.

<sup>3</sup> صالح بن قرية: المرجع السابق، ص223.

<sup>4</sup> عبد العزيز لعرج وآخرون: المرجع السابق، ص207.

<sup>5</sup> عبد العزيز لعرج وآخرون: المرجع السابق، ص ص208، 209.

### - مراسم الجنازة:

من العادات والتقاليد المتصلة بالجنازة يشير الونشريسي أن الناس يقومون في جنازتهم بالجهر بالتهليل أمام الجنازة وذلك بالتصليّة والتبشير والتنذير على صوت واحد، وفي اليوم السابع يقيمون عشاء يسمى سابع الميت يصنعون فيه طعاما للقراء والفقراء والأقارب، ويستأجرون أحد القراء لتلاوة ما تيسر من القرآن على القبر<sup>1</sup>.

وفي اليوم الموالي يخرجون نساء أهله وأقاربه ومعهم نساء جيران إلى المقبرة، أما بالنسبة إلى المرأة التي توفي زوجها أو ولدها كانت تزور قبره كل يوم<sup>2</sup>، وكذلك كان الجيران يحملون الطعام إلى أهل الميت<sup>3</sup>.

### 3- الأطعمة والمشروبات:

لكل مجتمع أطعمة خاصة به وأكلات تطهى في بيوتهم ولا بد أن لأهل بادية المغرب ما يميزها من ذلك، وبالرغم من أن كتب النوازل تذكر أي نوع من المشروبات التي كان أهل البدو يتناولوها، إلا أننا نستنتج أن أهل البدو كانوا يتناولون الحليب كمشروب أساسي في كل وجباتهم، وذلك لما كانت توفره لهم البيئة، وبالإضافة إلى الحليب هناك الأشربة حصل عليها البدو من الطبيعة فكانت تصنع من النباتات كمشروب، وأيضاً من أجل العلاج من الأمراض التي كانت يصابون بها، ومنها ما يصنع من قشور وعروق النافع، وحبق و الترنج وغيرها من نباتات<sup>4</sup> ويصنع من التمر نبيذ النخيل المعروف باسم اللاقمي وكان أهل الجنوب يشربونه<sup>5</sup>.

أما بالنسبة للأطعمة فذكر سوى النادر القليل حيث لم تخرج عن المنتجات الزراعية والحيوانية التي تخطط بكيفيات متعددة وتحضر بأوجه مختلفة فتنتج مأكولات متنوعة شكل فيها

<sup>1</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج1، ص313-314؛ البرزلي: المصدر السابق، ج1، ص508، كمال السيد: المرجع السابق، ص27.

<sup>2</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج1، ص338؛ البرزلي: المصدر السابق، ج1، ص514؛ كمال السيد: المرجع السابق، ص27.

<sup>3</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج1، ص337.

<sup>4</sup> مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص235.

<sup>5</sup> برنشفيك: المرجع السابق، ص286.

القمح والشعير والحنطة وفواكه المواد الأساسية<sup>1</sup>، وخضر منها الكسكس بالسمن والعسل والبسيصة وشربة الفريك<sup>2</sup>، والعصيدة وثريد<sup>3</sup>، إلى جانب أنواع اللحوم منها لحم البقر والماعز والإبل ولاسيما أن أهل البدو كانوا يمتلكون قطعانا من الماشية بإضافة إلى إطباق من الأسماك خاصة و أن سواحل كانت تتوفر على أنواع متنوعة من الأسماك<sup>4</sup>، إلى جانب ما كانوا يصطادونه من الطيور منها طائر السماني الذي كان موجود بكثرة<sup>5</sup>. كما كانت تحضر المرأة في البادية أنواع من الحلويات الحلويات كالسمن، والفطائر بالمواد التي توفرت لها من بيض واللوز والتين المجفف والعسل والزيت والتمر والزبدة وغيرها من المواد<sup>6</sup>.

أما عن أصناف الفواكه التي كانت تزين مواعدهم نذكر منها التفاح والخوخ والتين والمشمش والسفرجل<sup>7</sup>، وكان من عادة أهل البدو أن يحفظوا ما يحتاجون إليه من مأكولات وثمار لسنة كاملة كاملة منها التين والعنب والجوز ويحفظون الرمان في أماكن خاصة إلى أوائل الربيع<sup>8</sup>.

#### 4- لباس أهل البادية:

لجأ الإنسان منذ القديم إلى تغطية جسمه فارتدى ألبسة مختلفة ومتنوعة حسب النمط المعيشي السائد، حتى أصبح مظهرها اعتياديا، ولهذا يعد ما يلبسه أهل البادية من العادات التي أوضحتها النوازل، فتحدثت عن اللثام عند المرابطين الذي ينشئون عليه منذ الصغر ويعتبر زيهم المميز<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> ابن حوقل: صورة الأرض، ص 77-84.

<sup>2</sup> مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص 243.

<sup>3</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج 1، ص 22، 15.

<sup>4</sup> مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص 234.

<sup>5</sup> نفسه، ص 234.

<sup>6</sup> برنشفيك: المرجع السابق، ص 285؛ مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص 235.

<sup>7</sup> ابن حوقل: صورة الأرض، ص 78.

<sup>8</sup> مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص 235.

<sup>9</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج 1، ص 220؛ كمال السيد: المرجع السابق، ص 41.

وذكرت أيضا العمامة<sup>1</sup> وهي غطاء يضعه الرجال على رؤوسهم، واختلفت طريقة وضعها فالأعراب اتبعوا في ذلك طريقة أسلافهم البربر الرحل حيث كانوا يلفون العمامة حول الرقبة ويمكن حبل الوريد قبل لفها حول رؤوسهم ثم يلثمون بطرف الباقي الذقن، ولا يعرف الفرق بين العمامة و الزمامة الزرقاء التي كان يلبسها الأعرابي، أما عامة الناس كانوا يضعون على رؤوسهم الشاشية، ويمكن أن يلبسها الأطفال أيضا وتصنع من الصوف<sup>2</sup>.

كما ذكر الكساء ولم يوضح ما هو، إلا أنه يصنع من الصوف وربما يقصد بالكساء كل ما يلبس على الجسم ولم يحدد بشيء معين<sup>3</sup>، ويضن بأنه البرنس، أما برنشفيك فذكر الكساء على أنه لباسهم الداخلي، وهو عبارة عن قطعة قماش مضلع يسدل طرفها على الكتف الأيسر<sup>4</sup>، كما عرف أن كسوة الرجال تنسج أغلبها من الصوف مثل البرنوس والجلابة وسروال الصوف<sup>5</sup>.

وعن ما يلبسه أهل البدو في أرجلهم ذكر في النوازل النعال وهو حذاء مصنوع من الجلد اختلف في تسميته بين نعال وخف وقبقاب<sup>6</sup>، وعلى خلافهم ميز بين الخف والنعال فيذكر أن الخف مصنوع من فلين أما النعال فيصنع من الجلد اللين وسعف النخيل<sup>7</sup>، ولم يذكر عن ما تلبسه تلبسه نساء البدو شيء غير أن بعض النوازل تحدثت عن أنواع الأقمشة من حرير وكتان، وأن لباس النساء في الأرياف يختلف بين الغنية والفقيرة فالمرأة الفقيرة تظهر وعليها نصف حبل وتحتة فوطة وبالعكس من ذلك فقد كانت النساء الريفيات من ذوات المنزل الرفيعة يتأنقن في لباسهن فيرتدن أقمصنة سوداء ذات أكمام عريضة عليها رداء يسمى ملاءة من نفس اللون أو أزرق يشدونه فوق كتفين بواسطة حلقات من فضة مصنوعة بمهارة، وغطين وجوههن ببرقع مثقوب في مكان العين، أما بالنسبة إلى المجوهرات فهي الخرصان، والخواتم، والخلاخل، والأساور المصنوعة

<sup>1</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج 1، ص 27.

<sup>2</sup> برنشفيك: المرجع السابق، ج 2، ص 292.

<sup>3</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج 2، ص 35، المازوني: المصدر السابق، ج 1، ص 365، 370.

<sup>4</sup> برنشفيك: المرجع السابق، ج 2، ص 289.

<sup>5</sup> مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص 236.

<sup>6</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج 1، ص ص 13، 16، 23.

<sup>7</sup> برنشفيك: المرجع السابق، ج 2، ص 293.

أحيانا من الذهب وفي الغالب من الفضة وهي علامة من علامات الثروة، ووسيلة أيضا من وسائل الإدخار<sup>1</sup>.

## 5- مساكن أهل البادية:

كان سكان المغرب الأوسط يسكنون في منازل مختلفة حسب المناطق والبيئات فأهل القلعة وتبسه كانوا يسكنون في دور مبنية بالحجر وبالطوب ناحية الزاب<sup>2</sup>.

أما البدو الرحل فكانوا يسكنون خيمة وهذه الأخير تشبه الخيمة المعروفة في العصر الحديث<sup>3</sup>، وبالنسبة لزناة فيذكر ابن خلدون (ت 808هـ/1405م) كانوا كالأعراب يتخذون الخيام مساكن لهم ويرون الإبل والخيول<sup>4</sup>، أما الطبقة الحاكمة فلا بد أنها كانت تسكن في القصور التي شيدها الأمراء كقصر أميمون واللؤلؤة وبلازة وغيرها<sup>5</sup>، ومن العناصر الأساسية التي كانت توضع في البيت الخزانة التي تكتنز فيها الفضة والحلي والكثير من الأشياء<sup>6</sup>.

## 6- الأوضاع الصحية ببوادي المغرب الأوسط:

يعتبر الوضع الصحي من المؤشرات الهامة لمعرفة المستوى المعيشي للسكان في أية بقعة من الأرض، سواء كانت مدينة أو بادية وبالرغم من أننا لا نملك معلومات كثيرة عن الوضع الصحي ببادية المغرب الأوسط، لشح المادة العلمية في هذا الموضوع، إلا أننا حولنا استخلاص بعض الشذرات من هذا المصدر وذلك.

<sup>1</sup> برنشفيك: المرجع السابق، ج2، ص294، مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص293.

<sup>2</sup> رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص163.

<sup>3</sup> الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص213.

<sup>4</sup> ابن خلدون: المصدر السابق، مج7، ص03.

<sup>5</sup> الغبريني: المصدر السابق، ص117.

<sup>6</sup> الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص214.

والواقع أن الوضع الصحي لأية منطقة له علاقة وطيدة بطبيعة هوائها من جهة، وكذلك بالأغذية التي يتناولها السكان، بالإضافة إلى أسباب أخرى كالحشرات والحيوانات السامة والمجاعات والأوبئة.

يعتبر الهواء من بين الأسباب الهامة التي كانت تؤثر على سكان بادية المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، فيذكر البكري (ت487هـ/1094م)<sup>1</sup> بشأن مرسى الخرز بأنها "فاسدة الهواء يمتاز أهلها من غيرهم بصفرة ألوانهم"، وكذلك بونة "يصح بها السودان ويسقم البيضان"<sup>2</sup>، ومن المناطق التي اشتهرت بهوائها الفاسد كذلك نجد تنس التي كانت وبية "ومن يدخنها لا يسلم من المرض، وكثيرا ما يموت بها الغرباء"<sup>3</sup>.

وبالرغم من أن هذه الإشارات مقترنة بالمدن، لكن الهواء ليس شيئا ثابتا، وإنما ينتقل من منطقة الضغط المرتفع إلى مناطق الضغط المنخفض، فبدون شك أن المناطق البدوية القريبة من هذه المدن كانت هي الأخرى رديئة وتؤثر على المكان فيصابون بالأمراض، وكثيرا ما نجد الهواء الرديء يؤثر بدوره على عناصر الحياة الأخرى التي لا تقل أهمية عن الهواء، ولعل أهمها هو الماء إذ يذكر القزويني<sup>4</sup> عن تنس أن "هواءها رديء وماءها رديء" وكذلك كانت بلاد أريغ "رديئة الهواء وقلة طيب الماء"، لذلك كان الشيخ أبو عبد الله يخرج بتلاميذه إلى وادي مزاب لتقوية أجسادهم<sup>5</sup>.

لقد شكلت الأمراض وكيفية علاجها والتعامل مع المريض، من انشغالات الفقهاء في نوازلهم<sup>6</sup>، والسكان على السواء ولعل إشارة المصادر لكيفية استخدام بعض الأعشاب من قبل البدو خلال هذه الفترة، دليل واضح على أن هؤلاء قد بلغوا درجة لا بأس بها في علاج المرض

<sup>1</sup> المغرب، ص 55.

<sup>2</sup> نفسه.

<sup>3</sup> مجهول: الاستبصار، ص133؛ الحميري: الروض المعطار، ص 138.

<sup>4</sup> نفسه، ص 173.

<sup>5</sup> الدرجيني: طبقات المشايخ، ج 4، ص184.

<sup>6</sup> الونشريسي: المعيار، ج 1، ص302.

آنذاك، وكانت هذه الأعشاب تنمو في المناطق الجبلية للمغرب الأوسط والتي مصدرها البادية بالأساس.

يذكر الإدريسي (ت548هـ/1159م) أنه ببلاد القلعة، جبل يسمى تاقريست، به الكثير من نبات القوليون الحرافي، وكان السكان يشربون هذه النبتة للتحصن من لسع العقارب السود القتالة<sup>1</sup>، كما بجبل ميسون بشمال بجاية، به جمل من النبات المنتفع به في صناعة الطب، مثل شجر الحضض، والسقولو فندوريون والبارباريس والقتطاريون الكبير والزراولد، والقسطون والافستين أيضا، وغير ذلك من الحشائش<sup>2</sup>، ومن المؤكد أن سكان البادية كانوا يعرفون تصنيع الأدوية من مستخلصات هذه النباتات.

ومن جهته صاحب كتاب الاستبصار<sup>3</sup> يذكر بأن: ((مليانة قرية من أشير وهي حصينة، في سفح جبل نكار وشعراء هذا الجبل كلها ريحان))، كما كانت بالطريق الرابطة بين أشير ومرسى الدجاج تمر قرية شعبة، ثم من فج يمتد خلفه سهل فسيح تلتقط في أرضه جذور الغريب، وهي مادة مخدرة تصدر إلى بعيد<sup>4</sup>، وربما هي الكافورية التي ينتفع بجذورها<sup>5</sup>، ونجد أن الحلفاء أيضا كانت تستعمل لعلاج بعض الأمراض<sup>6</sup>، كما استعمل المغاربة النبق لمداواة الإسهال الشديد والذي يعرف بمرض الزرب<sup>7</sup>.

هذا وقد زحرت المناطق البدوية بأعشاب طبية أخرى مثل النبات المسمى "أطربلال"، وكان يستعمل لعلاج البهق<sup>8</sup>، أما بزر هذه الحشيشة فتستعمل في علاج البرص<sup>9</sup>، أما نبات الارحنقة

<sup>1</sup> نزهة المشتاق، ص156: انظر أيضا: الحميري: المصدر السابق، ص 169.

<sup>2</sup> الإدريسي: المصدر السابق، ص 160، 161؛ الحميري: المصدر السابق، ص 80.

<sup>3</sup> مجهول: المصدر السابق، ص 176.

<sup>4</sup> الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، ج2، ص96.

<sup>5</sup> محمد الطمار: المرجع السابق، ص153.

<sup>6</sup> جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 55.

<sup>7</sup> ابن قنفذ: أنس الفقير، ص 133.

<sup>8</sup> ضياء الدين بن عبد الله بن أحمد الملقب ابن البيطار (ت646هـ/1248م): الجامع لمفردات الأدوية ج1، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1991م، ص6.

<sup>9</sup> ابن البيطار: المصدر السابق، ص 7.

والمسمى عند الصباغين بالارجيقن، وكان ينبت بأحواز بجاية وسطيف، وكانت هذه النبتة تذهب اليرقان مطبوخا بالزبيب والعسل<sup>1</sup>.

ومن النباتات الطبية أيضا نجد تاكوت، وأهل المغرب يسمونه حب الأثل وكان متواجدا بالمغرب الأوسط<sup>2</sup>، وتامساورت ويسمى بالمو أو كمون الجبل، كان متواجدا ببجاية، وكما أشرنا في المبحث الخاص بالحرف عن تواجد معدن اللازورد، وهو يسقط الثآليل حملا وحكا<sup>3</sup>.

كما كان حجر الإثمد وهو الكحل الأسود، وينفع العين اكتحالا ويقوي أعصابها ويمنع عنها الكثير من الآفات والأوجاع، لا سيما الشيوخ والعجائز، وينفع من حرق النار ويقطع النزف ويمنع الرهاف<sup>4</sup>، وهذا العرض العام يؤكد مرة أخرى على أن أهل بادية المغرب الأوسط كانوا على درجة كبيرة من التطور والرقي، وكانوا يغطون حاجاتهم الذاتية بمنتجات بيئتهم وبما تجود به الطبيعة من مختلف المنتوجات.

---

<sup>1</sup> ابن البيطار: المصدر السابق، ص 9.

<sup>2</sup> نفسه، ص 183.

<sup>3</sup> سراج الدين أبو حفص عمر ابن الوردي: جريدة الغرائب (الجامع لما هولطرف الدهر حور ولجيد الزمان، مطبعة الهمام القاهرة، مصر، 1303هـ، ص 90.

<sup>4</sup> نفسه، ص 91.

## الفصل الثالث: خلفيات وأثار الأنماط الاقتصادية والاجتماعية على السلوك والذهنية في بادية المغرب الأوسط

أولاً: خلفيات وأثار الأنماط الاقتصادية على السلوك والذهنيات

- 1- انعكاسات وأثار الأزمات الطبيعية والسياسية على العقلية البدوية
- 2- تأثير المستوى المعيشي على ذهنية أهل البادية
- 3- انعكاسات نظام الجباية على ذهنية أهل البادية

ثانياً: خلفيات وأثار الأنماط الاجتماعية على السلوك والذهنيات

- 1- انعكاسات المعتقدات الدينية على ذهنية أهل البادية
- 2- تأثير الموروث الوثني في الممارسات الدينية لأهل البادية
- 3- انعكاسات العادات والتقاليد على ذهنية أهل البادية
- 4- انتشار السحر والخرافات
- 5- الإيمان بخوارق وكرمات الأولياء
- 6- تأثير الهجرة على ذهنية أهل البادية

مرت الكتابة التاريخية بالمغرب بمراحل مختلفة، تميزت كل مرحلة منها بسمات وخصائص معينة، سواء من حيث اختلاف المواضيع المعالجة أو من حيث الرؤى والمقاربات والأدوات المنهجية الموظفة<sup>1</sup>.

وعندما نتبع المراحل التي قطعها الباحثون الأكاديميون في استعمالهم لمعطيات مستخلصة من كتب التاريخية، نلاحظ أن تلك المراحل ارتبطت ارتباطا وثيقا بتطور البحث التاريخي عامة، وبتطور المناهج والاتجاهات الفكرية، فبعد أن كان التاريخ بنفحاته التقليدية، التي لطالما قدمت في اهتماماتها شخصيات من علية القوم كالملوك والقادة العسكريين والسياسيين... وهيمنة الحدث السياسي والعسكري من حروب ومعارك وغلب على التحليل عاملا السرد والوصف التاريخيين أي الإهتمام بالتاريخ المدوي، قد انتقل به النضوج المعرفي إلى البحث فيما هم جديد في شخصيات وعناصر تاريخية تناستها الكتب التقليدية وهمشتها المدونات فكان التطرق لها عفويا، الأمر الذي حفز جملة من الباحثين للخوض فيها وطرقها من باب البحث<sup>2</sup> والتنقيب فيما هو مهمش أو ما عرف بفتات التاريخ، أنه تاريخ العقلية والذهنيات<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> حسين عماري: "حدود إسهام الدراسات الإفريقية في كتابة تاريخ المغرب الحديث -قراءة وملاحظات أولية-"، مجلة كان، ع11/ مارس 2011، ص31.

<sup>2</sup> وتماشيا مع ما عرفته القارة الأوروبية خلال القرن التاسع عشر (قرن العلوم) عرفت الكتابة التاريخية ما يمكن أن نصفه بالتناول على القوالب الجامدة من داخل حقل المعرفة التاريخية، حيث سيعرف هذا القرن ميلاد أول مدرسة منهجية في تاريخ الكتابة التاريخية الأوروبية "المدرسة الوضعية الألمانية 1870م"، التي اعتبرت بمثابة أولى الثورات السبابة إلى الرفع من شأن التأريخ، مؤسسوها بقيادة كل من "شارل لنجلو" و"شارل سينيوبوس" حيث حاولا تحرير الكتابة التاريخية من قبضة الرهبان وغايات الكنيسة، واشترطوا في ذلك مجموعة من القواعد جاعلين في مقدمتها شعار "لا تاريخ بدون وثيقة"، كضرورة لا غنى عنها. كما شهدت فرنسا محطة منهجية ثانية في مسار الكتابة التاريخية، عرفت في المصادر التاريخية ب "مدرسة الحوليات" (تاريخ الأفكار والذهنيات)، هدفت المدرسة الفرنسية بقيادة كل من "لوسيان فيفر" و"مارك بلوخ" إلى كسر كل الحواجز التي خلفتها التجربة الوضعية، والتي حالت دونها تلاقح التاريخ بالمعارف والعلوم المجاورة التي كل بتجربتها، قواعدها وكذا نظرياتها... ستمكن من إضافة الكثير للحقل التاريخي. ليموت مع هذا الانفتاح شعار "لا تاريخ بدون وثيقة"، وأصبح التاريخ ملامسا للعديد من التخصصات المساعدة، ينظر حول هذا: خالد طحطح: الكتابة التاريخية، الدار البيضاء، دار توبقال، 2012م؛ محمد حبيدة: كتابة التاريخ، قراءات وتأويلات، الرباط، دار أبي رقراق، 2013م.

<sup>3</sup> جاك لوغوف: التاريخ الجديد، تر: محمد الطاهر المنصوري، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2007م./ فرانسوا دوس، التاريخ المفتت، من الحوليات إلى التاريخ الجديد، تر: محمد الطاهر المنصور، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2009م.

## أولا/خلفيات وأثار الأنماط الاقتصادية على السلوك والذهنيات:

### 1- إنعكاسات الأزمات السياسية و الطبيعية على عقلية وذهنية أهل البادية :

تجمع المصادر أن هناك عوامل عدة ساعدت في إضعاف اقتصاد البلاد المغربية وأنهكت المجتمع، ككثرة الفتن السياسية والكوارث الطبيعية المتنوعة بانتشار الأوبئة والأمراض الأمر الذي أدى إلى تعطل الحياة الاقتصادية، فحدوث أزمات اقتصادية أدى إلى تأثيرات نفسية على أساس أن المال والاقتصاد ملاذ البشر وسنحاول من خلال هذا المبحث التركيز على أبرز تلك المظاهر وأهمها كنماذج للتدليل على سوء سير الحياة العامة عند حدوث هذه الأزمات.

### أ- الحروب:

من المهم أن نشير هنا أنه ليس بالأهمية القصوى رصد كرونولوجيا الحروب و الاضطرابات السياسية بقدر ما يهمنا حجم الأضرار والخسائر المادية والبشرية التي أعقبت تلك الأحداث.

فمثلا بقدوم الفاطميين لبلاد المغرب وتوطيد قوتهم بالاستيلاء على مناطق نفوذ الأغالبة<sup>1</sup>، وكذا تقويضهم لسلطة الرستميين وعاصمتهم تاهرت<sup>2</sup>، تلتها حرب ومقاومة طويلة شنيعة لم تجلب لبلاد المغرب سوى الخراب والدمار والقتل والتشريد، وهي ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الأنصاري ومناصريه الزناتيين ضد الوجود الفاطمي بالمغرب، فتشير بعض المصادر إلى أن "عدة ما خرب على يديه في افريقية ثلاثون قرية"<sup>3</sup> وبإمكاننا أن نتصور حجم الأضرار التي لحقت بالعمران من تخريب ودمار، خاصة وأن هاته الحروب التي خاضها الفاطميون من جهة والزناتيون من جهة أخرى استعمل فيها الطرفين وسائل متنوعة من الأسلحة والعتاد<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> عماد الدين إدريس: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ص138.

<sup>2</sup> الدرجيني المصدر السابق، ج1، ص94.

<sup>3</sup> نفسه، ص101.

<sup>4</sup> ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص308.

لا شك الحروب التي شهدتها المغرب الإسلامي كان المنتصر فيها يحوز على غنائم كثيرة ومتنوعة كالسبي، وحسبنا في ذلك ما أشار إليه القاضي النعمان إلى الطريقة التي طبقها جيش أبي عبد الله الشيعي فيقول: "وكان يخرج إليهم العساكر في أوان زراعتهم، فيأتي عليها فعل ذلك بهم ثلاث سنين حتى انقطع الطعام من أيديهم<sup>1</sup>. ومن هنا يمكن القول أن سياسة الجيش كانت تستهدف تجويع الأهالي ومن ثم يسهل إخضاعهم، فتضيق أحوالهم الاقتصادية فيكون الهالك منهم بالجوع أكثر من الهالك منهم بالقتل. وبالتالي فقد شكلت مرحلة الغزو المنظم لبلاد المغرب والتي غالبا ما يجني المنتصر فيها على الأموال والمواشي والسبي، كما حدث أثناء اجتياح الخليفة المنصور بالله ديار زناتة في 335هـ/ 946م فسبي نسائهم وذرا ربهم وأخذ ما لهم من الجمال والخيول ما يفوق العد حسب قول ابن حماد<sup>2</sup>.

كما أن السكان عانوا في بعض المناطق من وطأة الحصار المفروض عليهم سوء من قبل الجيش الفاطمي أو من قبل أبي يزيد وجنوده، إذ تجلت نتائجه في تدهور أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية، لما يقع من تخزين للأقوات، التي كانت تذهب بصفة مباشرة لتموين الجيوش على حساب معاناتهم، فتتذر مع ذلك المواد الغذائية في الأسواق وحتى وإن وجدت في بعض الأحيان، فإنها كانت تفوق قدرتهم الشرائية خاصة ذوي الدخل الضعيف منهم، فلا شك أن بعضهم كان يقع فريسة للجوع، وقد كتب ابن حمدون عامل المسيلة إلى أبي القاسم الفاطمي بشأن بثروات هذه المدينة فيشير هذا الأخير إلى إدخارها إلى حينها<sup>3</sup>، وتشير بعض المصادر إلى البلاء الذي أصاب بعض المناطق جراء سياسة التجويع حيث ورد أنه عظم البلاء على الرعية حتى أكلوا الميتة والدواب والكلاب<sup>4</sup>.

غير خاف أن المغرب الأوسط في نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع الهجريين كان خاضعا للدولة الموحدية، التي دخلت طور الاحتضار السياسي والتي شهدت مجموعة من الأزمات والكوارث في الفترة المشار

<sup>1</sup> أبو حنيفة بن محمد التميمي المغربي النعمان (ت 363هـ/ 973م): افتتاح الدعوة، تحقيق: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، (د ت)، ص 178.

<sup>2</sup> ابن حماد: المصدر السابق، ص 32.

<sup>3</sup> ابن الأثير: الكامل، ج 6، ص 238.

<sup>4</sup> ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص 57.

إليها<sup>1</sup>، فتعددت الحوادث التي عاشها المغرب الأوسط فمن احتلال بني غانية لبجاية إلى غزوة العقاب الشهيرة (609هـ - 1212م)، التي تضرر منها المغرب ككل ثم الصراع بين الإمارات الثلاث \_ الزيانية الحفصية والمرينية)، إضافة للفتن والثورات الداخلية من قبل القبائل المعارضة للسلطة، فضلا عن تحرشات النصارى بسواحل المغرب الأوسط وما نتج عنها من تبديد للأموال والأنفس .

انعكست سلبيات الأوضاع الاقتصادية العامة فساءت بذلك الأحوال وتدنى المستوى المعيشي بالمغرب الأوسط وبالمغرب على العموم.

### ب- المجاعات والأمراض:

وبسبب الحروب والإضطرابات الداخلية والسياسية التي شهدتها بلاد المغرب الإسلامي توالى عليها سنوات من المجاعة ، أودت بحياة الكثير من السكان والرعية وقد علق أحد المؤرخين على ذلك فقال: "حتى أنهم كانوا يعجزون معها عن دفن موتاهم"<sup>2</sup>، هذا وقد كان الجغرافي ابن حوقل(ت367هـ) شاهدا على سوء الأحوال الاجتماعية التي آل إليها سكان المغرب الأوسط فيصف مدينة تاهرت قائلا: " وقد تغيرت تاهرت عما كانت عليه، وأهلها وجميع من قاربها من البربر في وقتنا هذا فقراء بتواتر الفتن عليهم ودوام القحط، وكثرة الموت والقتل"<sup>3</sup>.

إن الحروب غالبا ما تؤدي إلى حدوث مجاعات وغلاء في الأسعار، فإن الحصارات وكمرحلة متقدمة في السياسة الحربية، كان الهدف أساسا من إقامتها هو إصابة الناس بالجوع ، وذلك ما فعله يوسف بن يعقوب المريني عندما حاصر تلمسان الحصار الطويل (698 - 706هـ / 1298-1307م) حيث يقوا ابن

<sup>1</sup> للإطلاع حول ذلك ينظر: محمد المغراوي: الأزمات الطبيعية وانعكاساتها على الدولة والمجتمع، ضمن: الموحدون وأزمات المجتمع، ط1، جذور للنشر، الرباط، 2006م، ص 155-193.

<sup>2</sup> أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي: الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري وخالد الناصري، الدار البيضاء، 1954م، ج1، ص191.

<sup>3</sup> ابن حوقل: صورة الأرض، ص93.

الأحمر(ت807هـ/1402م) عن ذلك: "وهو في ذلك يشدد عليهم الحصر ويقول: لأوصلنه عليهم حتى أقتلهم جوعاً"<sup>1</sup>، وكانت النتيجة حدوث مجاعة عظيمة بتلمسان شكتها العامة والخاصة.

ولم تسلم بوادي المغرب الأوسط من الحروب بل عانت الكثير من عمليات السلب والنهب التي تشمل المزروعات والأنعام من قبل الجيش المار بها حتى يضمن غذاءه فضلا عن عمليات التخريب والنسف والحرق وإتلاف الزروع<sup>2</sup> وهو ما تكرر كثيرا في كتب النوازل وحسبنا ما أشار إليه البرزلي، الونشريسي والمازوني .

وبالتالي فإن الحروب والحصارات كانت تؤدي إلى تراجع النشاط الزراعي والرعوي في البوادي لأن الفلاحين ومهددون بالجوع والإفلاس في أي لحظة يمر بها العدو ويتلف محصولهم، عندئذ يصابون بالفقر ويجدون أنفسهم عاجزين عن دفع ما عليهم من كراء أو ضرائب، الأمر الذي يجعلهم يعزفون عن خدمة الأرض وهذا ينتج عنه انحطاطا اقتصاديا شاملا نظرا لأهمية البادية في توفير الغذاء.

ونظرا لأن البوادي هي المعول الرئيس للمدن بمختلف المنتجات الضرورية فإن الحركة التجارية بينهما كانت تتعطل في أوقات الحروب والفتن، سواء بسبب تلف المحصول أو الخوف من التنقل، فترتفع أثمان مختلف السلع الغذائية في أسواق المدن نتيجة قلتها فتحدث المجاعة.

كما تسبب الحصارات والحروب في حدوث انحدار ديمغرافي للمجتمع نتيجة تزايد نسبة الوفيات فقد سجلت المصادر الفناء الديمغرافي لسكان المغرب عموما بعد انهزام الموحدين في معركة العقاب سنة 609هـ- 1212م<sup>3</sup>، كما أن الحروب التي قامت بين المرينيين والزيانيين قد أفضت عن مقتل 80 ألف شخص من الطرفين<sup>4</sup>. كما لا ننسى أن الحروب كانت تفرز فئة من المعاقين وذوي العاهات والمشوهين خلقيا والأسرى، فيكون مصيرهم في الأخير الإسترقاق والعبودية، وقد أورد ابن الأحمر حول مصير بعض سكان تلمسان الذين

<sup>1</sup> أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الخزاعي الأنصاري، ابن الأحمر: روضة النسر في دولة بني مرين (تاريخ الدولة الزيانية)، تح: هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد 1421هـ-2001، ص69.

<sup>2</sup> بوداود عبيد: ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع المحجرين (ق13-15م)، دراسة في التاريخ السوسيو ثقافي، دار الغرب، وهران، 158-160.

<sup>3</sup> مجهول: الذخيرة السنية، ص24.

<sup>4</sup> أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1996م، ص72-73.

وقعوا في الأسر عند بني مرين فيقول: "وبعث السلطان أبو عنان بقومه من بني عبد الواد في السلاسل كالأسرى فأدخلوا على فاس في تلك الحالة وسجنوا ثم صاروا ينقلون الرمل على الحمير"<sup>1</sup>.

عرف المغرب الوسط كغيره جملة من الأمراض والأوبئة التي أودت بحياة الإنسان والحيوان فيقول ابن خلدون(ت808هـ/1405م) عن الوباء أن " سببه في الغالب فساد الهواء لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة"<sup>2</sup>.

وبخلاف الأرياف فإن الأوبئة تقل بها بسبب نقاء هوائها لقلة العفن والرطوبة ولأنها قليلة السكان والعمران، فاعتبر ابن خلدون(ت808هـ/1405م) أن المدن تكون أكثر عرضة للأمراض نتيجة تلوث الهواء وركوده بسبب كثرة العمران والسكان وكثرة الصنائع<sup>3</sup>.

ومن الأوبئة التي عمت البلاد وأودت بكثير من حياة البشر مرض الطاعون الذي عم البلاد سنة 307هـ/919م، فيقال أنه بلغ حدود مصر حسب إشارة ابن عذاري<sup>4</sup>.

ولم يكن وباء الطاعون يشكل تهديدا على حياة سكان المغرب الإسلامي فحسب، بل هناك داء آخر لا يقل خطورة عن سابقه ألا وهو "داء الجذري" فقد ورد في بعض المصادر قصة الشيخ المسن الذي كانت له بنية ابتليت بهذا الداء الخبيث حيث صارت لا ترى قليلا ولا كثيرا منه<sup>5</sup>.

ومما ساعد على ارتفاع عدد الوفيات في بلاد المغرب الإسلامي سوء التغذية والأمراض الوبائية، التي كانت تفاجئ السكان من حين لآخر، لاسيما الطبقة الفقيرة، بسبب قلة الوعي الصحي وقلة النظافة نتيجة الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تعرضوا لها طبعاً فإن هذا يقزم من القوة الديمغرافية لبلاد المغرب الأوسط والتي تمثل أساس الحراك الاقتصادي وانتعاشه، حتى إن تأزم الأمور واضطرابها حتم على السكان والرعية الفرار واللجوء إلى مناطق أخرى أكثر أمناً وملائمة لعيشهم، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على موقف السكان

<sup>1</sup> ابن الأحرر: الروض النسرین (تاریخ الدولة الزيانية)، ص75.

<sup>2</sup> ابن خلدون: المقدمة، ص282.

<sup>3</sup> المقدمة: ص 323-324.

<sup>4</sup> ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، ص 181.

<sup>5</sup> المالكي: رياض النفوس، ج2، ص239.

من الوضع السائد وعلى مطلب نفسي ورغبة ملحة باللجوء للهجرة للبحث عن ملاذ مالي واقتصادي لعيشهم.

## 2- تأثير المستوى المعيشي على ذهنية أهل البادية :

لقد أفرزت الطبقية في مجتمع المغرب الأوسط في بروز نمطين متباينين من حيث المستوى الاجتماعي والاقتصادي، فهناك فئة مترفة تمتلك القصور والأموال والثروات (الحلفاء - الأمراء - القضاة - والجند....) وفئة محرومة سخرت ثرواتها، لخدمة الفئة الأولى، ومثلها (الفلاحون - التجار الصغار - الصناع - الفقراء....) على اختلاف مهنهم على حد قول يحيى بن خلدون (ت808هـ/1405م): "...إن دار الصنعة السعيدة تموج بالفعلة على اختلاف أصنافهم وتباين لغاتهم وأديانهم، فمن دراق ورماح ودراع ولجام و و شاء وسراج وخباء ونجار وحداد وصنائع ودباغ وغير ذلك فسكت لأصواتهم وآلاتهم الأسماع، وتجار في الأحكام صنائعهم الأذهان وتوقف دون بحرهم الهائل الأبصار..."<sup>1</sup>، مفهوم الاقتصاد كان مرتبطا بذهنية وعقلية كل شخص على حدا من خلال خلفياته الدينية والاجتماعية في التواصل مع الغير. فاختلاف المهن والحرف وطرق المعيشة كان نتيجة لعقلية الفرد ونظراته وفلسفته في العمل وكسب المال. وهذا ما يولد التفاوت الطبقي فينعكس في أحوال الطعام واللباس والقدرة الشرائية ومقدار الكسب.

يرتكز المستوى المعيشي في المغرب الأوسط على الوضعية السائدة فيتحسن في وقت الرخاء ويتدن في أوقات الأزمات والشدائد<sup>2</sup>، وحسب ابن خلدون (ت808هـ/1405م) فإن المؤشر الرئيسي لتقييم المستوى المعيشي هو قيمة "الدخل والخرج" حيث يقول: "ومتى عظم الدخل والخرج اتسعت أحوال الساكن ووسع المصر"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ابن خلدون يحيى: بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، ص160.

<sup>2</sup> إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال العصر المرابطي، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1998م، ص210.

<sup>3</sup> ابن خلدون: المقدمة، ص336.

ويرى أيضا أن معيار التفاضل بين الأمصار أو المدن أو الممالك يكون في "كثرة الرزق لأهلها ونفاق الأسواق إنما هو في تفاضل عمراتها في الكثرة والقلة" كما يورد أن المستوى المعيشي في الأمصار الكبرى يكون أحسن من المدن والقرى<sup>1</sup>.

و لأن المستوى المعيشي يقاس أساسا بطبيعة الغذاء فإن النمط الغذائي السائد كان يتغير زمن الأزمات والحوائج والمجاعات فيتحول إلى غذاء غير خاضع لشروط الصحة، فيصبح هم الناس سد رمقهم من الجوع، فيقتصر غذائهم على أكل الحبوب الفاسدة والمتعفنة من طول الإحتزان وأكل اللحوم الرديئة مثل الجيفة ولحوم من مختلف الحيوانات كالفتران والكلاب<sup>2</sup>.

ويتضح مما سبق مدى فداحة الأضرار التي أحاطت بالسكان، الحيوان، والاقتصاد وعمق تأثيرها على الحياة بالمدن والقرى، وخاصة في المجال البدوي الواسع.

### 3- انعكاسات نظام الجباية على ذهنية أهل البادية:

تعد الجباية أو الضرائب بمختلف أنواعها من أهم موارد الدولة المالية حث يربطها ابن خلدون(ت808هـ/1405م) بعمر الدولة والتي تكتفي في بدايتها تأسيسها بفرض الضرائب الشرعية كالزكاة والعشور والخراج والجزية في حين تستحدث في آخر عمرها ضرائب ومغارم جديدة فتكثر بذلك نفقات الفلاح والتاجر والبائع في السوق " ويؤذن ذلك باختلال العمران ويعود على الدولة ولا يزال بذلك يتزايد إلى أن تضمحل"<sup>3</sup>.

وقد عرفت الدولة الزيانية نظاما ضريبيا الذي مثل حجر الأساس للواردات المالية للدولة الزيانية ومن جملة الزكاة وهي الصدقات التي تجمعها الدولة من الأغنياء عينا ونقدا وتودع في بيت مال المسلمين أما

<sup>1</sup> ابن خلدون: المقدمة، ص336.

<sup>2</sup> السلاوي: الإستقصا، ج3، ص86.

<sup>3</sup> ابن خلدون: المقدمة، ص263.

العشور فهو ضريبة الأرض وبحكم وجود أقلية غر مسلمة في مجتمع الدولة الزبانية فقد كانت تفرض عليهم الجزية<sup>1</sup>.

ولقد تعدت الضرائب في بعض الأوقات مجراها الشرعي، واتخذت السلطة مغارم ومطالب جديدة مثل ما يسمى "بالحبل المطوى" ومفاده أنه من كان خارجا مسافرا ومن بلده بسبب الفقر والعوز، ولم يترك مستغلا، يطالب بدفع هذا المغرم من البلاد ليسافر إليها وإن غاب لسنوات طويلة يطالبون ذريته بدفع هذا المغرم عنه<sup>2</sup>.

كما أن في حالات الحروب والفتن كانت تفرض ضرائب جديد وقاسية على الرعية سواء من السلطة أو من المناهضين أو من المحتل الخارجي، وهذا ما أكدته المصادر التاريخية إذ يشير ابن خلدون (ت808هـ/1405م) إلى إستبداد أبي سالم المريني على الجزائر واستثنائه بجبايتها لصالحه فيقول: "وأقام سالم أمره من الاستبداد بتلك الأعمال استضافة جبايتها لنفسه"<sup>3</sup>، ولا يخامرنا الشك في أن هذه الضرائب قد ضرت بالرعية وأسهمت في إفقارها.

وقد أفرزت هذه الجبايات والمغارم على السكان وخاصة منهم التجار سلوكات عديدة، فقد يستعين التاجر بأحد الصلحاء لإدخال سلعه دون علم الولي بوجود سلع في راحلة التاجر، فيسلم التاجر من دفع المغرم عليها ببركة هذا الولي بحسب اعتقادهم<sup>4</sup>.

كما أن الصلحاء برز لهم دور قوي ضد السلطة ومكوسها، فقد شارك الصوفي أبو عبد الله بن شعيب مع العامة في ضرب المكاس واحتج قائلا: "ليس في الشريعة مكس"<sup>5</sup>، وبذلك اختار كثير من الناس مكانا بالقرب من موضع ضريح أبي مدين للممارسة التجارة حتى يدخلون السلع دون دفع الضرائب عليها حتى

<sup>1</sup> الونشريسي: المعيار، ج2، ص253.

<sup>2</sup> محمد التلمساني ابن مرزوق (781هـ/1379م): المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، دراسة و تح: ماري خيسوس بيغرا، تقديم محمود بوعباد، (د.ط)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1404هـ/1981م، ص285-286.

<sup>3</sup> ابن خلدون: العبر، ج7، ص287-288.

<sup>4</sup> في هذا المضان يروي ابن مرزوق قصة تاجر تحايل عن دفع المغرم عند الباب واستعان برجل صالح ليحمله مع سلعته وتمر بسلام دون عناء التفتيش والتغريم، ينظر ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص180.

<sup>5</sup> أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني (ت714هـ/1314م): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: راجع بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971م، ص173.

ضاقَت المجابي في تلك الفترة<sup>1</sup>. كما تحولت رباطات التصوف والزوايا خلال مراحل الكوارث والجوائح إلى مرافق خيرية لإيواء المشردين وإطعام الجياع وإغاثة المنكوبين.

باقتضاب كان هذا نموذج من النظام الضريبي الذي عرفه المغرب الأوسط وبعض من تجاوزه ومظالمه التي استحدثت من طرف السلطة والمستبدين على الرعاية فكان لهذا تأثير كبير على حياة من الناحية الاقتصادية وحتى النفسية فحين يهجر الفرد موطنه للبحث عن ملاذ آخر فإن عيشته كانت قاهرة ، ولعل الأمر لم يتوقف عند المحجرة فحسب بل تعداها لإستعمال طرق غير مشروعة في كسب الرزق كالسرقة والتحايل .

ويستخلص مما سبق مدى فداحة وخطورة الأضرار التي أحاطت بالسكان والرعية من الناحية الاقتصادية وعمق تأثيرها على حياة الأشخاص وتفكيرهم وملاذهم إلى البحث على سبل جديدة للرزق وحتى وإن كانت غير مشروعة وجائزة.

وهذا ما أكدّه في قوله الفيلسوف مالك بن نبي " إن تطور الجماعة يؤدي بها إما إلى شكل راق من أشكال الحياة وإما أن يسوقها على عكس ذلك إلى وضع متخلف"<sup>2</sup>.

## ثانيا /خلفيات وأثار الأنماط الاجتماعية على السلوك وذهنيات مجتمع البادية :

### 1- انعكاسات المعتقدات الدينية على ذهنية أهل البادية:

عرف الدين الإسلامي طريقه إلى بلاد المغرب خلال القرن الأول الهجري انطلاقا من مقولة ابن خلدون(ت 808هـ/1405م) " أن البربر ارتدوا عن الإسلام اثني عشر مرة من طرابلس إلى طنجة ولم يستقر إسلامهم حتى أجاز طارق وموسى بن نصير إلى الأندلس بعد أن دوخ المغرب وأجاز معه كثيرا من

<sup>1</sup> ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص229.

<sup>2</sup> مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات العامة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط6، 2006م، ج1، ص18.

رجالات البربر وأمرائهم برسم الجهاد فاستقروا هناك من لدن الفتح فحينئذ استقر الإسلام بالمغرب، وأدعن البربر لحكمه، ورسخت فيهم كلمة الإسلام وتناسوا الردة<sup>1</sup>.

ومن هنا نلاحظ كيف اندمج البربر مع العرب، وكيف قبلوا هذا الدين رغم التخوف الذي انتابهم أول الأمر لأن الدين مهما كان، فإن تقبل البشر له وتأثر الأنفس به يكون تحت ضغط عاملين هامين هما:

الأول يكون نتيجة اقتناع خاص، ثانياً تأثر نفسي لما هو واقع أو لتشابه أنماط التفكير والعيش مع العنصر العربي<sup>2</sup>.

لقد أثار انتشار الإسلام في بلاد المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط على وجه الخصوص أنماط لسلوكية كان لها تأثير على العقلية المغاربية، فيرجع بعض الباحثين في النزعة الإنسانية الأصلية للإسلام ذات المبادئ الثلاث الإخاء والمساواة والحرية وصورها التي كانت تطبق على أرض الواقع بجملة أحكام وتعاليم ترجمتها تلك الأفكار إلى واقع ملموس يلاحظه كل عاقل، فكانت تلك العبادات الشعائرية كالصلاة، الزكاة، الصوم والحج فيها أسمى عبارات التساوي والإخاء بين البشر التي فاصطفاء الناس في صلاة الجمعة أو الجماعة يزيل كل الفوارق والأفكار السلبية التي كانت خارج المسجد<sup>3</sup>.

وإلى جانب هذا التساوي بين الناس أمام القانون الشرعي في العبادات كان تساويهم في المعاملات بأحكام الإسلام، فالحلال حلال والحرام حرام على الجميع، وحول تأثير الدين على المجتمع نظر ابن خلدون (ت 808هـ/1405م) قائلاً: "والسبب في ذلك أنهم بخلق التوحش الذي فيهم أصعب الأمم انقيادا بعضهم لبعض لخلطة والأنفة، وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة... فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم، فسهل انقيادهم واجتماعهم، وذلك بما يشملهم من الدين، المذهب للغلظة والأنفة... ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق"<sup>4</sup> فالنظرية الخلدونية تنطبق على الجنسين

<sup>1</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص221.

<sup>2</sup> أوكيل مصطفى باديس: انتشار الإسلام في بلاد المغرب وأثاره خلال القرن الأول الهجري، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 2005-2006م ص64-65.

<sup>3</sup> نفسه، ص65

<sup>4</sup> ابن خلدون: المقدمة، ص197.

العربي والبربري نظرا لتشابه الصفات فيهما، لذلك كان نفس العامل، ألا وهو الدين الذي يوحدكما ويدمجهما في بوتقة واحدة<sup>1</sup>، والملاحظ هنا أن الدين الإسلامي استطاع أن يدجن ذهنية المغربي ويكسبه سلوكات وتصرفات أخلاقية حميدة.

ويعتبر الدعاء من أبرز وسائل الدعم الإلهي داخل المجتمع البدوي، الذي يعتبر بحق موطن القلق الدائم وعدم الإطمئنان بسبب الظروف المناخية المتقلبة من جهة، وضعف التجهيزات الزراعية والمائية من جهة ثانية، الشيء الذي يزيد من خوف القرويين ويرفع من حدة توترهم، فالإنسان عموما يسعى إلى التحكم في محيطه الطبيعي بكل الوسائل المادية والرمزية التي توفرها له ثقافته ويبيحها مجتمعه، والسيطرة النفسية كما يقول فرويد هي التي تعبد الطريق أمام السيطرة المادية فالدعاء بمثابة أداة التواصل مباشرة بالقوة الإلهية<sup>2</sup>

وإلى جانب الدعاء عرفت بوادي المغرب الأوسط انتشار بعض الطقوس والممارسات التي تنسب إلى الدين و التي انعكست على سلوكات الإنسان المغربي فأثرت على ذهنيته وتفكيره، فالاحتفالات الدينية والبدع<sup>3</sup> والممارسات الموسمية التي تتعاقب طيلة السنة الهجرية مثل الطقوس المصاحبة لإحتفالات المولد النبوي الشريف وعاشوراء<sup>4</sup>، فإذا كانت هذه المواسم طقسا ثابتا خاضعا لنظام وانتظام معين فإن الطقوس الممارسة ضمنه تدخل نظامه في مجال الإختراق اللا متوقع الذي ينعكس على سلوك الإنسان المغربي بالعنف<sup>5</sup> هذا السلوك الذي يتمازج في نفسية الإنسان بين مظاهر الحزن والفرح فيصبح الأمر كالصریح والمضمر في عقلية متجاذبة<sup>6</sup>.

والملاحظ أن المغربي استطاع أن يتقبل تشريعات الدين الإسلامي، خاصة وفق المذهب المالكي الذي تلاؤم وذهنية الفرد فوجد في عقلية مناخا ملائما للانتشار والتوغل، فالتناغم الحاصل بين تفكيره وتعليمات التشدد في مذهب المالكي نتيجة التوافق الذهني.

<sup>1</sup> أوكيل مصطفى باديس: مرجع سابق، ص127.

<sup>2</sup> عبد الغني منديب: الدين والمجتمع (دراسة سوسيو لوجية لتدين بالمغرب، مطابع إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2010م، ص127.

<sup>3</sup> حول موضوع البدع ينظر مصطفى باحوا: علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف والقبورية والمواسم، ط2، جريدة السبيل لطباعة والنشر، الرباط، 2007م، ص17 وما بعدها.

<sup>4</sup> عبد الغني منديب: المرجع السابق، ص132-134.

<sup>5</sup> نور الدين الزاهي: المقدس والمجتمع، إفريقيا الشرق، المغرب، 2011م، ص93.

<sup>6</sup> عبد الغني منديب: المرجع السابق، ص132.

## 2- تأثير الموروث الوثني في الممارسات الدينية لأهل البادية :

ارتبطت البدع والانحرافات العقدية بجانبين وهما المعتقد الديني الذي يرفض تماما للأفكار المخالفة للسنة، و الموروث الشعبي الوثني، الذي تعلق به المغاربة منذ العصور القديمة وتمسكو به وان كان مخالف للشرع وهذه النقطة ارتبطت بذهنية العامة.

لم يتخلى أهل البادية عن عاداتهم وتقاليدهم السابقة والتي ورثوها منذ القدم وهو ما يرجح بقاء فرضية بقاء بعض المظاهر الوثنية داخل الممارسات الدينية وذلك ما يؤكد أن الإنسان البدوي كان طقوسيا يمارس شعائره الدينية عبر تمازج الطقوس وإشراكه بالسحر والقربان والإيمان بالجن والقوى الخارقة وعبادة بعض الحيوانات ويؤكد ذلك أحد الباحثين المستشرقين حينما قال أن "الشعب المغربي من أكثر الشعوب خضوعا لعاداته القديمة وسلوكياته الموروثة من أجداده البربر فمنذ العصور الأولى والمؤرخون يسجلون صفات البربر الدائمة المتسمة بالقلق والطيش والميل إلى الشغب والنزعة إلى الغضب والثورة".<sup>1</sup>

لقد أثرت المعتقدات الوثنية الموروثة التي كانت سائدة بين السكان قديما في أفكارهم خاصة تلك التي تعلقت بطبيعة الإله أو مصير الإنسان وما ترتب عنها من ظاهرة تقديس السحرة والكهنة ، لتظهر في شكل تقديس مشايخ الطرق الصوفية والزوايا لكن هذا التقديس تواصل بعد وفاة الشيخ<sup>2</sup> ، وهو ما يفسر ترسخ فكرة والتقرب من الأولياء الصالحين وزيارة قبورهم في ممارسات دينية من اجل نيل البركة وهو ما ساهم في تعود أهل البادية على هذا الاعتقاد حتى أصبح يشكل نمط ذهني يؤثر على تفكير البدوي فقد شاع انه رابط لتواصل بين الإنسان والله .

كما اهتم المغاربة الأوائل أكثر من غيرهم بأسلافهم الموتى سواء من خلال طريقة الجنازة والتجهيز والدفن، أو من خلال ما يلي ذلك من تقديس لقبورهم وتشييد لها، والرقود عندها ونسج الأساطير والقصص حول أرواح موتاهم الطواف بها والجلوس عندها، والنوم بالقرب منها أو فوقها مباشرة ومعانقتها<sup>3</sup>، إلى حد

<sup>1</sup> نقلا عن سهيلة دهمش: العادات الاحتفالية (مساهمة في التاريخ الديني والإجتماعي للمغرب الاوسط الزباني) (633-962هـ/1235-1555م)، رسالة ماجستير مرقونة، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 2014/2015م، ص111-112.

<sup>2</sup>Louis Rinn : **Marabouts et Khouans**—étude sur L'islam en Algérie, Adolphe jourdan libraire : éditeur, 1884, p20

<sup>3</sup> بقيت هذه المظاهر والطقوس منتشرة في مجتمع البادية ،حيث نجدها في تقديس قبور المريدين والأولياء الصالحين وأصحاب الطرق الصوفية التي إنتشرت في مجالات وبوادي مغربنا الأوسط .

مناداة أهلها للاستعانة بهم في فك العضلات والقضايا اليومية التي يعيشها البدو الأمازيغ، فقد كانت الرؤى التي يرونها بمثابة الوحي اللازم التصديق به و إلزامية العمل بما يتضمنه من أوامر يعتقدون أنها من أرواح أجدادهم، وهناك من الأرواح من وصلت درجة الآلهة لديهم لذا أقاموا لها الهياكل وشيدوا لها أحيانا معابد، الهياكل وشيدوا لها أحيانا معابد، فشكلت بذلك أعلى درجات التقديس الشفهي عند هؤلاء الوثنيين والظاهر أن هذه الممارسات بقيت في أواسط أهل البادية على شكل تقديس المرابطين والمريدين من ذوي الاختصاص في التصوف وعبادة الأربطة وزيارة القبور والتذرع للأموات بالدعاء<sup>1</sup>.

### 3-إنعكاسات العادات والتقاليد على ذهنية أهل البادية:

إن العادات والأعراف السائدة في الغرب الإسلامي عموما تعد وليدة النظام العام و البنى الاجتماعية والثقافية السائدة وفقا للمنظور الديني والمذهبي المتبع، فتكرار الفعل من جانب، ودم تاركه من جانب يعطي الأمر حضورا يدعمه الجزاء، ومشروعية يستمدّها من القبول العام<sup>2</sup>. ولطالما تأثر المجتمع المغربي بالعادات والتقاليد أيما تأثر.

ففي كثير من الأحيان انعكست ذهنية الفرد المغربي على عاداته كما يحصل العكس فتأثر عاداته على نمط سلوكه وتفكيره، وهذا ما نلاحظه في عادة الفرد المغربي الإسراع إلى إقراء الضيف وحسن كرمه ويمكن القول أن هذه الصفة تكاد تكون خلقا يميز كل سكان المغرب الإسلامي خاصة المجتمع البدوي على فقره وبساطته حسب ما أورده ابن حوقل(ت367هـ): "وأكثر بربر المغرب الذين من سحلماسة إلى السوس وأغمات و فاس إلى نواحي تاهرت و تنس والمسيلة، و بسكرة و طبنة و بغايا إلى أكربال و أزفون و نواحي بونة إلى مدينة قسنطينة و كتامة و ميلة و سطيف، يضيفون المارة ويطعمون الطعام"<sup>3</sup>، وهذه العادة تشدد لها أهل المغرب معارضين أهل الأندلس في حيظتهم وتدبرهم في المعيشة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>Louis Rinn : **Marabouts et Khouans**, p25

<sup>2</sup> عمر بلشير: المرجع السابق، ص137.

<sup>3</sup> ابن حوقل، صورة الأرض، ص91.

<sup>4</sup> محمد زروق : الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17، ط4، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص348-349

ومن سلوكات الملازمة للبداوة، الغضب المتولدة من العيش في الأرياف حيث تصفهم المصادر بأنهم "إذا غضبوا قتلوا أو جرحوا"<sup>1</sup>، والملاحظ أن البيئة والطبيعة تتحكم في تحديد سلوك وتفكير الفرد فظاهرة الغضب وملازمتها لذهنية البدوي كانت وليدة قساوة البيئة والطبيعة وشقاوة الأعمال اليومية وحرص الإنسان على تأمين مستلزماته بنوع من الصعوبة كجلب الماء وتوفير الحطب على عكس المدني الذي إمتازت حياته بالراحة والرفاه، فكل هذه الضغوطات انعكست على نفسية البدوي وجعلته فردا قلقا كثير التعصب .

كما أدت الظروف الإجتماعية السائدة في البادية إلى ترسخ بعض العادات الحميدة في نفوس أهلها ولعل التضامن والتكافل فيما بين أفراد مجتمعه أكثر تلك السمات البارزة فيه، فقد لعب العلماء والزهاد والصالحون دورا رياديا في هذا المجال، إذا كانوا أنفسهم السابقين إلى ترسيخ مثل هذه المعاني الإنسانية السامية والقيم النبيلة في ذهنيات أواسط العامة، حيث تورد بعض المصادر أن رجلا من الصالحين، كان يمشي في أسواق القيروان، فيجلس عند الرجل الضعيف فيقول له: "نعطيك دراهم تجعلها رأس مالك، فإذا رجحت ترد ها إلي"<sup>2</sup>، وكذلك الأمر بالنسبة إلى عادة رعاية الأيتام والمساكين والفقراء، حيث يهب المحسنون وخاصة ممن تيسرت أحوالهم المادية إلى نجدتها، وذلك من باب التآزر والتراحم وهو ينعكس على عقلية المغربي نمط التلاحم والتفكير في الغير، وأكبر دليل على ذلك، نجدة أهل قسطلية لأبي يزيد الزناتي، حينما كان صغيرا، فقد توفي والده وتركه على حال من الفقر الشديد، فكان هؤلاء القوم يجزلون عليه بعض الصدقات عوناً على تحسين ظروفه الإجتماعية<sup>3</sup>.

وتشكل ظاهرة البدع أيضا ذات المنظومة الاجتماعية جزءا من العادات و هذه بدورها تمثل جزءا من نظام الدين في ثقافة المجتمع ، فهي ظاهرة تجذرت في السلوك الاجتماعي و اتساقه الثقافي و هو يتهم بشكل لا شعوري أي بشكل لا يستدعي تفكيرا حول مغزاه أو مدى معقوليته، و لهذا نجدتها تترجم عن بعض الحاجات الفردية كونها سلوك و تعبير عقائدي و ظاهرة حضارية ذات أصول و جذور امتدت و تشعبت و

<sup>1</sup> أحمد بن محمد المقرئ: أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: محمد السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر 1939م، ج3، ص89.

<sup>2</sup> الدباغ: معالم الإيمان، ج2، ص237.

<sup>3</sup> ابن خلدون: العبر، ج7، ص13.

تشابكت لتصبح راسخة في اللاشعور الفردي<sup>1</sup>، كما أنّ البدع قد مسّت العامة أكثر من الطبقة الخاصة أو الحاكمة، فنجد ركون العامة إلى الفكر الغيبي و المعتقدات الشعبية لا يمكن أن نفسره إلا دليل على عدم قدرتهم في تجاوز المشاكل التي كانوا يعيشونها ، و التي كانت تطرحها الظروف الاقتصادية المزرية، هذا من جهة و من جهة ثانية لتغطية واقعهم بمرارته و حجب صورة الظلم و الفاقة التي كانوا يعيشونها في كنف النظم السياسية الحاكمة ، و في ظلّ هذه الحالة و تزامنها مع عدم وجود الوعي من طرف الفقهاء التي كانت أغلبها تحت السيطرة من طرف الحكّام كانت الفرصة ملائمة لانتشار الشائعات الزائفة و الروايات الباطلة<sup>2</sup> التي كانت مصدر من مصادر ظهور البدع، فضلا عن التنجيم<sup>3</sup> ، و أصحاب المحاكاة<sup>4</sup> ، و الأمل و هي عادات انتشرت في ربوع العالم الإسلامي<sup>5</sup> ككلّ و ليس بالمغرب فقط.

فقد وجدت العامة في تبادل هذا و ذاك من هذه المعتقدات البدعية شيئا من العزاء و الترويح النفسي ممّا كانوا يعانونه على يد السلطة الحاكمة، و ممّا كانوا لا يفهمونه من تقلّبات مجتمعية من جيل الى جيل متلاحقة كما اعتاد بعض الطوائف العامة في مزاوله طقوس باطلة يمكن اعتبارها أعرافا متوارثة، و لكنّها في الحقيقة أمراض أو آفات اجتماعية ، جاهد بعض رجال الدين من أجل القضاء عليها في سبيل تطهير المجتمع منها<sup>6</sup>، و هناك من كان يتقاعس و يسكت عليها فنجد مثلا في قول ابن الحاج " و يسكت لهذا العالم و غيره و يعطوهم و لا ينكرون عليهم ذلك"<sup>7</sup>.

فجلّ البدع انصبّت في ظلّ العادات و التقاليد لأغراض مهنية كالتنبؤ بالغيب أو المستقبل سوءا عن طريق فك الرموز و دلالات كتف شاة أو عن طريق ما عرف بخطّ الرمل الذي برع فيها المهدي بن تومرت

<sup>1</sup> معاشو بوشمة :سيدي غانم تراث وثقافة ،دار الغرب للنشر والتوزيع ،وهران ،2002م، ص ص 22-23 .

<sup>2</sup> ابن المؤقت :السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ،ط2،الدار البيضاء للنشر والتوزيع ،(د،ت)،ص 85.

<sup>3</sup> ابن عذارى :البيان المغرب ،ص 385.

<sup>4</sup> ابن دحية :المطرب من أشعار أهل المغرب ،تح: إبراهيم الأبياري ،القاهرة ،1993م ،ص 86.

<sup>5</sup> ابن الجوزي أبي الفرج البغدادي :تلبيس إبليس ،دار ابن خلدون ،الإسكندرية ،مصر ،(د،ت)،ص 401.

<sup>6</sup> نفسه .

<sup>7</sup> ابن الحاج أبو عبد الله محمد العبدري المالكي الفاسي : المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات ،ج1 ،مكتبة دار التراث ،القاهرة ،مصر ،(د،ت)،ص ص 286-287 .

حتى وصف بأنه أوحده عصره في خطّ الرمل<sup>1</sup> ، كما ساد الاعتقاد بالجنّ و التمسّح ببركات الأولياء و الصالحين أمّا

للاستشفاء أو لأغراض أخرى، كما ارتبطت ذهنيّات المجتمع العوام بالطرق العلاجية البدعية و هذا لضعف قدرتهم الشرائية و ارتفاع تكاليف الأدوية و الفحوصات الطبيّة فكان المرضى و أصحاب العاهات و الأمراض المزمنة و خاصّة النساء منهم اللواتي يترددن على الصالحين و قبور الأولياء لأخذ شيء من تراهما للاستشفاء به<sup>2</sup> أو الذهاب الى الزهاد و المتصوّفة الذين اشتهروا بإظهار كراماتهم و ذلك بوضع أيديهم على المرضى

أوريقهم على أماكن الألم<sup>3</sup> ، كما هيأت ظروف القهر الاقتصادي و الاجتماعي و الواقع السياسي المضطرب في ظهور أشخاص انتحلوا النبوة كابن محمد الكتاني المعروف بابن الطواجن<sup>4</sup> ، و هذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على أنّ الجهل و عدم الوعي قد يؤدّي مع الظروف المزرية إلى ظهور انحرافات خطيرة تصل إلى حدّ الانتحال بالنبوة.

هذا فيما يخصّ ذهنيّة المغاربة في اتجاه البدع ذات الموروث التقليدي الشعبي أو العادات و التقاليد أمّا ما يخصّ بدع ذات المنظومة العقدية فارتبطت حسب تقديري الى سداجة بعض عقول الناس فخير مثال على هذا نجاحا الدعوة الإسماعيلية في المغرب، فحسب اطلاعي لم يكن فقط و ليد الظروف التي كان يعيشها المغرب أو احتضان كتامة لها بهدف أو غرض ما و إنما كانت عقولهم تصدّق كلّ عالم أو شيخ مشرقي، فاشتغل الدعوة -دعاة الإسماعيلية- على هذه النقطة.

<sup>1</sup> عبد الكريم جودت يوسف: المرجع السابق، ص 311.

<sup>2</sup> أحمد الحمودي: المظاهر الذهنية لعامة المغرب الأقصى في المغرب الموحد، محاضرات ملتقى (التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربة عبر العصور) ، منشورات، مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية ، جامعة منتوري، أفريل 2001م، ص ص 119-120.

<sup>3</sup> ابن الزيات أبي يعقوب يوسف ابن يحيى التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ط2، تح: أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب بالرباط، المغرب ، 1997م، ص 321.

<sup>4</sup> الناصري: المرجع السابق ، ج2، ص ص 234-263.

#### 4- انتشار السحر والخرافات:

تنتشر الخرافات في المجتمعات التي يسودها الجهل، فهي حين تقف أمام ظاهرة عاجزة عن تفسيرها علميا، تلجأ لردّها ونسبتها إلى الغيبيات، ومن ذلك ما روي من أن الشيخ أبا يعقوب يوسف التفريسي كان يقرئ الإنس والجن بمسجده والناس يسمعون صوت الجن، وحدث أن دخل عليه يوما حنش عظيم، ففر الحاضرون، ثم كتب الشيخ ورقة ووضعها في فم الحنش، فتمرغ بين يديه، ثم قفل راجعا بالورقة، فسئل عن فعله فأجاب هذا رسول بعثته قبيلة من الجن من ارض العراق بهذا السؤال<sup>1</sup>.

ويضيف البكري(ت487هـ/1094م) من الخرافات ما يروى عن وجود عين ماء في مرسى سببية بين بجاية وجيجل تعرف بعين الأوقات، كان ماءها يجري خمس مرات في اليوم واللييلة في أوقات الصلوات، وينقطع بين ذلك<sup>2</sup>.

تتميز ذهنية سكان بادية المغرب الأوسط بميلهم في اعتقاداتهم بالمغيبات والسحر والكهانة وعادة مثل هذه الذهنية تكون سريعة الإنقياد بالزعماء والقادة الذين يعرفون استغلالا هذا الضعف مثل ثورة الكاهنة، ودعوة أبي عبد الله الشيعي وكذا دعوة محمد ابن تومرت....الخ.

وما يلاحظ أن هاته المعتقدات الغيبة والخرافية لها خلفية سوسيو اقتصادية ونسيج ثقافي ومناخ سياسي، فكانت هذه الخوارق وعمليات السحر والشعوذة تعبر عن مواقف لتجاوز المشاكل والأزمات السائدة<sup>3</sup>، ومن النماذج الدالة على ميل سكان المغرب الأوسط لكهانة وتصديقهم للمغيبات، أهل زناتة الذين امتازوا بمعرفة بالغة وحذق في علم الكف، فلا توجد أمم أعلم منهم في هذا الشأن<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ابن خلدون أبو زكرياء: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ص35.

<sup>2</sup> البكري: المغرب، ص56.

<sup>3</sup> إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس، ص111.

<sup>4</sup> البكري: المغرب، ص55

ويبدو أن إعتقادهم هذا بالخرفات قد ولد فيهم خرافة جديدة فراحوا يعلقون التمايم من عين الحسد، وقد أشتهر سكان مرسى الخرز بها، حتى لا يكاد يخلوا عنق منهم من تميمه<sup>1</sup>.

وتورد المصادر التاريخية وخاصة الجغرافية منها لأنها الأكثر احتكاكا بالعامة والناس لتساؤلها عن عاداتهم وخوارقهم وهذا هو شأن الجغرافيين أساسا ومن هذه القصص قصة الرجل المقتول في الطريق المؤدي إلى بسكرة في الجبل المعروف "زغيزي" في وسط كهف ولا يزال يقطر دما بالرغم من انه قتل منذ زمن بعيد<sup>2</sup>، وعلى مقربة من تبسة جبل يعرف بالكتف وفي أعلاه مغارة لا يقدر الوصول إليها لا من فوق الجبل ولا من تحته، ويقال أن فيها مالا عظيما وان الطير إذا نزلت في تلك المغارة وطارت سقطت منها دنابير ثقيلة من الذهب<sup>3</sup>.

والملاحظ أن هذه الخرفات كانت مستوحاة من حالة الفقر والعوز التي كانت تعيشها بعض المناطق البدوية خاصة وقت الأزمات، ولعل الأمل والانتظار والرغبة في تحسين وضعهم الذي كان يدفع بهم إلى تصديق الخرفات أو حتى اختراعها ونشرها في أواسط المجتمع.

وقد مثلت الظروف والأزمات المادية كالأمرض والأوبئة والطواعين التي كانت تواجه سكان البوادي بالمغرب الأوسط السبب الفاعل الذي أملى عليهم ردود أفعال تميزت بالاضطراب والارتباك النفسي، فسيطر على تفكيرهم هاجس الخلاص من العوز والبؤس بأي وسيلة خاصة إذا تعلق الأمر بالأكل والعلاج فكان من الطبيعي أن ينحروا وراء كل ما يلي حاجاتهم مهما كان خرافيا وغير مطابق للواقع.

إن الآثار النفسية للصعوبات المادية على الفئات المستضعفة ألزمت عليهم الرضوخ لفئة المشعوذين والدجالين وإقناعهم بتحقيق ملاذهم من خلال طلاس سحرية، وقد أورد الوزان (ت بعد 975هـ) نموذجاً لذلك في قوله: "ويبيعون للجمهور الجاهلي أوراقا صغيرة كتب عليها كلمات ووصفات ضد مختلف الأوجاع كما يزعمون"<sup>4</sup>.

1 نفسه،

2 نفسه، ص 53؛ مجهول: الاستبصار، ص 178.

3 نفسه، ص 163.

4 الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ج 2، ص 279. ويبدو أن ابن خلدون قد تنبه إلى تشيبت واقتناع الناس بأحكام التنجيم والسحر وأوردها في مقدمته موضحا في ذلك أن الذي يؤدي بالإنسان إلى الانصياع والتوجه لذلك الأمر في الغالب هو "التشوف إلى عواقب أمورهم وعلم ما يحدث لهم، من حياة وموت، وخير وشر"؛ المقدمة، ص 250.

وقد أسهمت الطبقة المثقفة في تشجيع الذهنية الساذجة المتمسكة بالمشعوذين والدجالين من خلال التنظير والتععيد للفكر التنجيمي فانتشرت بذلك دائرة التعليل الخرافي<sup>1</sup>.

ويبدو أن ممارسة المعالجات المتعلقة بأسرار الحروف ومدى تأثيرها العلاجي للمريض وجدت مناخا داخل المجتمع فقد ورد ذلك في إحدى الفتاوى للبرزلي (ت1483/هـ-1483م) وهي تساؤل حول شرعية الرقى بالحروف المجهولة المعنى ونص السؤال: "ما يقال سيدنا فيمن يكتب حروفا مجهولة المعنى للأمراض فتنجح ويشفى بها . هل يجوز كتبها أم لا ؟"<sup>2</sup> وطرح السؤال يكفينا بأن نفهم أن هذه الممارسات كانت موجودة داخل المجتمع المغربي .

## 5- الإيمان بخوارق وكرامات الأولياء :

تميز المجتمع البدوي بتعظيمه للأولياء والإيمان بخوارقهم<sup>3</sup> وإنشاء مزارات لهؤلاء والتبرك بهم ففي بحاية عدد لا بأس به من الأولياء الصالحين والمتكلمين حتى سميت بمكة الصغيرة<sup>4</sup>، ومن الأدلة على إيمان سكان البادية بخوارق الأولياء أنه كان ببوادي شمال ندرومة حصنان ورباط يتبرك بهم وإذا سرق أحد فيهم أو أتى بفاحشة لم تتأخر عقوبته<sup>5</sup>.

كما لم تخلوا المناطق الجنوبية هي الأخرى من تقديس الصلحاء وخوارقهم فكان ينسب لشيخ أبي عبد الله (عاش خلال 450-500هـ) الكثير من الخوارق كالزوبعة التي هبت بالكبش من البادية لإكرام ضيوفه<sup>6</sup> وعودة البغلة إليه بعدما نفرت منه إلى بلاد أريغ ، واندفاع الجراد من ضيعته بعدما دعا عليه<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> ومن ابرز المؤلفات التي تناولت مواضيع السحر وعلم الحروف كتاب منبع أصول الحكمة ل:إبي العباس احمد بن علي البوني وكتاب السر المضروف في بسط علم الحروف لمحمد الشافعي الخلوي الحنفي وكتاب الدرة البهية في الأسرار الروحانية لعلي بن محمد الطنرقائي .

<sup>2</sup> البرزلي : فتاوى ، ج6، ص488.

<sup>3</sup> إن معظم الممارسات الجسدية مركبة من أفعال حسية-حركية فامتلاء الزوار ببركة شيخهم تتم عبر سلوكات جسدية مثل تقبيل الضريح وتلمس كسوته ثم تمرير اليدين على الوجه والصدر؛ نور الدين الزاهي : المقدس والمجتمع، ص96.

<sup>4</sup> عبد الحليم عويس : المرجع السابق، ص242.

<sup>5</sup> الحميري:الروض المعطار ، ص576.

<sup>6</sup> الدرجيني :طبقات المشايخ ، ج2، ص198.

<sup>7</sup> نفسه ، ص205.

إن الثقافة البسيطة وانتشار الجهل والحاجة في أواسط أهل البادية جعلهم يلتفتون حول الأولياء والصلحاء وحتى الكهان والمشعوذين ،لأنهم كانوا ينتظرون منهم الخلاص ويرجون فيهم الملاذ الأخير من الظلم الجبائي المسلط عليهم لأنهم المناهضون الأقوياء لسلطة الحاكم ي اعتقادهم<sup>1</sup> .

ومن الطقوس التي ظلت مرتبطة بطابع السحر المسح أو اليد الشافية التي خص بها الأولياء فقد ورد أن أحد الأولياء جاءه رجل به مرض شديد فوضع يده وقال: "يا عظيم ثلاثا ولم يزد شيئا فوجدت العافية في الوقت<sup>2</sup> .

والظاهر أن مكانة وشهرة الأولياء الصالحين تزداد حتى بعد موتهم حسب قول البرزلي: "فإذا ماتوا زادت شهرتهم وتوالى ذكرهم"<sup>3</sup>، كما قال صاحب المعالم أن نعش والد الدباغ كسر من كثرة ازدحامهم عليه<sup>4</sup> .

ومما لا شك فيه أن الفقر والحاجة مارست تأثيرا وضغطا نفسيا على الإنسان البدوي، الأمر الذي جعله ينجر وراء فعل وسلوك ذهني خرافي هروبا من الوضع المضغوط.

## 6- تأثير الهجرة على ذهنية أهل البادية :

لظالما كان الهدف الرئيسي للإنسان هو البحث عن العوامل الضرورية لبقائه كالأمن ، الماء و الطعام ، الشيء الذي كان يفرض عليه الهجرة من مكان إلى آخر من اجل الحصول عليها .

إن تعرض أهالي المغرب الأوسط خلال فتراته التاريخية لحن وأزمات نتيجة الحروب والفتن، وتوالي الكوارث الطبيعية التي كانت من حين لآخر والتي غالبا ما تفتك بأرواح العديد من السكان، فأمام هذه الأوضاع المزرية التي طبعت المنطقة طيلة فترات عديدة، نما شعور عند بعض الأهالي بضرورة ترك أوطانهم والبحث عن مناطق أخرى تكون أكثر أمنا واستقرارا.

<sup>1</sup> محمد دحماني : "حكايات كرامات الأولياء في منطقة الشلف ، رسالة ماجستير مرقونة ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة بن يوسف بن خدة ، الجزائر ، 2005-2006، ص26.

<sup>2</sup> بن حثيرة صوفية السحيري :الجسد والمجتمع - دراسة انثربولوجية لبعض الاعتقادات والتصورات حول الجسد ،دار محمد علي لنشر ،تونس ،2008، ص307.

<sup>3</sup> البرزلي :فتاوى ، ج6، ص403.

<sup>4</sup> الدباغ : معالم الإيمان ، ج3، ص212.

لا جدال فقد أدى الوضع السياسي والاجتماعي في حالاته المتأزمة إلى بروز ظاهرة الهجرة سواء في المناطق القريبة أو إلى العالم الخارجي ويذر الباحث جودت عبد الكريم يوسف أنه بعد سقوط مدينة تاهرت على يد أبي هبد الله الشيعي، استفحلت هذه الظاهرة في بلاد المغرب الأوسط<sup>1</sup>، فجر الوضع الاجتماعي والاقتصادي المتدهور إلى بروز ظاهرة الهجرة في أوساط السكان، هروبا من الواقع المر الذي طبع حياتهم.

كما أسهمت الهجرة العكسية من الأندلس إلى بلاد المغرب في تأثير في سلوكات وعقليات السكان المحليين، فالأندلسيين كما نعرف يتميزون بطابعهم في الذهنية التي تميل إلى حياة الرفاهية والعيش الرغد وهو أدى إلى تمازج الأفكار وتقارب في العقليات ولعل ما يركي هذا الطرح التأثيرات عادة اللباس الأبيض والمآثم في أوساط المجتمع المغربي والتألق في اللباس والحرص على نظافته حيث تورد المصادر: "أن أهل الأندلس أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك ما يتعلق بهم وفيهم ملا يكون عنده إلا ما يقوت يومه فيطويه صائما ويتناغ صابونا يغسل به ثيابه"<sup>2</sup>، هاته من الأمور التي لقيت قبولا من طرف المغاربة نظرا لتعارضها مع عقلية المغربي، في المقابل هنالك سلوكات تصدت لها ذهنية المغربي ورفضتها كسوء الظن والإحتياط والتدبر مع الحذر فكان الأندلسيين الوافدين أهل احتياط وتدبير في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف ظل السؤال فلذلك قد ينتسبون للبلخ<sup>3</sup>.

ومما يمكن قوله في هذا المضان أن المصادر التاريخية لا تورد معلومات وافية عن الهجرة باستثناء القليل النادر من يفسر إيمان أفراد المجتمع بحزمة الفرار وضرورة الصبر على البلاء خاصة بالنسبة للفقهاء والصلحاء وحسبنا في ذلك ما قام به والد ابن قنفذ في الإعداد للموت بالبلاء بصورة مثالية تعكس لنا صحة هذا الاعتقاد في نفوس هؤلاء وربما في نفوس بقية أفراد المجتمع<sup>4</sup>.

فالهجرة على اختلاف أنواعها داخلية كانت أم خارجية بين الأرياف والمدن كانت نتاجا للأزمات الجوع والحروب، فهي تدل على حاجة سكان المغرب الأوسط إلى تحسين وضعهم لتجاوز الأزمات خارج مجال وقوعها .

<sup>1</sup> جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص449.

<sup>2</sup> المقرئ: نفح الطيب، ج1، ص223.

<sup>3</sup> محمد زروق : مرجع سابق، ص348-349.

<sup>4</sup> ابن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقير، ص87.

# الخاتمة

## الخاتمة

ارتبط مفهوم البادية بالأرض الخالية من مظاهر التحضر ؛ فهي المكان الهادئ الخصب الصالح للعمل الزراعي الرعوي، فهي البيئة النظيفة القاسية على أهلها الجواذة بكرمها، ويستند الكيان الجغرافي لبادية المغرب الأوسط على الأرض والسكان، حيث لا تتحكم في رسم حدوده القوى السياسية التي سيطرت عليه بقدر ما تحدده العناصر الإثنية التي تسكنه لأنها كانت تخضع لظاهرة المد والجزر حسب الحراك القبلي، وشيخ القبيلة وطموحه في التوسع وكذا الضغط الطبيعي كالبحت عن الكأ والماء.

- إن مجال الجغرافي للبادية كان يطلق على نطاق واسع من القبائل المستقرة في الجبال والتلول والسواحل والقبائل الرحل في الصحاري والفيافي، أو كل من لا يعيش داخل المدينة التي تميزت على البادية بحدودها داخل أسوار معينة ومعلومة.

- تتميز البادية بعدة خصائص إجتماعية وإقتصادية وأخرى سياسية ، حيث تغلب عليها طابع الترحال السكاني وعدم الإستقرار وبالتالي غلبة وسيطرة نظام القبلي الذي ولد نمط العصبية التي تمثل الإجماع في الرأي وعدم الإنقسام وعدم التنافر حفاظا على سلامة قبيلتهم، التي هي مصدر الشعور بالمسؤولية المشتركة المتبادلة.

- يرتبط أفراد القبيلة معا برابطة الدم، لذا فهي رابطة دائمة ومتينة ولها أهمية كبرى، فهي تعمل على إبقاء القبيلة نقية وتحفظ كيانها، وهي تفرض على ابن القبيلة أن يتعصب لقبيلته، لأن هذه العصبية هي مصدر قوة القبيلة، وتتمثل هذه العصبية في الإجماع في الرأي وعدم الإنقسام وعدم التنافر حفاظا على سلامة قبيلتهم، التي هي مصدر الشعور بالمسؤولية المشتركة المتبادلة.

- كانت الفلاحة أحد أهم الأنشطة الإقتصادية الهامة التي مارسها إنسان البادية لتوفير الغذاء فمهنه الزراعة هي النشاط الأول المعتمد نظرا لطبيعة البدوي وإرتباطه بالأرض، فاختلقت نظام الأراضي وشكلها بحسب ملكيتها الخاصة بأفراد معينين وعامة كملك مشاع للقبيلة أو العشيرة، تحكم في سيرها النظام القبلي أو التشريع كما هو وارد في كثير من الفتاوى والنوازل، ومما شجع وحفز على ممارسة النشاط الزراعي وفرة المؤهلات الطبيعية للزراعة ببوادي المغرب الأوسط كالخصوبة، المياه وحتى العنصر الحيواني الذي أستغل في مختلف الأنشطة الزراعية كالحرث والتزليل، هذا ما دل على إهتمام أهل البادية بالحيوان وتربيته وإستغلاله أيا إستغلال .

- إن تعدد مراحل الزرع وصولا إلى الجني الزم تنوع في طرق إستغلال الأرض وتعدد شركاته كشركة المزارعة، المغارسة، المساقاة والمراعاة وقد تدخل الفقه الإسلامي في طرق تسيير هذه الشركات وتنظيمها بين حقوق و واجبات .

- إن إعتناء البدوي بالأرض و إرتباطه بها أنتج ثروة زراعية متنوعة بين حبوب وفواكه بسبب تطور النشاط الفلاحي و أساليبه تائرا بأهل الأندلس، إضافة إلى موقع المغرب الأوسط وإمتداده من المنطقة الحارة إلى المنطقة المعتدلة أسهم في وجود غلات ذات جودة عالية كالحبوب من قمح وشعير وفواكه من حمضيات وقمر... الخ .

- تعددت أنواع الحيوانات المتواجدة ببادية المغرب وذلك راجع إلى عوامل طبوغرافية ومناخية، الأمر الذي حدد لكل شخص نوع الحيوان الذي يحتاجه تماشيا مع بيئته وحاجته له في العمل أو حرفته، حيث نلمح تنوع ملحوظ في الثروة الحيوانية كالمواشي والإبل والبقر والدواب و وذلك راجع إلى وفرة الكأ والماء مما شجع على ممارسة النشاط الرعوي والإعتناء بالحيوانات المنتجة كتعليقها وتضمين الرعاة لها .

- إرتبط النشاط الصناعي والحرفي عند البدوي بما تجود به أرضه من نبات، تراب، وحيوان فسعى لتوفير بعض المنتجات في غير أوقاتها كتخليقها وتجهيزها لإستغلالها عند الحاجة ،كما أبدع البدوي في صناعته الفخارية والجلدية التي يستعملها في بيته وحتى لبيعها وعرضها في أسواق المدينة عبر شبكة متشعبة من الطرق المليئة بالقوافل المحملة بمختلف المنتجات البدوية ذات الجودة والإتقان .

- تشكل القبيلة اللبنة الأساسية لمجتمع البادية ، التي تزخر بمختلف السلالات وتعدد في العصبية فقد سكن المغرب الأوسط خليط من العناصر السكانية، من مختلف المناطق وكان في مقدمتهم السكان الأصليين وهم البربر، الذين ينتشرون في ربوع باديتهم، إضافة إلى القبائل المالكية التي توافدت وإندمجت بمرور الزمن، وكمجتمع المدينة إمتاز المجتمع البدوي بالطبقية والتدرج بدءا بالطبقة الحاكمة من شيوخ قبائل ثم العلماء المثقفين وصولا للطبقة المتوسطة فالدنيا.

وقد كان لهجرة بني هلال الأثر الكبير في حراك بعض القبائل الداخلية ذلك أنهم أخذوا يتوسعون على كثير من بسائط بوادي المغرب الأوسط عنوة مما أدى إلى نزوح القبائل البربرية ودفعتهم إلى الهجرة إلى مناطق أخرى، هذا الحراك القبلي في بوادي المغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة قد أدى إلى تخلخل في النظام السكاني وهذا الأمر من شأنه أن يؤثر على الوضع الديمغرافي لسكان البوادي فيه خاصة وأن بعض القبائل قد عرفت نقلة نوعية في ذلك الحراك نتيجة التغيرات السياسية على خارطة المغرب الوسط .

- تمتع المجتمع البدوي بخصائص إثنية وأخرى إجتماعية كالحرية والتسامح والتشبث بالعادات والتقاليد لدرجة التعصب والتعود على العيش البسيط والقدرة على تحمل العوز في فترات الفتن الحروب وحتى الهجرات، غير أنهم كانوا يتناولون أشهى الأطعمة في أيام الصحة والرخاء والمواسم والأعياد وهذا راجع لشراء بيئتهم وجودها.

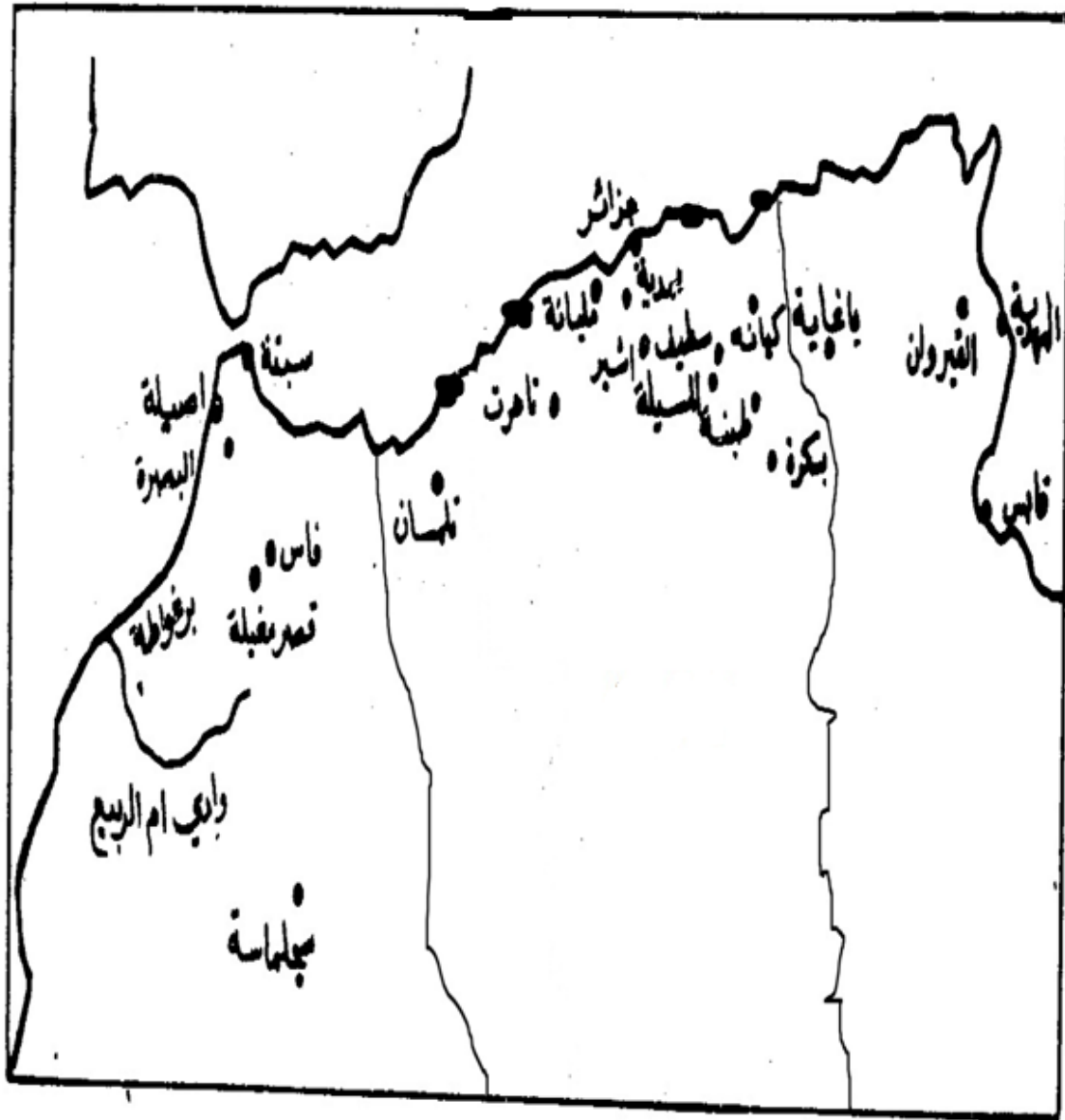
- لقد تناغمت العقيدة الإسلامية مع ذهنية البدوي المغربي، لأن الإسلام بمبادئه الحميدة نبذ مظاهر كان البدوي ينفر منها ويتحاشاها وحث على أمور أخرى حبذاها السكان ورحب بها.

- من جهة أخرى وجد اللامعقول والخرافي طريقه إلى العقل البدوي في مواقف عدة فعندما لا يجد البدوي للظاهرة تفسيراً علمياً منطقياً فإن عقله يسافر لفهمها على أساس ساذج خالي من الحقيقة، وبذلك إنتشر السحر وإبتداع الخوارق والخرافات والإيمان بكارامات الأولياء، ولأن الثقافة البسيطة التي تميز بها أهل البدو شجعت على إنتشار مثل هذه البدع من جهة، كما أن الحاجة الملحة والضعف النفسي لحل بعض الأمور وتفسيرها مكن فئة المشعوذين والدجالين من القيام بطلاميسهم خاصة على الفئات المستضعفة الضيقة الحال.

- للهجرة عند البدو دور في التأثير على النفسية والسلوكات من خلال تغير المعطيات الطبيعية الجغرافية التي تعودوا عليها أو الإعجاب بسلوكات الغير وإكتسابها، كما كان للأحداث المدوية من حروب وأزمات إقتصادية يد في إنهاك الإقتصاد وتدنيه، مما ألهم أهل البادية للتفكير في إستعجال لفك الأزمات سواء بالتنقل والرحيل أو بالغصب والسلب إسترجاعاً لما تعود عليه الجسم و آلفه العقل.

# الملاحق

الملحق رقم: 01 يمثل المجال الجغرافي للمغرب الاوسط<sup>1</sup>



<sup>1</sup> نقلا عن رشيد بورويبة: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ص 17.

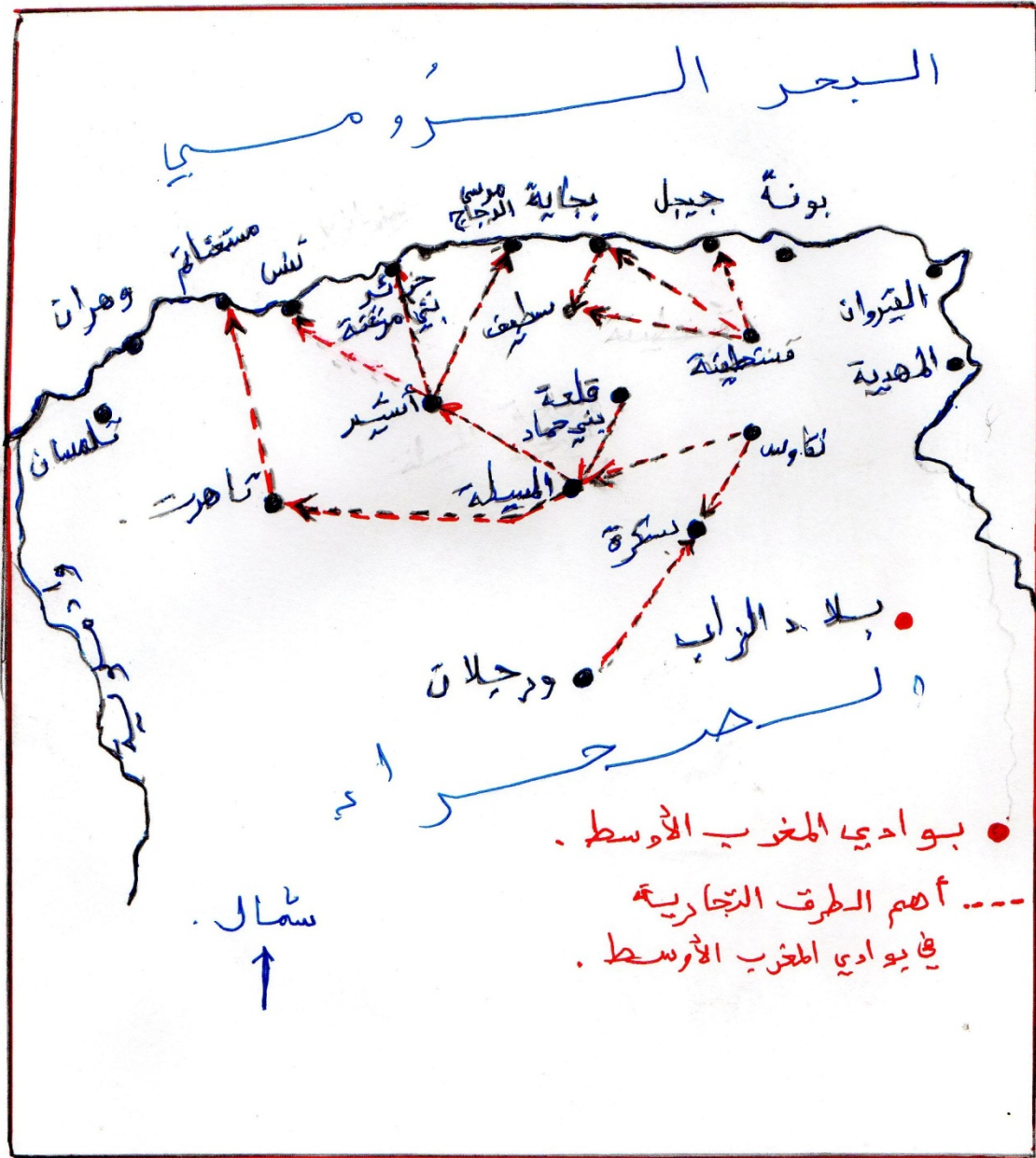
الملحق رقم: 02 يمثل جدول احصائي لانتاج الزراعي وتربية الحيوانات النافعة في بوادي المغرب الأوسط خلال القرن السادس الهجري<sup>2</sup>

| المنطقة         | النتاج الزراعي             | تربية الحيوانات             |
|-----------------|----------------------------|-----------------------------|
| تلمسان          | فواكه                      | مواشي                       |
| تنس             | الحنطة والحبوب والسفرجل    | مواشي                       |
| قرية ريغة       | فواكه                      |                             |
| جزائر بني نزغنة | الخضر والفواكه             | المواشي/البقر               |
| المسيلة         | القمح والشعير /فواكه       | الخيول /الأغنام/الأبقار     |
| بنو وزلفن       | فواكه                      |                             |
| قلعة بني حماد   | الحنطة                     | المواشي                     |
| تاهرت           | الفواكه/الحبوب             | النحل /الخيول /البقر /الغنم |
| طبنة            | الحنطة والشعير             | الأغنام                     |
| نقاوس           | الجوز                      |                             |
| قسطنطينة        | الحنطة والشعير             | النحل والمواشي              |
| مازونة          | الفواكه                    | المواشي والنحل              |
| بونة            | انواع الثمار/القمح والشعير | النحل والبقر/مواشي          |
| بسكرة           | التمور والزيتون            |                             |
| مرسى الدجاج     | الحنطة والفواكه            | المواشي                     |

<sup>2</sup> منجزة اعتمادا على الادريسي:المصدر السابق، ص 154، 101

### الملحق رقم 03

خريطة توضح أهم الطرق التجارية في وادي المغرب الأوسط



(1) نقلنا وبتصرف عن حسن تجميعي د علاقات الفاضل في مصر بول  
المغرب، مكنية مبولي، ط1، القاهرة، مصر، 1996م، ص66.

الملحق رقم 04

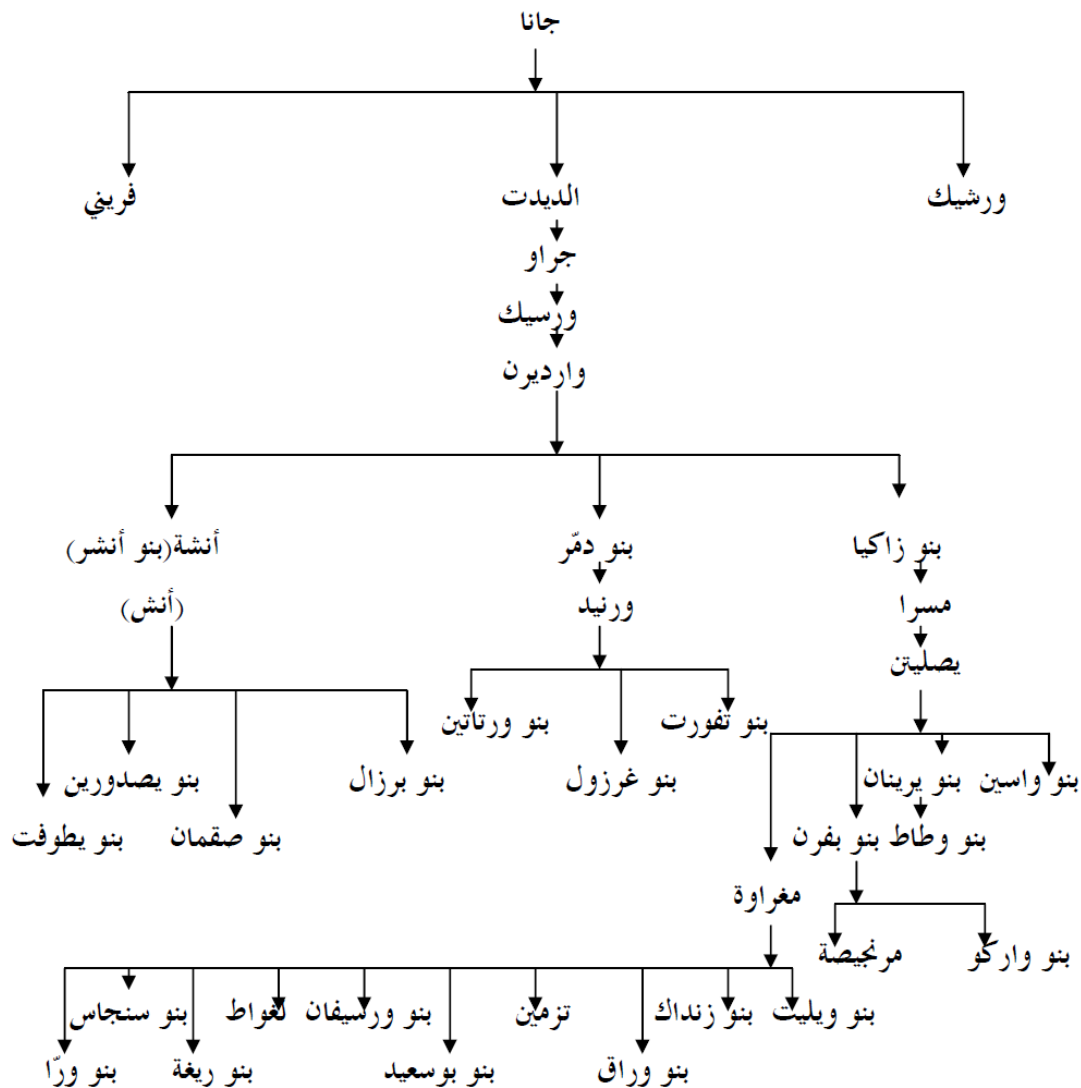
خريطة توزيع القبائل بالمغرب الأوسط  
حسب ابن خلدون (١).



(١) منجزة باستناداً إلى: ابن خلدون، العبر، ج ٦.

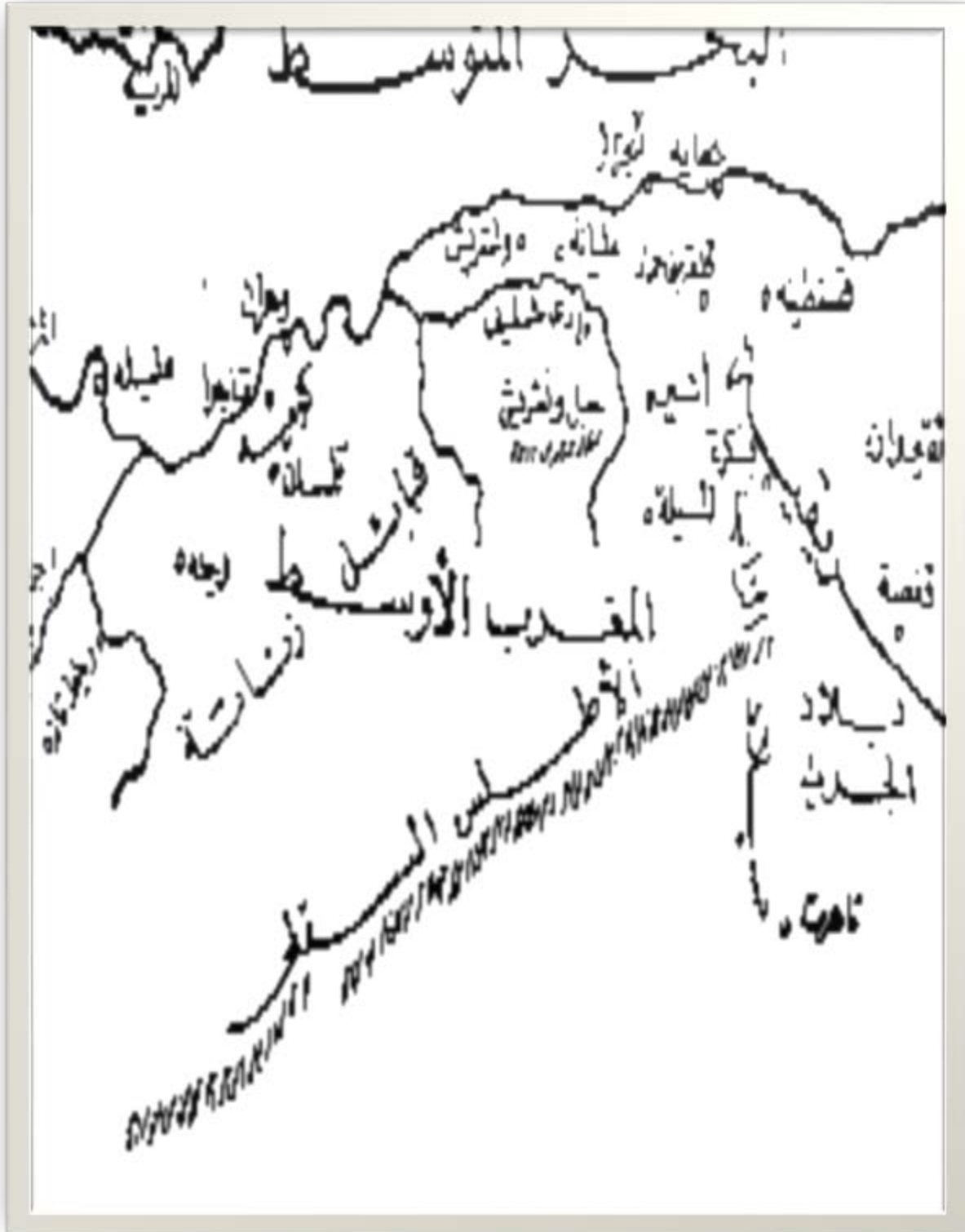
ملحق رقم 05: يمثل المخطط لبطون أحد أهم القبائل البربرية البدوية المنتشرة في المغرب الأوسط<sup>3</sup>

بطون قبيلة زناتة حسب ابن خلدون



<sup>3</sup> نقلاً بتصريف عن إسماعيل العربي: الصحاري الكبرى وشواطئها، (د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص 399.

الملحق 06: يمثل مواطن قبائل زناتة البدوية في مجال المغرب الأوسط<sup>4</sup>



<sup>4</sup> نقلا عن عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ج1، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، مصر، 1990م، ص181.



# قائمة المصادر والمراجع



القرآن الكريم.

أولاً : المصادر:

- ابن الأثير ، أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (630 هـ / 1230 م) : الكامل في التاريخ ، ج7، ج6، ج9، تح: محمد يوسف الدقاق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ/1987م.

- ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الخزاعي الأنصاري (ت807هـ/1402م): النفحة التيسيرية واللمحة المريتية، تح: عدنان محمد آل طعمة، دار سعد الدين، دمشق، سوريا، 1992م.

- \_\_\_\_\_: روضة النسرين في دولة بني مرين (تاريخ الدولة الزيانية)، تح: هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد1421هـ-2001م.

- ابن البيطار، ضياء الدين بن عبد الله بن أحمد المالقي (ت646هـ/1248م): الجامع لمفردات الأدوية ج1، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت، لبنان، 1991م.

- ابن الجوزي أبي الفرج البغدادي :تلبيس إبليس ،دار ابن خلدون ،الإسكندرية ،مصر ،(د،ت).  
- ابن الحاج، أبو عبد الله محمد العبدري المالكي الفاسي : المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات ،ج1 ،مكتبة دار التراث ،القاهرة ،مصر ،(د،ت).

- ابن حزم ،أبو علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي(ت456هـ/1064م): جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1982م.

- ابن حماد ،الصنهاجي: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح: جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ( د ط)، 1984م.

- ابن حوقل، أبو القاسم محمد البغدادي الموصللي (ت367هـ) : صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (دط)، ( د ت).

- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الغرناطي (ت776هـ) :تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط أعمال الأعلام ،تح: احمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني ،دار الكتاب ، الدار البيضاء ،المغرب، 1964م.

- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت808هـ/1405م): المقدمة، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، 2002م.

- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، (ت808هـ/1405م) :البداوة والحضارة (نصوص من مقدمة ابن خلدون)، تحقيق: محمد العبد،المنتدى الاسلامي،لندن، ط1، 1413هـ/1993م.

- \_\_\_\_\_ تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج7، ج6، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000م.
- ابن خلدون، أبي زكريا يحيى بن أبي بكر محمد بن الحسن، (ت781هـ/1379م) : بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1400هـ/1980م.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ، (ت681هـ/1282م):وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،تحقيق:إحسان عباس،دار صادر،بيروت ،لبنان ،(د،ت).
- ابن دحية :المطرب من أشعار أهل المغرب ،تح: إبراهيم الأبياري ،القاهرة، 1993م.
- ابن أبي دينار، أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت11هـ/17م):المؤنس في أخبار افريقية وتونس،تح:محمد شمام،المكتبة العتيقة ،ط3،تونس،1387هـ.
- أبي زرع الفاسي أبو الحسن علي بن عبد الله ا، (ت خلا القرن 8): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وفاس، منشورات دار المنصور، الرباط، 1972م.
- ابن زكريا، أبي الحسن أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة ،ج1، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،1399هـ/1979م،.
- ابن الزيات، أبي يعقوب يوسف ابن يحيى التادلي : التشوف إلى رجال التصوف،ط2 ،تح: أحمد توفيق ،منشورات كلية الآداب بالرباط ،المغرب ،1997م.
- ابن سعيد المغربي، علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك الغرناطي الأندلسي (685هـ/1286م) : كتاب الجغرافيا، تح إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 1982م.
- ابن الصغير:أخبار الأئمة الرستميين، تح: إبراهيم بحاز ومحمد ناصر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د ط)، 1986م.
- ابن عبد الحكم:فتوح مصر والمغرب، تحقيق:علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1425هـ/2004م.
- ابن عذارى، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (721هـ/1321م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تح: ج س كولان وليي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م.
- ابن القطان، المراكشي: نظم الجمان(لترتيب ما سلف من أخبار الزمان). تح وتق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ط:2، د.ت.

- ابن مرزوق، أبو عبد الله محمد التلمساني الخطيب (ت781هـ/1379م): المناقب المرزوقية، تحقيق: سلوى الزاهري، ط1، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية - مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، المغرب، 1429هـ/ 2008م.
- ابن مرزوق، محمد التلمساني (781هـ/1379م): المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، دراسة و تح: ماري خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعيداد، (د.ط)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1404هـ/1981م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الخزرجي (ت711هـ/1311م)، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د ت).
- ابن الوردي سراج الدين أبو حفص عمر: جريدة الغرائب (الجامع لما هولطرف الدهر حور ولجيد الزمان، مطبعة الهمام القاهرة، مصر، 1303هـ.
- إدريس، عماد الدين القرشي الداعي: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تح: محمد اليعلاوي، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985م.
- الإدريسي، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ابن إدريس الحمودي الحسني (ت548هـ/1159م): نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تح إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.
- الأسدي، ابن ظافر: أخبار الدولة المنقطعة، تحقيق: عصام هزيمة وآخرون، ط1، مؤسسة حماد، دارالكندي، الأردن، 1999م، ج1.
- البرزلي، أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي (ت841هـ/1483م): جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالفتن والحكام، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2002م، ج3.
- البكري، أبي عبيد بن عبد العزيز (ت487هـ/1094م): المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د ت).
- البنسي، الأندلسي أبي جعفر أحمد بن عبد الولي البتي (488هـ): تذكرة الألباب بأصول الأنساب، تحقيق: محمد مهدي الموسري الخرساني، مؤسسة المواهب، بيروت، لبنان، ط1، 2001م.
- البيدق، أبي بكر الصنهاجي المكنى: أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين. تر و نص ليفي بروفنسال، بولس كندر الكتي، باريس 1928م.
- الجوهري صحاح إسماعيل بن حماد: تاج اللغة وصحاح العربية، ج5، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم، بيروت، لبنان، ط4، 1990م.

- الحموي، الرومي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي (ت626هـ): المقتضب من كتاب جمهرة النسب، تحقيق: ناجي حسن، الدار العربي للموسوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.
- الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج1، تصحيح وترتيب: أحمد بن الأمين الشنقيطي، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1906م.
- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت900هـ): الروض المعطار في خير الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.
- الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد (ت670هـ/1271م): طبقات المشايخ بالمغرب، ج1، تحقيق: إبراهيم طلابي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974م.
- الدمشقي: الإشارة في محاسن التجارة، محقق سنة 1977م، طبع بمصر
- الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1996م.
- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد (ت538هـ/1144م): أساس البلاغة، ج2، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، 1992م
- السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، ج1، تح: جعفر الناصري وخالد الناصري، الدار البيضاء، 1954م.
- السويدي، أبي الفوز أمين البغدادي: سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، دار إحياء العلوم، بيروت، (د.ت).
- الطليلي، أحمد ابن مغيث: المقنع في علم الشُّروط، تقديم وتحقيق فرانشيسكو خابيير أغيري شادابا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1994م.
- العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد: رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية، تحقيق وتقديم وتعليق محمد الفاسي، الرباط، 1968م.
- العميري، ابن فضل الله: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج4، تح محمد عبد القادر الخريسات وآخرين، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، 2001م.
- عياض، القاضي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، دار الكتب العلمية، ج2، بيروت، ط1، 1998م.
- الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله (ت714هـ/1314م): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971م.

- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: كتاب العين، ج8، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (د ط)، (د ت).
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، الشروق (د ط)، القاهرة، مصر، (د ت).
- القلقشندي، أبي العباس أحمد بن علي (ت821هـ / 1431م): قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1982م.
- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القاهري (ت821هـ): نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط2، 1970م.
- \_\_\_\_\_: صبح الأعشى، ج5، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1955م.
- القيرواني، ابن أبي زيد: النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، ج10، تح مجموعة من الأساتذة، عبد الفتاح محمد الحلوة، محمد عبد العزيز الدباغ، محمد حجين عبد الله المرابط الترغي محمد الأمين بو خبزة، دار الغرب الإسلامي، 1999م.
- القيرواني، الرقيق: تاريخ إفريقية والمغرب، تح: محمد زينهم، دار الفرخان لنشر والتوزيع، ط1، 1414هـ / 1994م.
- القيرواني، أبي عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيني: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، ط1، 1689م.
- كرنجال، مارمول: إفريقية، ج2، ترجمة محمد حجي وآخرون، دار المعرفة، الرباط، 1984م.
- الكلبي هشام أبو المنذر بن محمد بن السائب (ت204هـ): جمهرة النسب، تحقيق: محمود فردوس العظيم، ج2، دار القنطرة العربية، سوريا، (د ت).
- المازني، أبو زكرياء يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي التلمساني (ت883هـ / 1429م): الدرر المكنونة في نوازل مازونة، ج3، تحقيق: مختار حساني، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
- المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسائهم وسيرهم وأخبار وفضائلهم وأوصافهم، ج2، ج1، تحقيق: بشير البكوش، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1994م.
- الماوردي: الحكام السلطانية والولايات الدينية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983م.

- المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط5، 1973م.
- المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت378هـ/997م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة ليدن، دار صادر، ط2، بيروت، لبنان، 1909م
- المقري، أحمد بن محمد: أزهار الرياض في أخبار عياض، ج3، تح: محمد السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1939م.
- مؤلف مجهول(عاش خلال القرن 6هـ)، الإستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق:سعد زغلول عبد الحميد، طبع ونشر دار الشؤون الثقافية العامة،العراق،(د،ت).
- مؤلف مجهول: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية العبد حقبة، مطابع ج ول كربونل الجزائر، 1921م.
- مؤلف مجهول: مفاخر البربر: تحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي رقيق، الرباط، ط1، 2005م.
- النعمان، أبو حنيفة بن محمد التميمي المغربي (ت363هـ/973م): افتتاح الدعوة، تحقيق: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، (د ت).
- النمري، أبي عمر يوسف ابن عبد البر القرطبي (ت463هـ): القصد والأهم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، مكتب القدس، مطبعة السعادة، 1350هـ.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/1331م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1464هـ/2004م، ج24.
- الوزان، حسن (ت بعد975هـ) : وصف إفريقيا، تحقيق: محمد حجي، ج2، دار المعرفة، الرباط، 1984م.
- الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى التلمساني (ت914هـ/1508م) : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية و الأندلس والمغرب، ج8، ج6، تحقيق : محمد حجي و آخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب ابن واضح الكاتب: البلدان، مطبعة بريل مدينة ليدن، 1820م.
- \_\_\_\_\_:تاريخ اليعقوبي،دار صادر،بيروت،لبنان،1960م.

ثانيا - المراجع:

أ - الكتب باللغة العربية :

- إبراهيم عبد الرحمن خليل: دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية ، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1971م.
- ابن حسن محمد: القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط ، دار الرياح الاربع لنشر والتوزيع ، تونس، 1986م.
- ابن المؤقت : السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ، ط2، الدار البيضاء للنشر والتوزيع ،، (د،ت).
- باحوا مصطفى: علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف والقبورية والمواسم ، ط2، جريدة السبيل لطباعة والنشر ، الرباط ، 2007م.
- بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية (160-296هـ / 777-909م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، منشورات ألفا، الجزائر، ط3، 2010م.
- بحوش عمار: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان، 1997م.
- البعلبكي رويحي : المورد(قاموس عربي انجليزي، دار العلم للملايين ، ط7، بيروت ، لبنان، 1995م.
- بلعربي خالد : الدولة الزيانية في عهد يغمراسن (دراسة سياسية حضارية ) 633-681هـ/ 1235-1282م، ط1، دار الألمعية لنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2011م.
- بن الذيب عيسى وآخرون، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م.
- بن قرية صالح يوسف ، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي دراسة تاريخية وأثرية ، منشورات الحضارة ، ط1، الجزائر، 2009م.
- بن نبي مالك: ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات العامة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط6، 2006م، ج1.
- بنميرة، عمر: النوازل والمجتمع -مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط-، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2012م.
- بوتشيش إبراهيم القادري: المغرب والأندلس في عصر المرابطين ،المجتمع،الذهنيات، الأولياء، دار الطليعة لطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان، 1993م.

- بوتشيش إبراهيم القادري: مباحث في التاريخ الاجتماعي في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ط1، دار الطباعة والنشر، بيروت، 1998م.
- بورويبة رشيد: الدولة الحمادية تاريخاً وحضارته، ديوان المطبوعات الجزائرية، 1977م - 1397هـ.
- بوشمة معاشو: سيدي غانم تراث وثقافة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2002م.
- بوطالب محمد نجيب: سوسيولوجية القبيلة في المغرب العربي، ط1، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2002م.
- بونار رابح: تاريخ المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968م.
- الجابري محمد عابد: العصبية والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط6، بيروت، لبنان، 1994م.
- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين (3-4هـ/9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، (د ت).
- حاجيات عبد الحميد: أبو حمو موسى الزياني - حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.
- حبيدة محمد: كتابة التاريخ، قراءات وتأويلات، الرباط، دار أبي رقراق، 2013م.
- الحريري محمد عيسى: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم للنشر والتوزيع، ط2، الكويت، 1987م.
- حساني مختار: تاريخ الدولة الزيانية، (الأحوال الاقتصادية والثقافية)، ج2، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009م.
- حسن محمد: البادية والمدينة لأفريقية في العهد الحفصي، ج1، المؤسسة الجامعية للطباعة والنشر، تونس (د ت).
- حمدين محمود: التراث الجغرافي الإسلامي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1999م.
- حوالة يوسف أحمد: الحياة العلمية في أفريقية، المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح حتى منتصف القرن 5هـ، ج1، ط1، جامعة أم القرى، السعودية، 1421هـ/2000م.
- خليفة حاجي: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د ت).
- الدراجي بوزيان: القبائل الأمازيغية، ج1، دار الكتاب العربي، (د ط)، الجزائر (د ت).
- الزاهي نور الدين: المقدس والمجتمع، إفريقيا الشرق، المغرب، 2011م.

- زروق محمد: الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17، ط4، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014م.
- سالم عبد العزيز: المغرب في العصر الوسيط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2008م.
- سامعي إسماعيل: معالم الحضارة العربية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ت)، 2007م.
- السحيري بن حثيرة صوفية: الجسد والمجتمع - دراسة انتربولوجية لبعض الاعتقادات والتصورات حول الجسد، دار محمد علي لنشر، تونس، 2008م.
- سليمان عشراي: الشخصية الجزائرية الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية، ديوان المطبوعات الجامعية، (د ط)، الجزائر، 2007م.
- الشرابصي أحمد: المعجم الاقتصادي الإسلامي، دار الجيل، 1401هـ/1981م.
- طحطح خالد: الكتابة التاريخية، الدار البيضاء، دار توبقال، 2012م.
- الطمار محمد: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010م، ص143.
- طه ذنون عبد الواحد وآخرون: تاريخ المغرب العربي، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 2004م .
- عبد الباقي محمد فؤاد: المعجم المفهرس للألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، مصر، 1364هـ.
- عبد الحميد سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج1، منشأ المعارف، الإسكندرية، 2003م.
- عبد الرزاق محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1988م.
- عبد الله محمد حسن: الريف في الرواية العربية، عالم المعرفة، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998م.
- عبيد بوداود: الوقف في المغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجري/الثالث عشر والخامس عشر ميلادي، ودوره في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مكتبة الرشاد للطباعة و النشر، سيدي بالعباس، 2011م.
- \_\_\_\_\_ : ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق13-15م)، دراسة في التاريخ السوسيو ثقافي، دار الغرب، وهران، (د،ت).
- العربي إسماعيل: دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م.

- العروي محمد: مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1999م.
- عكاوي رحاب خضر: موسوعة عباقرة الإسلام في الطب والجغرافيا والتاريخ والفلسفة، ج2، دار الفكر العربي، بيروت، 1993م.
- أبو عمرو، شهاب الدين: القاموس الوافي، دار الفكر لطباعة، ط1، بيروت، لبنان، 1423هـ/ 2005م .
- عمارة علاوة: دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والمغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م.
- عمر مختار: المعجم الموسوعي للألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، مؤسسة سطور المعرفة، ط1، السعودية، 1431هـ/ 2002م.
- عمر مصطفى أبو الضيف أحمد: القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، الجزائر، (د ت).
- عويس عبد الحليم: دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر، دار الصحوة للنشر والتوزيع، دار الوفاء لطباعة والنشر والتوزيع، ط2، مصر، 1414 هـ / 1991 م.
- فتح محمد: النوازل الفقهية والمجتمع، أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من ق 6هـ-9هـ/ 12-14م، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الدار البيضاء المغرب، 1999م.
- فيلا لي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني، (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، ح1، موفم لنشر، الجزائر، 2007م.
- القبال موسى: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن 5هـ، سلسلة الدراسات الكبرى، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.
- \_\_\_\_\_: الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي (نشأتها وتطورها)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط: 1 ديسمبر 1971م.
- القرضاوي يوسف: رعاية البيئة في شريعة الإسلام، دار الشروق، مصر، ط1، 2001م.
- الكحي عبد الحكيم: موسوعة التاريخ الإسلامي، دار أسامة، (د ط)، عمان، الأردن، 2009م.
- كمال مصطفى: إنتاج الضأن والصوف، دار المطبوعات الجديدة، الإسكندرية، 1972م.
- لعرج عبد العزيز وآخرون: مساهمة الجزائر في الحضارة العربية. المركز الوطني للدراسات والبحث بالحركة الوطنية، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين وثورة أول نوفمبر.

- محمود حسن أحمد : قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.
- مزيان عبد المجيد، النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأسسها من الفكر الإسلامي، الشركة الوطنية لنشر التوزيع، الجزائر، 1981م.
- مغراوي محمد: الأزمات الطبيعية وانعكاساتها على الدولة والمجتمع، ضمن: الموحدون وأزمات المجتمع، ط1، جذور للنشر، الرباط، 2006م.
- مفتاح خلفات: قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6-9هـ/12-15م)، دراسة في دورها السياسي والحضاري، دار الأمل، تلمسان، 2011م.
- منديب عبد الغني : الدين والمجتمع (دراسة سوسيو لوجية لتدين بالمغرب) ، مطابع إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2010م.
- مودن عبد الرحمان وآخرون: البادية المغربية عبر التاريخ سلسلة ندوات ومناظرات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب 1999م.
- موسى عز الدين: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط1، دار الشروق، بيروت، 1983م.
- مؤنس حسين : تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مكتبة مدبولي، ط2، مصر، 1986م.
- الميلي مبارك بن محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر، مكتبة النهضة الجزائرية، (د.ت).
- النجار عبد الحليم: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت (الحركة الموحدية بالمغرب والأندلس أوائل، ط9، المعهد العالي للفكر الإسلامي هيردن فرجين، 1415هـ/1995م.
- الهادي الهروي: القبيلة، الإقطاع والمخزن-مقاربة سوسيولوجية للمجتمع المغربي الحديث 1844-1934، إفريقيا الشرق، المغرب، 2010م.
- الهريدي يحيى: فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصري، القاهرة، 1965م.
- ب - الكتب المعربة :**
- إدريس الهادي روجي: الدولة الصنهاجية -تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من ق10 الى ق12م، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ج2، بيروت، لبنان، 1992م.
- برنشفيك روبر: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ج1،، ترجمة: حمّادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1988م.

- بروفنسال ليفي: الإسلام في المغرب والأندلس، ت: عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي و لطفي عبد البديع، مؤسسة الشباب الجامعة، الإسكندرية: 1990م.
- بن سالم ليليا: المقاربة الانقسامية لمجتمعات المغرب الكبير، منشور ضمن كتاب الأنثروبولوجيا والتاريخ، ترجمة: عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2007م.
- بيرك جاك: في مدلول القبيلة في شمال إفريقيا، منشور ضمن كتاب الأنثروبولوجيا والتاريخ، ترجمة: عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2007م.
- دوس فرنسوا: التاريخ المفتت، من الحوليات إلى التاريخ الجديد، ترجمة محمد الطاهر المنصور، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2009م.
- كلنير ارنست: ابن السلطة والوظيفة الدينية في البوادي المغربية، ضمن كتاب الأنثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، ط2، ترجمة عبد الأحد التنسي وعبد اللطيف الفلق، دار طوبقل للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2007م.
- لا بيك جورج: السياسة والدين عند ابن خلدون، تعريب موسى وآخرون، دار الفارابي، ط1، بيروت لبنان، 1980م.
- لومبار جاك: مدخل الى الأنثولوجيا ، تر: حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1997م.
- لوغوف جاك: التاريخ الجديد، ترجمة محمد الطاهر المنصوري، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2007م.
- موريس لمبار: الإسلام في مجده الأول ق8-11 من ترجمة: إسماعيل العربي، منشورات الآفاق الجديدة، المغرب، 1990م.
- ج - الرسائل الجامعية:
- باديس أوكيل مصطفى: انتشار الإسلام في بلاد المغرب وأثاره خلال القرن الأول الهجري، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 2005-2006م.
- بلبشير، عمر: "جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغرب الأوسط والأقصى - ق6-9هـ/12-15م- من خلال كتاب المعيار للونشريسي"، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 2009-2010م.
- بن النية رضا: صنهاجة المغرب الأوسط-من الفتح حتى عودة الفاطميين إلى مصر-، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، قسم التاريخ، 2006م.

- بوتدارة سالم: تاريخ شمال إفريقيا من خلال كتابات مارمول كربخال والحسن الوزان، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس، 2011/2010م.
- دحماني محمد: "حكايات كرامات الأولياء في منطقة الشلف، رسالة ماجستير مرقونة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2005-2006م.
- الدراجي بوزيان: العصبية القبلية وأثرها على النظم والعلاقات في المغرب الإسلامي، (مذكرة ماجستير مرقونة)، جامعة الجزائر، 1987م.
- دهمش سهيلة: العادات الاحتفالية (مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي للمغرب الأوسط الزياني) (633-962هـ/1235-1555م)، رسالة ماجستير مرقونة، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 2014/2015م.
- سكينة عيمور: ريف المغرب الأوسط في القرنين 5 و6هـ/11 و12م (دراسة اقتصادية اجتماعية)، رسالة ماجستير مرقونة، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 2012-2013م.
- سمية مزدور: المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-1520م)، رسالة ماجستير مرقونة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008-2009م.
- صادقي كمال: الصناعات الحرفية بالمغرب الأوسط في عهد بني حماد (398-547هـ/1007-1152م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، 2006-2007م.
- قادة سبع: (المذهب المالكي بالمغرب الأوسط حتى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، رسالة ماجستير مرقونة، جامعة وهران، 2003-2004م.
- قدورة عبد المجيد: هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط ونتائجها الحضارية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، العاشر والحادي عشر الهجري، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، معهد الحضارات الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة.
- ناصر محمد: جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمغرب في العصر الوسيط (القرن 6هـ/12م)، نموذج: القسم الأول أطروحة جامعية، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1987/1988م.
- هوارى موسى: تربية الحيوانات في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين ق1-7هـ/7-13م، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008-2009م.

د - المقالات:

-بلهواي فاطمة: " النص النوازي للغرب الإسلامي أداة لتحديد البحث في تاريخ الحضارة الإسلامية"،  
مجلة عصور، ع17، مخبر البحث التاريخي كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، ديسمبر  
2010م.

-جدلة إبراهيم : المجموعات القبلية البدوية وتأثيرها على الحياة الاجتماعية والسياسية بإفريقية أثناء  
العهد الحفصي، ضمن أعمال الملتقى الدولي: القبيلة - المدنية - المجال في العالم الغربي الإسلامي الوسيط،  
تونس 10-12 أفريل، 2003 م.

-سمية مزدوري: مقاربات حول مستوى معيشة التجار والحرفيين في المغرب الأوسط، مجلة الناصرية  
للدراسات الاجتماعية والتاريخية، ع4، الجزائر، جوان 2013م.

-الشيباني بالغيث: "أهمية الفتاوى الشرعية كمصدر الكتابة تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور  
الحديثة"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع12/ مارس 1996م.

-عماري حسين: "حدود إسهام الدراسات الإفريقية في كتابة تاريخ المغرب الحديث -قراءة وملاحظات  
أولية-"، مجلة كان، ع11/ مارس 2011م.

-غانم محمد الصغير: "الملامح الاقتصادية للعصر الحجري الحديث في المغرب القديم"، مجلة التراث،  
تاريخية أثرية دورية، جمعية التاريخ والتراث الأثرين، باتنة، الجزائر، ع8، 1995م

-الفهري عبد المجيد: البربر الجبال في المغرب في العصور الوسطى ،مقال ضمن ملتقى التغيرات  
الاجتماعية في البلدان المغاربية.

-نشاط مصطفى:الديمغرافيا التاريخية في أدب الرحلة ،مجلة كنانش، منشورات كلية الآداب والعلوم  
الإنسانية،جامعة محمد الأول ،المغرب، ع 3 ،2001م.

ه - الندوات:

-بوتشيش، إبراهيم القادري: "مخطوط نوازل ابن الحاج مصدر جديد في تاريخ المجال القروي بالمغرب  
والأندلس خلال العصر المرابطي"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات  
ومناظرات، رقم 77، 1999م.

-الحمودي أحمد :المظاهر الذهنية لعامة المغرب الأقصى في المغرب الموحدى ،محاضرات ملتقى  
(التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور ) ، منشورات، مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية  
،جامعة منتوري ،أفريل 2001م.

-الناصري محمد: مستويات المجال والبحث التاريخي في البادية، البادية المغربية عبر التاريخ، سلسلة ندوات ومناظرات، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1420هـ/1999م.

و- المحررات باللغة الأجنبية:

- Idris, H.D: "L'école Malikite de Mahdia - L'imam ALmazaridans, etude d'orientalisme dédiée à la mémoire de Levi brevençal, paris, G. b Maisonneuve lauros, 1962.
- BERQUE.J.MAGHERB.HISTOIRE ET SOCIÉTÉ. S. N. D.ALGER. 1974. E.
- Louis Rinn : **Marabouts et Khouans**-étude sur L'islam en Algérie, Adolphe Jourdan libraire : éditeur, 1884.
- Alaoua Ammara: retour à la problématique du déclin économique du monde musulman médiéval, le cas du magreb hammadide(11\_12 siècles).the magreb review.printed on long life paper, vol 281.2003.

# الفهارس

# كشف الآيات

| رقم الآية | الآية                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                         | السورة         | رقم صفحة الآية حسب المذكرة | رقم السورة حسب المصحف |
|-----------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------|----------------------------|-----------------------|
| 100       | ﴿ وَرَفَعَ أَبُوبِهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا قَدْ أَحْسَنَ رَبِّي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ | سورة يوسف ،    | 17                         | 12                    |
| 20        | ﴿ يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴾                                                                                                                                                                | سورة الأحزاب ، | 17                         | 33                    |
| 101       | ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾                                                                                                                                                         | سورة المائدة،  | 17                         | 05                    |
| 28        | ﴿ بَلْ بَدَأَ هُمْ مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾                                                                                                                                                                                                                                                 | سورة الأنعام.  | 17                         | 06                    |
| 14.       | ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾                                                                                                                               | سورة الحجر، ت، | 21                         | 49                    |
| 97.       | ﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾                                                                                                                                                                                                                               | سورة التوبة،   | 21                         | 09                    |

| رقم الآية | الآية                                                                                                                                                                                                                                                   | السورة          | رقم صفحة الآية حسب المذكرة | رقم السورة حسب المصحف |
|-----------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------|----------------------------|-----------------------|
| 30        | ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾                                                                                   | سورة الأنبياء،  | 53                         | 21                    |
| الآية 5   | ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۚ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾                                                                                                                                                                     | سورة النحل،،    | 63                         | 16                    |
| -53<br>54 | ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى <sup>(53)</sup> كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ | سورة طه:        | 67                         | 20                    |
| 27        | ﴿إِنَّهُ يَرَأَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾                                                                                                                                                                                      | سورة الأعراف .. | 17                         | 07                    |
| الآية 13. | ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾                                                       | سورة الحجر، ت،  | 21                         | 49                    |

# كشف الأعلام

- أ -

أبا يعقوب يوسف التفريسي 136

ابن الأحمر 126

ابن الصغير 67.101

ابن الكلبي 86

ابن تومرت 107

ابن حزم 91

ابن حماد 36.124

ابن حوقل

26.26.42.59.61.62.63.65.76.104.  
135.

ابن خلدون 21.24.30.34.39.91.

90.84.46.50.88.117.131.

ابن زغلين 43

ابن سعيد المغربي 31

ابن عبد الحكم 88

ابن عتاب 57

ابن عذارى 127

ابن لبابة 67.68.69

ابن منظور 16.

أبو الفدى 31

أبو رأس الناصري 36

أبو عبد الله بن شعيب 130

أبي القاسم الفاطمي 124

أبي عبد الله الشيعي 124

أبي يزيد مخلد بن كيداد 123

أحمد الونشريسي 52.55.67.69.109.114

الإدرسي

30.34.54.61.65.67.74.76.82.104

- ب -

البرزلي 126.138

البكري.

118.27.30.61.62.64.73.74.102.

137

البيدق 107

- ج -

جاك بيرك 51.87

- ح -

حسن الوزان 31.53.60.62.138

الحميري 30.31

الحميري 53.54

- ر -

الرسول صلى الله عليه 110

رشيد بورويبة 110

روبار مونطاني 87

- ز -

الزخشري 16

- س -

سحنون 18

السلطان يغمراسن 49.50

- ص -

صنهاجة 45

- ع -

عبد الرحمان بن رستم 64

عثمان بن عفان 97

- غ -

الغبريني 100.110

- ق -

القاضي النعمان 124

القديس أوغسطين 99

القزويني 118

- م -

المازوني 126

محمد الناصر 20

مسعود المغراوي 43

المسعودي 88

المعز بن باديس الصنهاجي 66

المنصور الفاطمي 36

المنصور بن الناصر 103

- ي -

يوسف بن يعقوب المريني 125

# كشاف الأماكن

|                               |                                       |           |
|-------------------------------|---------------------------------------|-----------|
| دلس 59                        | - أ -                                 | اتكجان 76 |
| - ز -                         | أرشقول 64                             |           |
| الزاب 98                      | أزفون 135                             |           |
| - س -                         | أشير 73.93                            |           |
| سجل ماسة 98.135               | أغمات 135                             |           |
| سطيف 76                       | إفريقية 31.                           |           |
| سكيكدة 59                     | الأندلس 93.94.98.140                  |           |
| سوسة 18                       | - ب -                                 |           |
| سيرات 50                      | باغاية 26.59.77                       |           |
| - ش -                         | بجاية                                 |           |
| شرشال 54.61                   | 27.31.35.54.61.67.73.76.92.125        |           |
| شلف 98                        | بسكرة 38.62.80.137                    |           |
| - ط -                         | البطحاء 50.59.60                      |           |
| طبنة 26.59.62.76              | بونة 26.59.75.103.118                 |           |
| - ع -                         | - ت -                                 |           |
| العراق 98                     | تادميت 26.59                          |           |
| - ف -                         | تاهرت 34.54.58.64.65.74.80            |           |
| فلس 98.135                    | تبسة 76.137                           |           |
| - ق -                         | تسالة 60                              |           |
| قالمة 76                      | تلمسان                                |           |
| قسنطينة 31.35.37.38.59.74.92  | 27.30.31.34.38.54.60.61.126           |           |
| قصطيلة 136                    | تنس 26.59.60.62.76.77.78              |           |
| القل: 78.102                  | - ج -                                 |           |
| قلعة بني حماد 62.73.76.98.101 | جزائر بني مزغنا 27.61.64.73.78.98.100 |           |
| القيروان 98                   | جيحل 54.62.102.137                    |           |
| - م -                         | - د -                                 |           |

مَتَّيْجَة. 59

مراكش 31.

مرسى الخرز 118

مرسى الدجاج 27.61.64.78.102

مرسى سببية 137

مستغانم 54.79

المسيلة 26.54.59.61.62.64.66.73.74

المغرب

لأوسطا. 31....

19.26.27.28.29.30.45.48.50.58.

69.70.71.63.59

مليانة 54

ميلة 27

- ن -

ندرومة 62

نقاوس 80

- و -

ورجلان 73.75.82

وهران 31.58.59.80.92

- ي -

اليمن 88

# كشاف القبائل والأقوام

|                  |                               |
|------------------|-------------------------------|
| أ -              | بنو هاشم 98                   |
| الأثبج 98        | بنو يفرن 104.95               |
| الأدارسة 98      | بني إسرائيل 89                |
| أداسة 91         | بني عبد الواد 50              |
| ازداجة 92        | بني غانية 125                 |
| الأغالبة 123     | - ت -                         |
| الأمويين 97      | تلكاتة 94.93                  |
| الأندلسيين 94    | - ج -                         |
| أورية 92         | جراوة 95                      |
| الأوريين 98      | جراوة 91                      |
| أوريغة 92        | - ح -                         |
| - ب -            | الحمايين 101                  |
| البت. 95.90.91   | حمير 95.88                    |
| البرانس 92.91.90 | - ر -                         |
| بني برزال 102    | ربيعة 86                      |
| بشكنس 93         | الرستميين 123                 |
| بن سنوس 95       | - ز -                         |
| بنو أمية 98      | زناتة                         |
| بنو تزجين 95     | .89.90.91.93.94.95.105.137.46 |
| بنو تميم 98      | 22.30.34.35                   |
| بنو راشد 95      | زواوة 45.89                   |
| بنو سهم 98       | الزيانيين 126                 |
| بنو عدي 98       | - ص -                         |
| بنو مغراوة 95    | صنهاجة 37.105.93.91.90.88     |
|                  | - ض -                         |
|                  | ضريسة 91                      |

|                        |                       |
|------------------------|-----------------------|
| - ه -                  | - ع -                 |
| الهلالين 93.97.37      | عجيسة 92.102          |
| هواره 50.78.102.22. 89 | - غ -                 |
| - ي -                  | غمارة 92              |
| اليهود 94              | - ف -                 |
|                        | الفاطمين 93.123       |
|                        | - ق -                 |
|                        | قوط 93                |
|                        | - ك -                 |
|                        | كتامة 34.88.89.105.92 |
|                        | - ل -                 |
|                        | لماية 92.34           |
|                        | لمطة 92               |
|                        | لواتة 89.95.34.37     |
|                        | - م -                 |
|                        | مديونة 95             |
|                        | مضر 86                |
|                        | المرينين 126          |
|                        | مصمودة 92             |
|                        | مطماطة 95             |
|                        | مغراوة 91.92          |
|                        | مكناسة 95             |
|                        | ملكاة 95              |
|                        | الموحدين 96           |
|                        | - ن -                 |
|                        | نفزاوة 95             |
|                        | نفزاوة 91             |
|                        | نفوسة 91              |
|                        | النورماند 102.103     |

## فهرس الموضوعات

### المحتوى

المقدمة.....أ.ن

### فصل تمهيدى: بادية المغرب الأوسط مفاهيم واصطلاحات

أولا: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للبادية.....16

1- الدلالة اللغوية لمصطلح البادية.....17

2- المفهوم الاصطلاحي.....19

3- البادية في المصادر التاريخية.....23

ثانيا: جغرافية بوادي المغرب الأوسط في العصر الوسيط.....29

1- جدلية الحدود والمجال الجغرافي للمغرب الأوسط.....29

2- الإطار الجغرافي لبوادي المغرب الأوسط.....33

3- بادية المغرب الأوسط المميزات والخصائص.....35

### الفصل الثاني: الحياة الاقتصادية لبادية المغرب الأوسط

أولا: النشاط الفلاحي لبوادي المغرب الأوسط.....50

1- نظام الأرض.....50

2- السياسة الزراعية ببادية المغرب الأوسط.....54

3- الرعي ببادية المغرب الأوسط.....65

ثانيا: الحرف والصناعات البدوية.....72

1- الصناعات الزراعية وما يتصل بها.....72

2- الصناعة الفخارية.....73

3- الصناعة المعدنية.....73

ثالثا: النشاط التجاري ببادية المغرب الأوسط.....74

1- الأسواق.....74

|         |                                  |
|---------|----------------------------------|
| 75..... | 2- المراكز والطرق التجارية.....  |
| 82..... | 3-المبادلات والسلع التجارية..... |

### الفصل الثالث :الحياة الاجتماعية لبادية المغرب الأوسط

|          |                                                           |
|----------|-----------------------------------------------------------|
| 91.....  | أولا :التركيبة السكانية لمجتمع البادية.....               |
| 94.....  | 1- الأنساب والعصبيات.....                                 |
| 100..... | 2- العناصر المكونة للمجتمع البدوي.....                    |
| 106..... | 3- طبقات المجتمع البدوي.....                              |
| 109..... | 4- الحراك القبلي في بادية المغرب الأوسط.....              |
| 110..... | ثانيا :النظام العشائري القبلي في بادية المغرب الأوسط..... |
| 111..... | 1- شيخ القبيلة.....                                       |
| 112..... | 2- مجلس الأعيان.....                                      |
| 113..... | 3- الأسرة.....                                            |
| 113..... | ثالثا: خصائص المجتمع البدوي في المغرب الأوسط.....         |
| 114..... | 1- العادات والتقاليد في بادية المغرب الأوسط.....          |
| 119..... | 2- الطقوس الدينية في بادية المغرب الأوسط.....             |
| 121..... | 3- الأطعمة والمشروبات.....                                |
| 122..... | 4- لباس أهل البادية.....                                  |
| 124..... | 5- مساكن أهل البادية.....                                 |
| 124..... | 6- الأوضاع الصحية ببوادي المغرب الأوسط.....               |

### الفصل الرابع:خلفيات وأثار الأنماط الاقتصادية والاجتماعية على السلوك والذهنية في

#### بادية المغرب الأوسط

|          |                                                                           |
|----------|---------------------------------------------------------------------------|
| 130..... | ثانيا:خلفيات وأثار الأنماط الاقتصادية على السلوك والذهنيات.....           |
| 130..... | 1- انعكاسات الأزمات السياسية و الطبيعية على عقلية وذهنية أهل البادية..... |
| 135..... | 2- تأثير المستوى المعيشي على ذهنية أهل البادية.....                       |

|    |                                                                              |            |
|----|------------------------------------------------------------------------------|------------|
| 3- | انعكاسات نظام الجباية على ذهنية أهل البادية.....                             | 136        |
|    | ثانيا :خلفيات وأثار الأنماط الاجتماعية على السلوك وذهنيات مجتمع البادية..... | 138        |
| 1- | انعكاسات المعتقدات الدينية على ذهنية أهل البادية.....                        | 138        |
| 2- | تأثير الموروث الوثني في الممارسات الدينية لأهل البادية.....                  | 141        |
| 3- | انعكاسات العادات والتقاليد على ذهنية أهل البادية.....                        | 142        |
| 4- | انتشار السحر والخرافات.....                                                  | 146        |
| 5- | الإيمان بخوارق وكرمات الأولياء.....                                          | 148        |
| 1- | تأثير الهجرة على ذهنية أهل البادية.....                                      | 149        |
|    | <b>الخاتمة.....</b>                                                          | <b>152</b> |
|    | الملاحق .....                                                                | 156        |
|    | قائمة المصادر والمراجع .....                                                 | 163        |
|    | الفهارس                                                                      |            |
|    | فهرس الآيات.....                                                             | 179        |
|    | فهرس الأعلام.....                                                            | 181        |
|    | فهرس الأماكن.....                                                            | 183        |
|    | فهرس القبائل والأقوام.....                                                   | 185        |
|    | فهرس المحتوى .....                                                           | 187        |

## ملخص الدراسة :

تحتل دراسة البادية بكل خصائصها في العصر الوسيط مكانة هامة في الدراسات التاريخية المونوغرافية، الاجتماعية والاقتصادية فهي من القضايا الجادة التي يثيرها البحث في البنى المكونة لجغرافية بلاد المغرب وفئاته.

فموضوع بادية المغرب الأوسط في العصر الوسيط (دراسة للواقع الاقتصادي والاجتماعي وتأثيرهما على السلوك والذهنيات) من القرن 4 إلى 7هـ/10-13م، مهم نظرا لما تحمله من مقومات جغرافية وأخرى حضارية وهو ما يساهم في مواصلة الركب في دراسة التاريخ الإنساني المنكب في دراسة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وتكمن الأهمية التي تمثلها في الانفتاح على الجغرافية الزراعية لفهم العديد من مكونات ماضي الأرياف المغربية، فبادية المغرب الأوسط ترتبط ارتباطا كبير بالنشاط الفلاحي، الذي يمكن من خلاله رسم صورة عن طبيعة الحياة الاقتصادية والاجتماعية وما يكتنفها من غموض خاصة في ظل التغيرات التي اشتملت المنظومة القبلية لبلاد المغرب عامة والمغرب الأوسط على وجه الخصوص .

تشكل البادية المغربية في عصر الوسيط بخصائصها ومكوناتها جزء لا يتجزأ من جغرافية المغرب، فمن مميزاتها أنها مكان لنشاط الزراعي بأرضها وثرواتها الحيوانية، فحظائر الحيوانات ومعاصر الزيتون ومطاحن القمح تشكل البناء الاقتصادي للبادية أما البناء الاجتماعي فيقوم على العيش في وسط عشائر قبلي على أرض مارسوا فيها عملهم الزراعي على أساس تعاوني اجتماعي، تتفاعل بنيته الاجتماعية مع عاداته وتقاليده ، فريف كان يمثل طابع الحياة الاجتماعية القائم على الاقتصاد الزراعي وتربية المواشي وكما يقال أن الإنسان وليد بيئته فكل مجتمع يطبع نفسه على شخصية أفرادهِ حيث تتجسد في شخصية الأفراد مكان سائدا في المجتمع من دوافع وقيم وأساليب تفكير، فالبيئة الاجتماعية بمختلف أنماطها وعواملها لها تأثير على نمط السلوك من أجل تكوين فرد قادر على العيش في النظام الاجتماعي. ومن هنا تبرز قيمة هذا الموضوع وهو محاولة الكشف على الأنماط السلوكية بما فيها عادات وتقاليده التي توحى بأفكار وذهنيات كانت مترسخة لدى إنسان البادية، كما أن المرتكزات الاقتصادية والاجتماعية للبادية في العصر الوسيط تفتح بابا ضيقا لدخول في حيز رحب وهو عالم الأفكار والذهنيات التي تسلفت إلى الوعي الجمعي وصارت تمثل موقفا جماعيا مشتركا .

كلمات المفاتيح :بادية /المغرب الأوسط /اقتصاد /مجتمع /قبيلة /عادات وتقاليده /ذهنية /سلوكات